لوحات تربوية

النسخة الثانية

مزيدة و منقحة

١٣ / ١٠ / ١٤٣٣هـ

بقلم : عبدالله الوائلي

asd-236@hotmail.com

إهداء ..

إلى كلِّ شابٍّ نشأ في دوحة القرآن و رياض الذكر ..

إلى كلِّ شابٍّ بذل نفسه و أفنى شرْخَ عمره في هذه المحاضن المباركة ..

إلى المتربعين على مدارج الأفلاك ..

إلى النجوم اللألاءة في الغياهب الحالكة ..

إلى السالكين بعزمٍ .. لا يأبهون بأوحالٍ و لا أشواك ..

إليكم يا من علت على مفارقهم سيما المجد ..

إليكم يا من سمت نفوسهم فوق مناكب الشرف ..

إليكم آل الحلقات .. إليكم .. مشرفين و طلابا ..

مقدمة النسخة الثانية

الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على خير المرسلين و على آله و صحبه أجمعين .. و بعد ..

هذه هي النسخة الثانية من مجموع [لوحات تربوية] و التي سبق أن طرحتها في شبكة المعالي على شكل سلسلة امتدت لسنتين تقريبا ، حتى أتممتها أربعين عنوانًا ، ثم عزمتُ على نشرها في ملفٍ واحد ففعلتُ ، و مع تقادم الزمن .. ارتأيتُ أن أعيد النظر فيها .. فتأملتُ ثم أضفتُ و حذفتُ و عدّلتُ ، ثم جهِدت جهدي أن أعيد نشرها بعدما طالها الذي طالها ، و ها أنا أعيد نشرها كنسخة معتمدة بدلًا من النسخة القديمة .

و قد كان عملي في هذه النسخة كالتالي :

١. قمتُ بإعادة ترتيب العناوين ترتيبًا منطقيًّا قدر الإمكان ، و قد وجدتُ صعوبةً في هذا فاستعنتُ ببعض الأحبة فأفادوني و أرشدوني .
٢. قمتُ بإعادة تسمية عناوين بعض اللوحات بحيث تناسب المحتوى بشكلٍ أليَق .
٣. قمتُ بدمج العناوين المتسلسلة - و التي كانت على شكل حلقات - تحت عنوانٍ واحد .
٤. قمتُ بحذف لوحةٍ تتعلق بالطلاب بشكلٍ مباشر ؛ و ذلك حتى يكون هذا الكتاب موجّهًا بكل ما فيه إلى المشرفين و المدرسين فقط ! و قد أثبتُّ لوحة "إليكم آل الثالث الثانوي" رغم أنها موجهةٌ للطلاب ؛ لأني أرغب أن يوصلها المشرفون إليهم .
٥. قمتُ بالعزو و التخريج و التعليق ، و أنا في هذا بين مقلّ و مستكثر بحسب ما يمرّ بي من شرة و فترة ، ولولا أن الوقت حاصرني لاستفرغت وسعي .

٦. أضفتُ تسع لوحات جديدة ، وهي : مفاهيم خاطئة حول الإشراف – مهارات اللقاء الأول مع الطالب الجديد – كيف تقوم برحلة ناجحة ؟ - فنيّات في الرحلات – سبرُ التعلّق – اترك أثرًا قبل الرحيل – خواطر في الاستقامة – عقابيل – تدوين التجارب .

٧. راجعت إحدى اللوحات القديمة فترددتُ في مضمونها .. ثم عزمتُ على صياغتها من جديد مع نقض فكرتها القديمة ! ثم تراجعت عن هذا .. ثم ارتبكتُ ! و ما زلتُ فيها على رأيٍ غير محسوم .. فأثبتُّها كما هي ! لذا .. قد تشعر باضطراب في الرؤية حين تتأملها ! و لعل هذا من جميل التردد .

٨. كتبتُ لوحةً جديدة و ترددتُ في طرحها خشية أن يُساء فهمها ، ثم عرضتها على من أثق برأيه فلم أجد جوابًا ، ثم استخرت الله فضمّنتها في هذا المجموع .

و قبل أن أختم ..

١. قد تجدُ تباينًا في الأسلوب و عمق الفكرة بين اللوحة و أختها ، و مردُّ هذا إما إلى صفو القلب و اعتدال المزاج ، و إما إلى البعد الزمني في كتابة هذه اللوحات ، فبين أول لوحةٍ كتبتها و آخر لوحةٍ قرابة الأربع سنين أو تزيد ، و المرء لا يبقى على حالٍ واحدة .

٢. لا تتعامل مع هذه اللوحات على أنها وحيٌ منزّل ، هي كغيرها يؤخذ منها و يُردّ ، لا توالِ فيها و لا تناكف ! ما وافق الحق فخُذه و ما لا فلا !

٣. لا ترتعش إذا كتبتُ شيئًا خالفَ رأيًا عندك ! و لا تغضب و لا توجل .. و لا تتشنج ! كثيرٌ من القضايا التربوية غير محسومة بشكلٍ قطعي ، فوسّع دائرة العذر و تحرَّ الحقّ .

٤. قد تتكرر هذه المصطلحات : [الشباب ، الحلقة ، المكتبة] ، و المراد واحد .

٥. أحبُّ إليّ أن تطبعها و تدفعها إلى مَن يستفيد منها ، فالنسخ الالكترونية لا تشجّع على القراءة و التدقيق و النقد .

٦. لا تنسني من نصحك و نقدك و تسديدك ، و ذلك على البريد الالكتروني ، فإني لك و منك و بك .

و أخيرًا .. الشكر للّه أولًّا ثم لكل من أولاني عنايته ، الشكر لأبي عمر وأبي طارق وأبي محمد وأبي راكان وأبي أنس .. أولاء الذين صنعوا فيَّ الفَرق ! ثم الشكر لكل من منحني فرصةً لأسهم في بنائه و توجيهه ، فلولا اللّه ثم هو لما كانت ذه ! و شكرٌ محفوفٌ بالدّعوات لأخي أبي أسامة "زيد الزعيبر" فلولاه – بعد اللّه – لما كانت هذه النسخة .. إذ ما ترك نُهزةً و لا فرصةً إلا طاردني و حاصرني .. فكان له الفضل العريض في إخراجها ..

و اللّه أعلم !

اللوحة الأولى

بالحُبِّ يقود القبطان دفّة التربية باقتدار ..

سألتُ أحدهم - وكان طالباً- : أيُّ الأطياف تلوحُ أمامك بشكلٍ مستمرّ ؟ فتتمنى أن لو تكون أنتَ هي ؟

جال في الأفق بعينيه الشاردتين، وقد استرجع من أرشيف الذكريات كثيراً من الذوات والأشخاص، وبعد إدمان التفكير، أجاب منتشياً : ومن ينسى أبا ثامر ؟!

لم يكُن هو الوحيد الذي أجاب هذا الجواب، كلُّ دفعته وأقرانه ومن قَرُبَ منهم علوّاً أو دنوّا، يحملون الشعورَ نفسَهُ تجاه أبي ثامر، تراهم يُنصِتونَ له إذا تكلم، ويحتفون به إذا حضر بعد طولِ غيبة، ويسارعون إلى استشارته عند حلول مشكلة، ولا يصدرون عن رأيه أبدا، إنه يحبّهم ويحبّونه، فنال هذه المنزلة الرفيعة ..

عن نفسي.. إن أنسى فلا أنسى أبا محمد، أحببته حبًّاً جمّا، وكذا من هم في سنّي، وكان يبادلنا الشعور نفسه، لا أخفيكم .. لربما غضبَ عليَّ لأمرٍ اقترَفَتْه نفسي الأمّارةُ بالسوء، ولربما نلتُ منه التوبيخ مع شيءٍ من القسوةِ، ومع ذلك تزداد – والله– محبتي له، لأنه يغضب بحُبّ، وشتان بين غضب الحب، وغضب الغل والحقد.

الحُبُّ المتبادلُ بين المربّي والمتربي من أعظم الركائز الأساسيةِ التي تقوم عليها عمليةُ التربية (وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ)[1] ما رأيتُ فيما طبقتُّ ، ولا في استقرائي للمربين العاملين في هذا الميدان، أكثرَ نجاحاً ولا إنتاجاً ولا توفيقاً من المربّي المحبوب، الذي يحبّه طلابه لدماثة أخلاقه وطيب خصالهِ، بل - والله - إن أثره يصلُ إلى بيتِ المتربي دون أن يشعر، وأقولُ هذا الكلام بناءً على شيءٍ رأيته ، لا تنظيرًا و لا حذلقة .

يقول محمد قطب : (فما لم يشعر المتربي أن مربيه يحبه، ويحب له الخير، فلن يقبل على التلقي منه، ولو أيقن أن عنده الخير كله، بل لو أيقن أنه لن يجد الخير إلا عنده، وأي خير يمكن أن يتم بغير حب ؟!)

---

١) سورة آل عمران : ١٥٩

و أنا هنا لا أتكلمُ عن الحبِّ المذموم، الذي هو نتاجُ ثقافة سيئة، فهذا النوعُ من الحبِّ يهدمُ ولا يبني، يبور ولا يعيش، يضمحل ولا يبقى، إنني هنا أتكلّمُ عن الحبِّ بمعناه النقيّ الكبير، الذي أعيا الأخلاءَ طلبه، وأضاع الأصفياءُ مسلَكَه، أتكلّمُ عن الحبِّ الذي ارتضاه رسول الله ﷺ منهجاً له، وعاشَ الصحابةُ في كنفه - في عهد أبي بكرٍ- لا يتخاصمون إلى قاضيهم عمر، مما حدا بأبي بكرٍ أن يغلق باب المحكمة بالشمعِ الأحمر مُدّةَ خلافته، لأن الحبَّ قد فصل في القضيّة، وجعل الأرواح تحلّق عالياً في السماء، إنه حبٌّ علمتُ فيما بعد أن القوم يسمونه: (الحب في الله) وهو عنوانٌ كبير، يحمل تحته جملةً كبيرةً من المضامين، تؤدي في الغالبِ إلى حبِّ العمل كبُرَ أو صغُر، كحبِّ احترامِ الصغيرِ للكبير، وحبِّ الشفقةِ من الكبير للصغير، وحبِّ الخير للغير، وحبِّ قضاء الحوائج و.. إلخ، والخلاصةُ أن لا تُقدِمَ – أيها المشرفُ – على العمل في هذه المحاضن إلا وأنت تؤديه بحُبَّين، الأول (حبٌّ في الله)، والثاني وهو في الغالب نتيجةُ الحبِّ الأول (حبُّ ذات العمل) لا أن تؤديه على أنه واجبٌ ثقيل تنتظر الخلاص منه .

بعد ذلك، سنشرع معاً في قراءةِ الطُرُقِ والأساليب التي يمكن من خلالها أن نقتنص قلوب أفرادِ المحضن، حتى نؤثرَ فيهم بشكلٍ أفضل.

الحبُّ يحتاجُ إلى صبرٍ ومجاهدةٍ وحُبّ..!

اللوحة الثانية

أرِش سهمك فقد لاح الصيد

من المقرر أن نتكلّم في هذه اللوحةِ عن وسائل اقتناص القلوبِ واصطيادها ، خصوصاً تلك الوسائل والأساليب التي تتعلق بالمحاضن التربوية ، وهو موضوعٌ كبيرٌ ومتشعب ، و سوف أحاول استيعاب ما يمكن استيعابه ، لكن قبل الشروع في تلك الوسائل ، لا بد أن نعي ونفهم .. لمَ نقتنصُ القلوب ..؟ ولمَ ندعو إلى فعل ذلك ..؟

الجوابُ - يا رعاك اللّه- :

١- نقتنص القلوبَ ونصطادها اقتداءً بسيدنا إبراهيم ﷺ حينما دعا ربّه فقال : (وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ)[٢] قال القرطبي ناقلاً : (قال مجاهد : هو الثناء الحسن . و قال ابن عطية : هو الثناء وخلد المكانة بإجماع المفسرين)[٣] ولا يكون لسان الصدق إلا بمحبةِ الناس لإبراهيم وإجلالهم له ، قال القرطبي في الجامع : (فنبه تعالى بقوله : "واجعل لي لسان صدق في الآخرين" على استحباب اكتساب ما يورث الذكر الجميل . قال الليث بن سليمان : إذ هي الحياة الثانية)[٤] و قال الله في سياق امتنانه على موسى ﷺ : (وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي)[٥] قال القرطبي ناقلاً : (قال ابن عباس : أحبه الله وحببه إلى خلقه)[٦] و قال الله تعالى ممتناً على المؤمنين : (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا)[٧] قال البغوي في تفسيره : (أي : محبة . قال مجاهد : يحبهم الله ويحببهم إلى عباده المؤمنين)[٨] ولا يقذف الله في قلوب الناسِ محبّةَ عبدٍ من عباده إلا بفعل الأسبابِ المؤديةِ إلى ذلك ، ومن الأسباب .. حُسن المعاملة ، و لطافةُ المعشر ، و الصبر على معايشة المتربين .

---

٢) سورة الشعراء : ٨٤

٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٣ / ١٠٦ ، دار الفكر .

٤) المصدر السابق نفسه ١٣ / ١٠٧

٥) سورة طه : ٣٩

٦) المصدر السابق نفسه ١١ / ١١٦

٧) سورة مريم : ٩٦

٨) معالم التنزيل للبغوي ٥ / ٢٥٨ ، دار طيبة .

و عليه .. فإن غرس محبتك في قلوب الناس و تفعيل الأسباب من أجل ذلك هو سنّةٌ نبويّة، ومطلبٌ شرعي ، و غايةٌ حميدة . قال إمام دار الهجرة مالك بن أنس : (لا بأس أن يحب الرجل أن يُثنى عليه صالحا و يُرى في عمل الصالحين ، إذا قصد به وجه الله تعالى)[٩] .

٢- نقتنصُ القلوبَ حرصاً على سُمعةِ التربية، وإظهاراً لبريقها اللامع الأصيل، حتى نستميل القلوبَ أكثر و أكثر ، فيأتي المتربي إلى محاضنها راغباً مختاراً ، خصوصاً في المحاضن التي يكون للمتربي الخيار فيها في الانخراط من عدمه، كالحِلقِ والدور.

٣- وعليه مدار التربية، وهو مربط الفرس، وقطبُ الرحى، وهو أننا نقتنصُ القلوب حتى نملك ناصيةَ المتربي فنوجهه إلى الخير فلا يضجر، وندله على الصواب فلا يتأخر، ونحذّره من الخطأ فلا يستنكف أو يستكبر، وهذه نتيجة طبعيةٌ لمن ملك زمام القلوب، ولنا في تحريم الخمر في زمنِ النبوّة أعظم عبرة .. إذ كان تضلّع قلوب الصحابة بحبّ الله و رسوله من أعظم أسباب سرعةِ استجابتهم للأمر السماويّ .

وبعد هذه المقدمة المختزلةِ في بيانِ دواعي اصطياد القلوب، نلجُ الآن إلى معرفةِ الكيفيةِ التي نتوصلُ بها إلى هذه الوسيلةِ العظيمة، مردفةً بالقصص والتجارب، بعيداً عن الكلام المثالي، والتنظير البارد .. وقد تجدُ – أرشدك الله – في بعض الوسائل شيئاً من الإغراب، و ربما تكلمتُ بشيءٍ من التفصيل في بعضها، مما قد يجعل البعض يرى أنها لا تستحق هذا التفصيل، لكن ثقوا ثقةً تامة أنني لم أبسط القول إلا لأنني أظنُّ أن الأمر مهمٌ غايةَ الأهميّة ..!

٩) أحكام القرآن لابن العربي ٣ / ٤٥٩ ، دار الكتب العلمية .

أقول:

١. بقدر قربك من الله يكون قبول الخلق لك ، فإن الله إذا أحبَّ عبدًا طرح محبته في قلوب الناس ، فأصلِح خلوتك يصلح الله أُخُوّتك ، و راقب قلبك .. تلهج القلوب بحبّك و تسعد بقربك ، يقول ابن الجوزي في صيد الخاطر : (والله لقد رأيت من يكثر الصلاة والصوم والصمت ، ويتخشّع في نفسه ولباسه والقلوب تنبو عنه ، وقدره في الناس ليس بذاك ! ، ورأيت من يلبس فاخر الثياب وليس له كبير نفل ولا تخشع ، والقلوب تتهافت على محبته ، فتدبرت السبب فوجدته " السريرة " ، فمن أصلح سريرته ، فاح عبير فضله ، وعبقت القلوب بنشر طيبه .. فالله الله في السرائر ، فإنه ما ينفع مع فسادها صلاح ظاهر) .

٢. إن من أعظمِ ما تُستجلب به القلوب، وتُسلُّ به السخائم، هو سحر الابتسامة، وكلما كانت الابتسامةُ أقربَ إلى التبسط منها إلى التكلّف كانت أقربَ إلى القلب، وكلما كان دافعُ الابتسامة نابعاً من الحُبِّ الصادق كانت أمضى وأنفذ في القلب، واختيار التوقيت مؤثرٌ في ذلك، فلا يُقبَل منك أن تبتسم وصاحبك يُعاني أي لونٍ من المعاناة، فالعاقلُ من يشاركُ صاحبه مشاعره، لا من يصادمه تلك المشاعر .

ومما جرّبتُه وأفدت منه .. إرسالُ هذا السهم في وقتٍ لا يتوقعه الصيد، وبالمثالِ يتضحُ المقال: المحضنُ بمشرفيه وطلابه، مجتمعون في مجلس واحد، وكل اثنين أو ثلاثة يتهامسون فيما بينهم في حديثٍ جانبي، عدا "فهد" الذي صار منزوياً على نفسه، ربما يفكّر في أمر أشغله، وربّما رأى أن من بجواره يتحدثون في موضوعٍ يخصّهم فلا يقوى على مشاركتهم .. في هذه اللحظات أرِش سهمك، وأوتر قوسك، واستعد لاقتناص قلبِ "فهْد" ، وتحيّن لحظة التقاء عينيك بعينيه، فإذا وصلتما إلى نقطةِ الالتقاء فأرسل سهمك وابتسم، واظفر

بصيدك .. ولا مانع من القيام إليه للتحدّثِ معه – وإن كان يصغرك سنّاً - أو المسارعة إلى طلبه بقُرْبك لأجل مؤانسته.

٣. رطّب لسانك بذكر اسم المتربّي بين الفينةِ والأخرى، خصوصاً عند أول لقاء، وأيضاً عند اللقاء بعد طولِ غيْبة، لكن لا يكن هذا التكرار بشكلٍ متكلّف فيبعث السآمة والملل في نفسِ المتربي.

إن تكرار الاسم يُشعر الشخصَ المقابل، بقربك منه، وهو أسلوبٌ فعّال، لكسر الحاجز بين المربي والمتربي. وأنا أؤكدُ بذكر الاسم المجرّد، ولا أقصدُ الكنية أو أحبَّ الأسماء إليه – على الأقل في بدايات الطالب مع المحضن – والسببُ في ذلك أن ذِكر الكنيةِ من البداية قد يُشعر المتربي بوجودِ شيءٍ من التكلّف و الرسميّة ، خصوصاً إذا لم يعتد مثل هذا .

(كيف حالك يا فهد؟)، (أهلاً بفهد)، (اشتقنا لك يا فهد)، (كيف أبوك يا فهد)، وهلم جرّا..

٤. الرائحة الطيبة .. سنّارةٌ تبحثُ عنها السمكة..!

كن على استعدادٍ دائماً لتركيب الطُعْم في السنّارة، وليكن عطرُك المفضّل على مقربةٍ منك، ولتحرص دائماً على اقتناءِ عطرٍ ذي رائحةٍ باردةٍ خفيفةٍ فوّاحة في سيارتك، خصوصاً إذا كان المحضن تقوم آليته على مرور المتربّي بالسيارة من قِبَلِ المربّي، وقبل ركوبِ أحدهم معك بفترة بسيطة – خمس دقائق مثلاً – بادر بإرسال عطرك النفاث في جوانب السيارة لتكون السيارةُ حديثةَ عهدٍ به، وفي ذلك من إدخال الراحة على المتربي ما تجعله يتمنى المكوث في السيّارةِ أبدا، ولتحْرص على أن تُجمّل رائحتك أنت في كلِّ وقت، وهذا مُجرّبٌ وله أثرٌ ملموسٌ ومحسوس، ولا عجب فقد أخبر الصادقُ المصدوق ﷺ بأنه قد حُبب إليه من دنيانا النساءُ والطيب[١٠].

---

١٠) عن أنس بن مالك – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ: (حبِّب إليَّ من دنياكم النساء والطيب ، وجعلت قرة عيني في الصلاة) صححه الحاكم و وافقه الذهبي .

٥. (أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس ... ولئن أمشي مع أخ لي في حاجة أحب إلي من أن أعتكف في هذا المسجد شهرًا - في مسجد المدينة - ...)[١١] قضاءُ الحوائج وتنفيسُ الكُرب، سلاحٌ نافذٌ مُعطّل عند الكثير من الناس، ولا أدري لمَ ؟

ولستُ هنا أتكلم عن المصائب العظام والكروب الجسام - وإن كان تنفيسها عن الأخ مطلباً شرعياً - إنما أتكلم عن الحوائج التي لا تستدعي جهداً يُذكر، والأمثلةُ كثيرةٌ مستفيضة، كطالبٍ على موعدٍ مع امتحان أزفَ وقته وهو لم يستوعب المادةَ كما يجب، فما المانع من أن تنبري لتشرح له ما تعسّر إن كنت ملمّاً بالمادة، وإن لم تكن كذلك بحثتَ له عمن يُنفّسُ كربته.

وقد يمنع الحرجُ المتربيَ من البوح بمصيبته وهذا كثير جداً في مجتمع التربية، إما لوجود الحاجز بين المربي والمتربي، وإما لحياء المتربي الشديد، وإما لضعف الثقة من المتربي تجاه المربي، فأنتَ - في هذه الحالة - بحاجةٍ إلى كسر مثل هذا، بأن تكون المبادرةُ منك في السؤال عما أصابه .

وقد يقولُ قائل : وكيف أعلم بحلول كربةٍ عليه ؟؟

أقول : هذا الأمر يحتاج إلى فراسة ومعرفةٍ سابقةٍ بطباع المتربين وقد يطولُ تحصيل هذا الأمر، إلا إن كان حدسك أيها المربي عالياً فلن يصعب عليك ، والأفضل سؤال المتربي عن حاله بشكل مستمر، فقطرات الماء بإمكانها أن تثقب الصخرة، ليس بقوتها، وإنما بتواصل سقوطها.

---

١١) قطعة من حديث أخرجه الطبراني من رواية ابن عباس – رضي الله عنهما – مرفوعا ، و نصّه : (أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس، وأحب الأعمال إلى الله سرور تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة، أو تقضي عنه دينًا، أو تطرد عنه جوعًا، ولئن أمشي مع أخ لي في حاجة أحب إلي من أن أعتكف في هذا المسجد شهرًا في مسجد المدينة، ومن كف غضبه ستر الله عورته، ومن كظم غيظه ولو شاء أن يمضيه أمضاه، ملأ الله قلبه رضىً يوم القيامة، ومن مشى مع أخيه في حاجة حتى يثبتها له، ثبت الله قدمه يوم تزل الأقدام، وإن سوء الخلق ليفسد العمل، كما يفسد الخل العسل) رواه الطبراني وابن أبي الدنيا وحسنه الألباني .

وقد حذّرتُ من قبل .. وإنني الآن أحذّر من التكلّفِ في قضاء الحاجات تكلّفاً قد لا يستسيغه المتربي، مما يجعله يجفل ولا يُقبل ، لأن العاقل بطبعه لا يريد أن يكون عالةً على الناس .

٦. الرسائلُ فنٌ جميل .. و كلُّ ما يسمى رسالة، سواءً كانت رسالة ورقية من ذوات الأسلوب التقليدي القديم، أو رسالةً نصيّة من بُنيّات التقنية الحديثة، فإنها مقصودةٌ في حديثي هُنا، أتذكر في القديم القريب .. وعندما كنا في رحلةٍ إلى منطقة الجنوب، وبالتحديد في آخر ليلةٍ منها، استللتُ دفاتر الطلاّب المخصصة للتعليق على الدروس الثقافية وكتابةِ الفوائد، وأنا إذ ذاك طالبٌ في آخر سنةٍ بالمرحلة الثانوية، فجلستُ تحت ضوء القمر، والجميعُ قد أخلدَ إلى النوم، وأخرجتُ قلمي واخترتُ أسماء معيّنة لأكتب لهم رسائل أخويةً في دفاترهم، وأنا على علمٍ أن الدفاتر ستؤوب إلى أصحابها في نهايةِ الرحلة، لم يكن الاختيارُ محضَ اختيارٍ فحسب ، بل اخترتُ أسماء تحتاج – في نظري– إلى ما سأكتبه، وبالفعل كتبتُ ما فتح الله لي بأسلوب أخويّ مبسّط ممهورةً باسمي، ثم أعدتُ الدفاتر إلى أماكنها، العجيبُ أن أحدهم بعد ثلاثِ سنوات صارحني بتلك الرسالة - بعدما نسيتها – وكيف أنها أثّرت فيه – والفضل لله – وأنه لا يزال يحتفظ بها ولن يفرّط فيها كما يقول.

وحتى ينجح هذا الأسلوب – وهو أسلوبٌ يختصر لك الطريق إلى القلوب– لابد من مراعاة الأسلوب، ولا أقصد بذلك أن يكون أسلوباً رفيعاً من ناحيةِ السبك و التراكيبِ ، بل أقصدُ من ناحية المضمون و المعنى، عليك أن تكتب له بحُبّ وأن تؤكدَ له هذا المعنى في ثنايا السطور، كما أنه لا بد من مراعاة عقلية المتلقي ومدى استيعابها لما تكتب، و الأجمل .. أن تكون الرسالةُ بخط يدك فلا تكون مرقومةً بالحاسب، لأنها حينئذ ستكون أشد وقعاً في النفس، حتى وإن كان في خطك شيءٌ من السوء فإن هذا لا يمنع ما دام الخط مقروءاً، واحرص على أن لا تدفعها إليه بنفسك بل اجعل بينك وبينه وسيطا، ولتكن

الرسالةُ ممهورةً ومختومةً بالألفاظ الأخوية كـ أخوك (فلان الفلاني) أو محبك أو من أحب لك الخير، وما إلى ذلك.

الشقُّ الآخر .. الرسائلُ النصّية عبر جهاز الجوال، وهي لا تقل أهميةً عن الرسائل الورقية لكنها مقتولةٌ بالرتابةِ المملة ، وهذا ملاحظ .. و يمكنُ تفعيلها في عمليات الاصطيادِ بشكلٍ راقٍ ومتقدم.

من ذلك : أن تكون الرسالةُ من إنشائك أنت - حتى وإن كان أسلوبك بسيطاً - فما قَتَل هذه الوسيلة إلا الاعتماد على رسائل الآخرين أو الرسائل الجاهزة، مما يُشعر المتربي بأنها شيءٌ من المجاملة والروتين الذي لا يقدم ولا يؤخر، ومما يزيد الآصرةَ استعمالها في النصح والتوجيه، وكذا إرسال الرسائل إلى المتربي على حين فترة وانقطاع، كأن يكون مسافرا الصيف، ولن ينسى لك هذا الوصل ، فاقتنص قبل الفوْت !

٧. التواصل مع بيت المتربي، وهو أسلوبٌ يحتضر وللأسف الشديد ، قلما تجدُ مشرفاً تربوياً يتواصل مع بيت المتربي، وأقصدُ بالتواصل هنا ، التواصلُ مع والده وإخوانه سواءً كانوا كباراً أم صغاراً ، فالأب تقوم بتهنئته في العيد برسالة مذيّلة باسمك ، بالإضافة إلى تحيّن الفرص التي تصادفه فيها عند الباب فتقوم بالسلام عليه وتقبيل رأسه إن كان كبير السن، و حين تقبّل رأسه تكون قد ضربت ثلاثة عصافير بحجر واحد حيث تواصلتَ مع أبيه، وكسبت قلبَ الابن بهذا الخُلق، وزرعت في بقيّةِ المتربين احترام الكبير وتوقيره وإنزاله منزلته، واحرص – أيضاً - على إرسال السلام له مع ابنه بين الحين والآخر، وزيارته حال المرض، وكذا الحال مع الإخوة الكبار في التعرف عليهم وإرسال السلام لهم، أما الصغار فلا أقل من شراء الحلوى لهم والتودد والتلطّف معهم، فهذه ستجعلهم يتمنون الانضمام للمحضن ولو ساعةً من نهار، لما يرون من حسن المعاملة ولطيف الطباع، وهذا ثابتٌ بالتجربة.

٨. الهدية خيرُ مطيّة .. (وإذا كانت الهدية من الصغير إلى الكبير فإنها كلما لطفت ودقت كانت أبهى، وإذا كانت من الكبير إلى الصغير فكلما عظمت وجلت كانت أوقع) وشواهدُ التربية تُقرّرُ أن للهديةِ مفعولاً جبّاراً في استمالةِ القلوب، لا يعرفُ تأثيره إلا من جرّب .

ولا يشترطُ في الهديّةِ أن تكون باهظة الثمن، صعبةَ المتناول إنما يكفي فيها أن تكون متوسطةَ الكُلفة، لا تثقلُ كاهل المُهدي ولا تصيبُ المُهدى إليه بالحرج، وكما قيل: (الكُلفةُ تُذهب الألفة) وما أجملَ أن تكون الهديّةُ مما يسدُّ مَسَدّاً عند المهدى إليه، كأن تكون ساعةً لمن لا يملكُها، أو كتاباً أعيا المهدى إليه الحصول عليه، وما إلى ذلك.

وأذكّر دوماً بأهميةِ الحفاظ على بقيّةِ علاقاتك مع المتربين، فلا تكن الهديةُ على مرأى ملأٍ منهم، فهذا قد يورثُ الغيرة، و يولّد الضغينة ، اللهم إلا إن كان بعد تعليقها بسببٍ ظاهر معقول، كأن تقول : (قدّمتُ هذه الهدية لمحمد نظيرَ مواظبته على الحضور) مع تحقيق محمد لهذه الخصلة تحقيقاً ظاهراً دون أن يحققها أحد سواه ، و إلا فالواجب العدل .

أما إن أردت أن تهدي متربياً آخر، لا لشيء إنما لاستمالةِ قلبه، فليكن الإهداءُ في معزل عن بقيةِ إخوانه، حتى لا تكسب طرفاً وتخسر أطرافا، وأؤكد أن الهدية ليست مقصودةً في ذاتها، إنما هي وسيلةٌ إلى غاية حميدة.

٩. رزانةُ الشخصية، والسمتُ الموزون ، والثقافةُ الواسعة، والاطلاع النَهِم .. عواملُ تسلب الألباب، وتسبي القلوب، والحقُّ أن المربي ذا الشخصية الرزينة المتزنة، يكسبُ القلوب على المدى البعيد، خلافاً لشخصية المربي الفكِه الذي يتجاوز مرحلة الفكاهة إلى مرحلة التهريج وللأسف الشديد، قد تأسر الشخصية الفكهة قلوب المتربين لكنه أسرٌ رخيص خلافاً للشخصيّةِ الثقيلة التي تفرضُ نفسها بين المتربين، وينظر إليها المتربون بإعجاب شديد، خصوصاً إذا كانت

تملك مخزوناً ثقافياً تملك به زمام المجلس، وتثري به النقاش المفيد ، و الكمال أن يجمع المربي بين السمتِ و المرح[١٢] ، كلٌ في موضعه و مكانه ..

ومن المخجل أن يفهم البعضُ أني أقصد بالسمتِ جمودَ الشخصيّة، ذلك الجمود الذي يجعلكَ أحياناً لا تُفرّقُ بين الجدار وبين من أمامك، وغالبُ أصحاب هذه الشخصيات يخفون في دواخلهم نقصاً بهذا الأسلوب العقيم .

شخصيّةُ "أبي شامر" التي ذكرتها آنفاً، هي شخصيّةٌ تملك ما يُعرف بـ(الكاريزما)[١٣] بشكلٍ يفوق الوصف، ومع ذلك لم تكن ضحكاته سوى تبسّما، وعند استرساله في الحديثِ ترى الجميع شاخصين بأبصارهم، ينصتون بكل ما أوتوا من قوّة.

١٠.التغافل، التغافل، التغافل ..

و منه قول الله تعالى : (وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيءُ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ)[١٤]

قال محمد الطاهر ابن عاشور : (وإعراض الرسول ﷺ عن تعريف زوجه ببعض الحديث الذي أفشته من كرم خلقه ﷺ في معاتبة المفشية وتأديبها إذ يحصل المقصود بأن يعلم بعض ما أفشته فتوقن أن الله يغار عليه .

قال سفيان : ما زال التغافل من فعل الكرام . وقال الحسن : ما استقصى كريم قط ، وما زاد على المقصود بقلب العتاب من عتاب إلى تقريع)[١٥]

---

١٢) هذه منحٌ من الله ، قد يجمع الله للمربي بين هذين الطبعيْن .. فيلبس طبع السمتِ حين يكون موضعه ، و يلبس طبع الفكاهة و الظرف حين يكون موضعه ، و هذه هبةٌ من الله تستوجبُ الشكر .. قلّ من توهب له . و لا تتكلف – أيها المربي – خلاف طبعك .. كُن على سجيّتك في الجملة ، و تذكّر .. أن السمتَ سهل المتناول .. لكن الظرافة ليست لكلّ أحد ! فاعرف نفسك تنجُ !

١٣) الكاريزما : وصف يطلق على الجاذبية الكبيرة والحضور الطاغي الذي يتمتع به بعض الأشخاص والقدرة على التأثير في الآخرين إيجابيا بالارتباط بهم جسديا وعاطفيا وثقافيا . الموسوعة الحرة (ويكيبيديا)

١٤) سورة التحريم : ٣

١٥) التحرير و التنوير لابن عاشور ، دار سحنون .

يقول الشاعر :

ليس الغبي بسيد في قومه لكن سيد قومه المتغابي[١٦]

وهو فنٌّ يحتاج المرء فيه إلى ضبط النفس وترويضها ، وتتجلى عظمةُ هذا الفن عند حصولِ السَقَطات من جانب المتربي، لا أعني السقطات التي توجبُ نُصحاً وتوجيهاً شرعياً أو تربوياً إنما أقصدُ تلك السقطات التي يحرصُ فئامٌ من المربين – وللأسف – والمتربين على تخليدها في أرشيفهم، واستردادها بين الفينةِ والأخرى، مما يولّد كرهاً غائراً من طرف المتربي تجاه الشخصِ والمحضن، كخطأٍ في نُطقِ كلمةٍ ما ، أو تكرار ذكرِ موقفٍ حصل لا يُسرّ المتربي بذكره وترديده، أو المسارعةِ إلى جمعِ المتربين على التغني بالمواقف القديمة لـ (فلان) من أفراد المحضن وهو موجود بينهم وقد يُظهر الأنس والضحك،بينما الحقيقة أن في جوفه ناراً تضطرم أن كان أضحوكةً للجميع .

نقل الخطيب البغدادي في "تاريخ بغداد" قال : (قال أبو علي الدقاق: جاءت امرأة فسألت حاتماً عن مسألة ، فاتفق أنه خرج منها صوت في تلك الحالة فخجلت ،فقال حاتم : ارفعي صوتك . وأرى من نفسه أنه أصم ، فسُرّت المرأة بذلك ، وقالت : إنه لم يسمع الصوت . فغلب عليه اسم الصمم)[١٧].

فيا أيها المربي الحاذق ..

احرص في كل موقف يغلب على ظنك أن المتربي سيصاب بالحرج عند علمه باطّلاعك عليه أن تُعمِل معه سلاح التغابي وكأن شيئاً لم يكن ، و متى ما اجتمع أفراد المحضن على حديثٍ لا يُسَرُّ به أحد الأفراد فبادر – أيها المربي – إلى تغييره مباشرةً ، و بأيّ أسلوبٍ تراه مناسباً ..

---

١٦) بيت من قصيدة مطلعها : لوْ أنَّ دهراً ردَّ رجعَ جوابِ ❖❖ أوْ كفَّ منْ شأويهِ طولُ عتابِ ، وهي لأبي تمام .. وهو شاعرٌ عاش في العصر العبُاسي ، ينتهي نسبه إلى طيء ، أنشد شعره بين يدي المعتصم ، ولد عام ١٨٨ هـ وتوفي عام ٢٣١ هـ ، وفي أخبار أبي تمام للصولي : أنه كان أجش الصوت يصطحب راوية له حسن الصوت فينشد شعره بين يدي الخلفاء والأمراء .

١٧) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٨ / ٢٣٨ ، دار الكتب العلمية .

و ردد دوماً قول ابن الورديّ في لاميّته :

وتغافَــل عـن أمــورٍ إنّـهُ لم يَفُز بالحمدِ إلا مَن غفلْ[١٨]

١٨) البيت من لامية القاضي ابن الوردي ، و اسمه : أبو حفص زين الدين عمر بن مظفر بن الوردي ، ولد زمن المماليك عام ٦٨٩ هـ و توفي بالطاعون عام ٧٤٩ هـ . قصيدته اللاّمية جميلة جدا و هي مليئة بالنصائح و الحِكم ، و من الكمال أن يحرص المربّي على أن يُحفّظها طلابه مع الشرح و التعليق ، و تقع في ثمانين بيتاً تقريبا .

اللوحة الثالثة

منارات في بناء العلاقات !

كنتُ في نقاشٍ مع أحد الأحبة حولَ عددٍ من القضايا التربوية، فكان مما تم تداوله قضية العلاقةِ بين المشرفِ والطالب، وما الأسلوب الأمثل في سلوكها ؟ وهل الأفضل أن ينزل المشرفُ إلى مستوى الطالبِ حتى يكسبه ؟ مع ما في ذلك من التبذّل والتكلف إن لم ينضبط ، بل قد يصلُ الأمرُ إلى اندثار هيبته وسقوط كلمته وذهابِ أمره ونهيه، أم الأفضل أن يبقى المشرفُ كما هو فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر !!

إن القضيّةَ ليست بالهيّنة، ومن اعتقد ذلك فما عرفَ التربية ؛ ذلك أن العلاقةَ بين المشرفِ والطالب ستحدد مسار التربية في حق المتربّي !

إنني آمنتُ – و ما زلتُ – أن مفتاحَ التربية هو الحبُّ، ولا شيء سواه، سوى استثناءات نادرة، والشاذ النادر لا حكم له.

أما فردُ العضلات، وتقطيبُ الجبين، وعبوسُ الوجهِ مصحوباً بالصوتِ الأجش، فلم يعُد له قيمةٌ كما كان في بعضِ الأوقات، وإن آتى أكله في حينٍ، فلن يؤتيه في كلِّ حين، ومن هذا المُنطلق آثرتُ أن تكون هذه اللوحةُ أعمقَ في الطرح ، وقد اخترتُ أن يكون عنوانها " منارات في بناء العلاقات" - بين المشرفين والطُّلاب - واعلم أخي الحبيب أنه بحسبِ متانةِ العلاقةِ يكون قبولُ التوجيه، وأنا أعني ما أقول .. فتفقّد راحلتك، وأعدّ زادك .. كي ننطلقَ إلى تيك المنارات..

المنارة الأولى : كلُّ علاقةٍ لا يُقصَدُ بها وجه اللّه – تبارك وتعالى – فمصيرها إلى الزوال، واضمحلال البركة، سُنّةٌ ربانية، علمها من علمها، وجهلها من جهلها.

المنارة الثانية : على المشرفِ ألا يتكلّفَ خلاف شخصيّته، فإن كان بطبعه مرِحاً فكِهاً فليكن كذلك، وإن كان بطبعه ثقيلاً رزيناً فليكن كذلك، وعليه مراعاة أمرين :

أ. أن يعرف متى يُطلق العنان لشخصيته، فلا يسوغُ للمَرِحِ أن يكون مَرِحاً فكِهاً في درسٍ عليه طابع الجدية، ولا يسوغُ للرزين أن يكون رزيناً ثقيلا بشكلٍ مُطلق في رحلةٍ أو برنامجٍ عليه طابع الترفيه والتنفيس.

ب. أن لا يحاول إلباسَ الطالبِ شخصيّةً كشخصيته، فكلٌ ميسّرٌ لما خُلقَ له، قد يتأثر الطالب بشخصيّة المشرف وهذا لا إشكال فيه في الجملة، أما أن يحاول المشرفُ أن يغرسَ في الطالب هذه الشخصية، فليس هذا بصواب.

وعلى المشرفِ أن يعلمَ أن للمرحِ والفكاهة حدوداً – حتى وإن أتت في وقتها المناسب – فإياه أن يُفرِط في هذا الجانب، وإلا فإنه سيجد مِنَ الطلابِ من يتجاوزُ حدود الأدب تجاهه، بل قد يصلُ الأمرُ إلى استخدام اليدِ في هذا التجاوز، بل أتذكّرُ جيداً أن طالباً ضرب بيده وجه مشرفه من باب الدعابة ! والسبب أنه وجدَ شخصاً بضاعته الضحك، فكان هذا الأمر الجلل .

المنارة الثالثة : البعد كل البعد عن المزاح باليد ومُقدّماته مع الطالب، لأنه يؤدي إلى نتائج وخيمة، ولن يخلو حال الطالب معه من أمرين :

١. إما السكوت والإعراض الشكلي، مع بقاء الضغينة في النفس .
٢. أو مقابلة المشرفِ بالمثل، وهذا لن يؤدي إلى خيرٍ أبداً[١٩] .

فعيْن الحكمة أن يبتعد المشرفُ عن المزاحِ باليد، وأن يأمر الطلاّبَ بالابتعاد عنه فيما بينهم، حتى لا يقعَ المحظور المحذور!

المنارة الرابعة : قد يحتدُّ موقفٌ بين المشرف والطالب، يصلُ أحياناً إلى رفعِ الصوتِ، وكيلِ التُّهم . وبغضِّ النظر عن ماهيّةِ المشكلة، وهل هي تستحقُ أم لا ؟ فإنني أختصرُ الطريقَ وأقول – مع افتراض رجحان عقل المشرف وهو الأصل – اسعَ إلى احتواء الموقف، وامتصاصِ غضبِ المتربي / الطالب، ولا تصعّد الموقف . فقط .. الزم

١٩) كيف لمثله – وهو مراهق – أن يسكت ؟ فإن قلتَ : لن أتجاوز في مزاح اليد إلى الحدّ الذي يجعله يفكرّ في المقابلة بالمثل . قلتُ : إن استطعت أن تزِن الأمور بينك و بينه .. فقد فتحت بابًا لمن لا يحسن الوزن و التقدير .

الصمت ودعهُ يتكلمُ كما يريد ، حتى وإن كان على مرأى ومسمع من بقيّة الطلاب، فإذا انتهى وانسحب من المكان وهدأت نفسه، فبإمكانك بعد ذلك أن تتواصل معه حتى تتجلى الحقيقة . وصدقني إن ظهوركَ بهذا الموقف سيحقق لك نتائج إيجابية رفيعة ، منها :

أ. إكبار الطلاب لهذا الحلم ورباطةِ الجأشِ من طرفك، وأنت بحاجة إلى أن يعرف الطلاّب فيك هذا الخُلُق، لأنك ستحتاجه في التواصلِ معهم.

ب. دخول الطالب الغاضب بعد أن يستفيق من غضبه في دوّامةٍ من الندمِ والإحراج وشعوره بالذنب والخطيئة، مما يجعله يترك المكابرة ويعيد النظر في فعلته، وسيؤدي به ذلك – إن كان عاقلاً – إلى الاعتذار إليك عما بدر منه .

ت. أن هذا الصمت ستقطع به دابر الشيطان، وتستأصلَ شأفته، و هذا بحدّ ذاته مكسبٌ عريض.

ث. بعضُ الطلاّب قد ينظر إلى المشرفِ على أنه شخصية مستبدّة، غايةُ مُناها أن ترفعَ الصوت، وتسبَّ وتنتقم، هذه حقيقة مخجلة يتصورها بعض الطلاب، لأسبابٍ ليس هذا مكان طرحِها، وعندما يتصرف المشرفُ بهذا الهدوء والاتزان فستتحطم هذه الصورة في أذهان الأحبة !

مع العلم أنني أستثني من هذا التصرف ما لو كان الطالبُ معروفاً بتجاوزاته وقلّةِ أدبه، وفساد بضاعته، فمثلُ هذا ينبغي أن يُلزمَ حدّه . ولا بدّ – من باب التربية – أن يعتذر المخطئ من الطرف الآخر أمام مَن حصلَ على مرآهم هذا التجاوز، سواءً كان المخطئ مشرفاً أو كان طالباً .

المنارة الخامسة : البعد عن لغة التهديد والوعيد مِن قِبل المشرف، وهذه آفةٌ في كثيرٍ من الحِلق، إذ يقومُ المشرفُ بدوْر الشرطيّ، ويقومُ الطالبُ بدوْرِ اللصّ، مما يعني بالضرورة انتفاء أو ضعفَ المُخرجاتِ والنتائج، أو عدم الاقتناع بطرح المشرف، فالطالبُ في الحقيقة لم يقتنع بالمشرفِ حتى يتلقى منه، ولولا بعض الأمور المُنَفّسة

كبعض الزملاء والأصحاب، وكالرحلات والزيارات، لما بقيَ الطالبُ لحظةً واحدة، قد يُجدي هذا الأسلوب – مع تفاهته وتهافته – مع طالبٍ في المرحلة المتوسطة، لكن من الصعوبةِ أن يجدي مع متمرِّدٍ في المرحلةِ الثانوية، نحنُ نحتاجُ – بصفتنا مشرفين – إلى العنايةِ بأساليبنا وطرائقنا في إيصالِ الفكرة، نحتاجُ إلى إدراك ووعيٍّ تربويٍّ إلى كيفية إطلاق : افعل / لا تفعل، أما أسلوب الحجريّين : إن لم تفعل فسأفعل .. فقد كبُرَ وهَرِم، ولم يعد يجدي مع جيلٍ نشأ على: (لو سمحت، إذا ممكن، ليتك تفعل، إذا ما عليك كلافة .. إلخ) فذا سقف الحرية يرتفع و الخيارات تزداد و البدائل تتكاثر فارعَ كل هذا - يا مربّي- ووازن دون أن تتنازل عن المسلّمات . في السابق لم يكُن لطالبِ الحلقةِ خيارٌ آخر عندما يضيقُ ذرْعاً بتصرفاتِ مشرفيه، وهذا يفتحُ لهم المجال في إملاء الأوامر بأسلوبٍ مُتعالٍ، أما اليوم فالخياراتُ أمامهُ كثيرة، ولن تشغلَ الحلقةُ من حيّزِ تفكيرهِ شيئاً كبيراً كما كان الأمرُ سابقاً، وكثيرٌ من الطلاب يرى أن بقاءه مرهونٌ بأشياء قليلة .. مِن أقواها الرُّقيُّ في المعاملة!

أعجبُ كثيراً من أمرِ مشرفٍ لما تولى زِمامَ الحلقة كان أول شيءٍ بدأ به أن هدّد أهل الغياب بالاستبعاد، وأن الطلاب في قائمة الانتظار كثيرون .. و.. و.. إلخ، ألم يكن بوسعك أن تكون أرقى يا صاحبي ..؟؟

المنارة السادسة : المشاركة الوجدانية .. وأعني بها أن تشاركَ الطالبَ في أفراحه وأتراحه، شاركه همومه وغمومه، شاركه بهجته وأنسه، والأحداث كثيرة لا تُحصر : (موت قريب، مرض عزيز، نجاح، شراء سيارة / جوال / حاسب آلي / ...، حفظ القرآن، فوز بمسابقة) .. الأمر سهل، فقط اتصال أو رسالة أو مصافحة ومعانقة، فلمَ تبخلُ أيُّها المربّي ؟ افرح أو احزن وكأنك أنت صاحبُ الحال.

المنارة السابعة : بناء الثقة في الطالب المُحبَط، وتعزيزها في الجيّد الواثق، وليتَ كثيراً من المشرفين يُدركون أن الطالب بحاجةٍ إلى مثل هذا، البشرُ بطبيعتهم يحبّونَ الثناء والتشجيع، والتحفيز والمباركة، ولا يفتأ لسانك عن: (أنا أثقُ فيك ثقةً كبيرة .. أنا

أفتخرُ بأنك أحدُ أفرادِ هذه الحلقة .. أنتَ فخرٌ لنا .. إنني أتشرفُ بالإشراف عليك .. أنتَ تملكُ طاقاتٍ عظيمة .. بأمثالك نرتقي..) وغيرها من الألفاظ التي تعزز ثقة الطالب في نفسه، وتجعله يبذلُ المزيد والمزيد، وتزدادُ الحاجة إلى مثل هذا عندما يقوم الطالبُ بأمرٍ عظيم يبزُّ به أقرانه، وثِق - أخي المشرف الكريم - أن الطالبَ إن لم يسمعها منك .. ربما يسمعها من غيرك فينجذب إليه، واللّه أعلم من يكون هذا الغير ؟؟ وإنني على ثقةٍ بأن هذا الأسلوب سيمدُّ جسوراً متينة بين قلبك وقلبه، وهو حافزٌ عظيم يدعو الطالب إلى الاستمرار في الحلقة، والسبب .. أنه وجد من يحفظُ له قيمته.

المنارة الثامنة : العدل العدل بين الطُّلاّب، لا تفضِّل طالباً على آخر بدون سببٍ ظاهرٍ صحيحٍ مقبول، وعند وجود هذا السبب (تميّز في الحفظ – مواظبة على الحضور – حماس في البرامج ... إلخ) فلا يعني هذا أن نهمِّش البقيّة، لأنك إذا همّشتهم همّشوك، ولا تنتظر من طالبٍ عزيز النفسِ أن يخطبَ ودّك وحُبّك، والتهميش من قِبل الطرفين أو أحدهما يعني هشاشة العلاقةِ حتماً .

الواجبُ أن نثني على الطالب بما فيه، وأن نُفضّله في المجال الذي تميّز فيه ، ولا يتعدى هذا إلى شيءٍ آخر، والمشرفُ المُنصِف سيجدُ في كلِّ طالبٍ صفةً متميزةً يثني عليه بها، وبهذه الطريقة يكسبُ جميع الأطراف دون أن يخسرَ أحداً ، و انظر أسلوب النبوّة الباهي (خَيْرُ فُرْسَانِنَا أَبُو قَتَادَةَ ، وَخَيْرُ رَجَّالَتِنَا سَلَمَةُ بْنُ وَهْبِ بْنِ الأَكْوَعِ) ،ثم .. يجبُ أن يعي الطالب سببَ ثنائي أو محبتي لفلان أو غيره، ويجبُ أن يكون السبب ظاهراً وصحيحاً ومقبولاً، وستجني من ذلك شيئان:

أ. تنافس الطلاّب على اكتساب هذه الصفة الحميدة .[خصوصاً طلاب المرحلة المتوسطة] .

ب. وضوح سبب هذه المحبة، حتى لا يتعرض لك المتصيدون في الماء العكِر.

وبقيَ في هذه النقطة أن أعلق على القيود التي ربطتها بالسبب حينما قلتُ : "أن يكون السبب ظاهراً وصحيحاً ومقبولا " . أما أن يكون ظاهراً فـ حتى يقتنع الطلاب بسبب

هذه المحبّة أو هذا الثناء، خلافاً لما لو كان خِلاف ذلك، فقد يكون السبب غير ظاهرٍ للطلاب[٢٠]، أو يكون ظاهراً للبعضِ دون البعضِ الآخر، وصدقني إن التميّز الحقيقي للطالب الذي يستحق به الثناء هو التميّز الذي يظهر للمشرفين والطلاب وقد يتجاوز ذيوعه إلى ما وراء ذلك، أما التميّز الذي تراه فيه أنتَ فقط .. فأعد النظرَ فيه ! وأما أن يكون صحيحاً فـ لأجل الصدق والأمانة فلا يليقُ بك كمُرَبٍّ أن تدّعي في تلميذك ما ليس فيه، وهذا ضرره عليك وعلى الطالب وعلى بقيّةِ الحلقة .. فتنبّه . وأما أن يكون مقبولاً فـ لأن بعض الأسبابِ لا يقبلُها الطلاّب، مما يجعلك فريسةً سهلةً للألسن، مما يضفي على علاقتك بالطلاب توتراً أنت في غنىً عنه، فليس من المقبول أن أثني على فلان لأنه يُشبهُ أحد أقاربي مثلاً !!!

واعلم - رعاك الله – أن للحُبِّ والثناء على السبب الظاهر الصحيح المقبول حدًّا لا ينبغي أن نتجاوزه فيؤدي إلى ما لا يُحمد، وعلينا أن نركلَ العاطفةَ في مثل هذه الأمور، لأن العاطفةَ تخلُقُ تميُّزاً لا قيمةَ له أو لا وجودَ له، والمفترض أنه كلما تميّز الطالبُ زيدَ في الثناء عليه حتى يُعطي أكثر[٢١] .. ولن تُعدَم متميزاً إن أنصفتَ[٢٢] .

المنارة التاسعة : مما يحُزُّ في النفس، ويدمي الكبد أن ثلّةً من الشباب الصالح – غفر الله لهم – يُطلِقون ألسنتهم فيجرحون مشاعرَ بعضِ الطلاّب، بقصْدِ إدخال السرور في نفوسِ الحاضرين، وعلى حساب من ..؟ على حسابِ هذا الطالبِ المسكين الذي لا يملكُ لساناً يُدافعُ به عن نفسه، فيضطر إلى التظاهر باللامبالاة مجاملةً للحاضرين، وفي قلبه نارٌ تضطرِم .. إن هذا التصرُّفَ المشين .. يقطعُ حبال الوصْلِ بين المشرفِ والطالب، ومن المفترض أن يُمنع هذا الأسلوب حتى بين الطلاّبِ أنفسِهِم، لستُ أتكلم

---

٢٠) و هذا رحِمُ الظنون السيئة .. فاحذر .

٢١) الثناء في الوجه بما هو حقٌّ .. لا حرج فيه لكن بقدره دون وكسٍ ولا شطط مع أمن الفتنة على الممدوح ، كفتنة العُجبِ و نحوها ، و الكمال أن يثني المربّي على تلميذه بالحقّ دون المجاوزة مع عزمه على كسر سطوة العُجبِ و الكبر و التعالي على الأقران إن بدا شيءٌ من ذلك !

٢٢) و ليتك تعلم أن من فقه التربية أن بعض الطلاب الخاملين و الكسالى يخرجهم الثناء – ولو لم يكن حقًا - من سفح الخمول و الكسل إلى قمّة العطاء و الإنتاج .. فافحص تجد .

هنا عن بعض القفشات و (الذبّات) العابرة التي تلطّفُ الجو وتحرّكه، فهذه أمرها سهلٌ جداً، بل هي مطلوبةٌ في بعضِ الأحيان، إنما أتكلّمُ عن الإصرار على أن يكونَ فُلان هو الضحيّةُ الدائمة لألسنة الشباب، فكلما جمَع الشبابَ الفراغُ إذ بهم يُسلّطون مدافعهم على المسكين أنس، حتى صغار الطلاّبِ يتطاولون عليه، والأشدُّ قُبحاً وعيباً وشناعةً أن يكون مدارُ السخريةِ على أمرٍ ركّبه الله فيه وجبله عليه، كالصفات الخَلْقيّةِ مثلاً.

هذه القضية تحتاجُ إلى فراسةٍ شديدة، على المشرفِ أن يعيَ متى يتضايق الطالبُ من هذا الأسلوب حتى ينتهي، وعليه أن يعي متى لا يتضايق، وعليه أن يختار الكلمةَ جيّداً قبل إطلاقها، وعليه أن يمنع التجاوزات غير المقبولةِ من الطلاّب والمشرفين، وإياك أن تغترّ بضحكات الطالب المستهدَف، فليسَ الأمرُ على ظاهره .

المنارة العاشرة : كُنّا نلعبُ كرة القدمِ في ملعب الاستراحة، أحد المشرفين كان ذا حماسٍ ثائر، وعند احتدام الوطيس، انقضّ على الكرةِ بشكلٍ شرِس، ومن فضلِ الله أن الإصابة كانت في حقِّ الطالبِ مهند بسيطةً لا تكادُ تُذْكر . لم ينتهِ الأمر هُنا .. عندما اجتمعنا للعشاءِ في الغرفةِ المخصصة، طلب المشرفُ أبو رائد من الجميع الإنصات، أبو رائد كان هو صاحب الانقضاضة العنيفة قبل قليل، تكلّم في سَمْتٍ وهدوء، ثم – وأمام الجميع – اعتذر من مهنّد على ما بدَرَ منه من شدّةٍ وعُنف ! الموقفُ على الورق كان – فيما يبدو– عاديّاً، لكن في الواقعِ كان موقفاً في منتهى العظمة .

أخي المشرف .. لا تتردد .. إذا أخطأت فاعتذر، واعتذارك أمام الجميع يعني للتربيةِ الشيءَ الكثير، خصوصاً إذا ظهَر الخطأ أمام الجميع ! صدقني .. لن تندم !! فقط قل : آسف!

المنارة الحادية عشرة : احرص على استشارة المتربي في بعض الأمور، وليسَ بالضرورةِ أن تأخذَ برأيه، إنما يكفي أن تسمع رأيه وأن يدلي به، ولا يلزم أن تستشيره في أمور الحلقة، بل قد يكون هذا أمرًا سلبيّاً ، إنما استشره في بعضِ أمورِكَ الشخصية : (أنا

مُحتار أشتري الجوال الفلاني أو الآخر .. ما رأيك ؟) كونُ الطالبِ يقول رأيه في مسألةٍ مّا تخصك .. هو في الحقيقة إشارةٌ منك إليه، سيفهم منها أنك تهتمّ برأيه في خصوصياتك، وهذا أثره في نفس الطالبِ عظيم، خصوصاً إذا كان الطالبُ من النماذجِ الصامتةِ المنطويةِ على ذاتها، ولعل في هذا حافزاً له ليبني العلاقةَ بشكلٍ أفضل مع بقيّةِ أفراد الحلقة .. من يدري لربما كان يفقد الثقة بنفسه ..

المنارة الثانية عشرة : على المشرفِ أن يبتعدَ عن كلِّ تصرُّفٍ يجعله هدفاً في دائرة الاتهام من قِبل أعضاء الحلقة، أيًّا كان هذا التصرُّف، ذلك أن بعضَ النفوس لا تفقهُ طريقاً إلى إحسان الظنّ، إنما تحفُّها شياطين الفرية والبهتان من كلِّ جانب، ولو توقّف الأمر على إساءة الظنّ لكان ذلك هيّناً، إنما الواقع أنه يتعدى ذلكَ إلى الخوض و الإيغال في النوايا والمقاصد، فتكون تصرُّفات المشرفِ على لسانِ كُلِّ طالب، بل يصلُ الأمرُ إلى تحميل بعض التصرفات ما لا تحتمل، فعليك أخي المشرفُ أن تعي ذلك جيّداً، وأن تتحرز من كل ما يسيء إليك، وعلاقةُ هذا بموضوع اللوحة واضحٌ غايةَ الوضوح، بيان ذلك : أن في تردّي سمعتك عند الطلاب مؤشّرٌ خطيرٌ يؤدي إلى سقوطك من قلوبهم، وانقطاع وشائج الودّ بينك وبينهم.

ومتى ما صدرَ منك تصرُّفٌ قد يُساءُ فهمه فلا تتردد في تبريره – إن ناسب – بالطريقة المناسبة من باب " على رسلكما ، إنها صفيّة بنت حيي "[٢٣].

المنارة الثالثة عشرة : الإنصات حال كلامه، وهو أمرٌ عزيزٌ أيُّها المربّي الفاضل، قلَّ من يتقنه ويعملُ به، وعندما أقول الإنصات فلستُ أعني هُنا مُجرّد الاستماع .. فهذا

---

٢٣) رواه مسلم في كتاب السلام ، باب : بيان أنه يستحب لمن رئي خاليا بامرأة وكانت زوجته أو محرما له أن يقول هذه فلانة ليدفع ظن السوء به ، برقم : (٤٠٤٨) .
و نصّ ما رواه مسلم : عن صفية بنت حيي قالت : كان النبي ﷺ معتكفا فأتيته أزوره ليلا ، فحدثته .. ثم قمت لأنقلب ، فقام معي ليقلِبني ، وكان مسكنها في دار أسامة بن زيد ، فمر رجلان من الأنصار ، فلما رأيا النبي - صلى الله عليه وسلم - أسرعا ، فقال النبي ﷺ : " على رسلكما إنها صفية بنت حيي " ، فقالا : سبحان الله يا رسول الله ، قال : " إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم ، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شرا أو قال شيئا " .

سهلٌ ميْسور، إنما أعني التفاعلَ مع كلام الطالب / المتربي، بكلِّ وسيلةٍ ممكنة، سواءً بتعابير الوجه، أو بنظرات العيْن وما إلى ذلك، نخطئ – أيها الفاضل – حينما نُقنِعُ أنفسنا ونحاول أن نُقنِعَ غيرنا بأن ما يطرحه الطالب لا يستحق الإنصات، ليستْ القضيّةُ هنا قضية يستحق أو لا يستحق، إنما القضيّةُ هنا أن نعطيَ الطالبَ ثقةً يبحثُ عنها، وأن نقوّي وشائج الاتصال والتواصل بيننا وبينه .

أخي المربّي .. كما تحبُّ أنت أن ينصتوا لك .. أيضاً هم يُحبّون أن تُنصِتَ لهم ! فلا تكُن أنانيّاً..

المنارة الرابعة عشرة : التواصل مع المتربي بعد استبعاده من الحلقة، أيًّا كان سببُ استبعاده، إلا إذا كان في هجره مصلحةٌ شرعيةٌ راجحة[٢٤] فلا إشكال، بل هو المطلوب .

إنك - أيها المشرف الكريم - عندما تتواصلُ مع من استبعدته من محضنك، تكون - و بشكلٍ غير مباشر - قد أوصلتَ رسالةً إلى طلابك عند علمهم بمثل هذا .. مفادها أن علاقاتنا لا تقف عند حدود الحلقة فحسب ! فنحنُ أوفياء وإن حادَ الصاحب والصديق، ولسنا ممن يكفرُ بالصِّحابِ لمجرّد وقوعهم في الخطأ.

وهذه الرسالةُ تؤدي بالضرورة إلى تعميق العلاقة بين المشرف والطالب، والمربي والمتربي .

المنارة الخامسة عشرة : التواصل مع المتربي حال انقطاعه، وهذا يتأكد في مواسمِ الإجازات والعُطَل، حين يحزمُ الطالبُ أمتعته مسافراً إلى مسقط رأسه، أو إلى أرضِ اللّه الواسعةِ مع أهله وذويه . ثم يشعر بعد مدّة أن القوم قلوْه وتركوه، بين الفينة وأختها ينظر إلى هاتفه ينتظر رسالةَ مشتاق أو اتصال ملهوف ! ويطول انتظارهُ حتى

٢٤) و ابتعد عن المصالح الموهومة المزيّفة ، إني أعظك أن تكون من الجاهلين .

يُصابَ بالإحباط ! حتى إذا حانتْ ساعةُ الصِّفر وطرق الطارقُ الهاتفَ، كان لهذا الطارق أعظم الأثر في نفس الطالب .. واسأل به خبيرا !

واعلم أخي الحبيب .. أن بعض الطلاب قد يعمدُ إلى الانقطاع عن الحلقةِ في أيامها مُدّةً من الوقت، وهدفه من ذلك أن يعرف مدى حرصِ المشرفين عليه وحبِّهم له، فلا تُمانِع من التنزُّلِ له والتواصل معه.

والمحصلة .. احرص على التواصل مع المتربي حال انقطاعه أيًّا كان سببُ الانقطاع، وليكن هذا التواصلُ دوريًّا مستمراً إلى أن يزول المانع !

المنارة السادسة عشرة : إرغام الطالب على ما لا يريده .. يخلخل علاقته بالمشرف ، نعم هناكَ أمورٌ أساسية لا مجال فيها للنقاش، كالحرصِ على حفظ القرآن مثلاً، فلا مجال للأخذِ والردّ في مثلِ هذا .. أبداً أبدا، لكن هناك بعض الأمور أستغربُ لمَ يُصِرُّ المشرفُ على إرغامِ الطالبِ عليها، وأقربُ مِثال : إرغامُ الطالب على المشاركةِ في البرنامج الرياضي وهو لا يميل إليه ولا يرغبُ فيه، وفي النهاية سيرفضُ رفضاً قاطعا مما يجعل المشرف في موقفٍ حرِج وربما يؤدي إلى قرارٍ سلبيٍّ غير مدروس، وربما يرضخُ الطالبُ للأمرِ على مضض ويبقى في النفسِ أثرٌ يصعب محوه . نعم إذا كان في رفضِ الطالب مفسدةٌ ظاهرة كعزوف الطلاب عن البرنامج من أجله فهنا يحق لك أن ترغمه، أما أن يكون رفضُهُ رفضاً لا أثرَ له فأرجو أن تُعيد النظر وتُقلِّبَ البصر !

أنا معك في أنه من الواجب أن يفقه الطالبُ ضرورة المشاركة الجماعية، لكن لن يأتي هذا الفقه بالشدّة والقوّة، إنما ازرع فيه هذا المفهوم وطبّقه أمامه حتى يقتدي، مثلاً : المشرفُ أبو سامي شخصٌ بدينٌ ولا يميل إلى البرنامج الرياضيّ مُطلقاً ومع ذلك يلعب من أجل أن يشارك الشباب، هنا يأتي دورك فتبيّن للطالب أن أبا سامي لا يحبّذ المشاركة في البرنامج الرياضي ومع ذلك يشارك من أجل نجاح البرنامج، وأنه ليس بالضرورة أيها الطالب ألا تشارك إلا في شيء تحبه وتميلُ إليه، إنما شارك في كلِّ شيء حتى ينجح البرنامج ويتحقق الهدف ، وتكون رسالتك قد انتهت هنا أيها المشرف

الموقّر، فإن كان عاقلاً سيستجيب، وإلا فدعه وشأنه . وأنا أتفق معك - أيُّها المشرف - أنهُ إن كان في رفضه مفسدةٌ ظاهرة كأن تظهر (الشلليات) والتحزبات، أو يفتحَ باباً للطلاب يجعلهم يحذون حذوه، و نحو ذلك .. فأقول لك هنا أرغمه على المشاركة سدّاً لباب المفسدة .

اللوحة الرابعة

معايير قبول طلاب الحلقات التربوية[٢٥]

٢٥) المراد هنا بالحلقات التربوية تلك الحلقات التي لا تكتفي بحفظ القرآن فقط ، بل لها أنشطة أخرى رديفة من الدروس و الدورات و نحوها ، و كذلك لها رحلات نهاية كل أسبوع ، و ليس المقصود الحلقات العامة التي ينتهي دورها بمجرد تسميع الطالب لمقداره المطلوب منه .

هذا الموضوع .. أراه غايةً في الأهمية، والسبب في ذلك أن لانتقاء العيّنات واختيارها بتريّث عائدٌ إيجابي على قوّة الحلقة ، فكثيراً ما نجدُ ونرى ونسمع ضعفَ الحلقة الفلانية، وتدهورَ أحوال طلاّبها، وعندما نبحثُ ونفتش عن السبب الذي أردى بهم إلى الهاوية، نجدُ أن أحد أهم الأسباب هو مسألة التساهل في انتقاء الطلاب.

لا يُجدي في مثل هذه المحاضن أن تتكئ على ثقافة حاطب الليل، تجمعُ كلَّ من هبّ ودبّ، وتخلط الحابل بالنابل، والمرعيَّ بالهَمَل، فإذا أصررتَ على مثل هذا، فإياك أن ترجو فلاحاً ورُقيَّاً لمحضنك، وكما قيل .. التفاحةُ الفاسدة تُفسدُ ما حولها . ولْتجعل لقبول الطلابِ معايير لا تتنازل عنها، أو على الأقل لا تتنازلُ عن مُجملها، وأنا عبر هذه اللوحة .. سأضعُ معاييرَ يتمُّ من خلالها قبول الطالب في الحلقة ، وقد لا نستطيعُ معرفة مدى انطباق المعايير على الطالب من أول لقاء، فنضطر إلى إخضاعه لفترة تجربة (شهر مثلاً) ثم نحدد بعد ذلك إن كان مناسباً أولا !

وقبل أن أشرع في ذكرِ المعايير، فإنه من المهم أن أنبه إلى أن حال الطالب المستجد لا يخلو من أمرين:

أ. أن يأتي عن طريق معرفة، سواءً عن طريق مشرفٍ أو طالب أو غير ذلك، فيكون حينئذ من السهلِ تطبيق الشروط والمعايير عليه – غالباً - .

ب. ألا يأتي عن طريقِ شيءٍ من ذلك، فيكونُ مجهولَ الحال، فمثلُ هذا يُخضعُ للتجربة، فإن أثبتَ نفسه فعلى الرحب والسعة، وإلا فلا مكان للضعفاء!

وأنصحُ الأحبةَ المشرفين ألا يُجاملوا أحداً على حسابِ مصلحةِ المجموعة، وإن غضبَ من غضب، فإنك ما دُمتَ تؤثر مصلحة المجموعةِ فإنك تُرضي الله بذلك، ومن الخسران أن تفرّطَ في هذه الأمانةِ العظيمة بإضعافها أو إفسادها من أجل أن لا يسخطَ فلان، ومتى ما استشعرتَ عظمة هذه الأمانة، وعظمةَ الرسالةِ التي تؤديها، وسعيتَ بكلِّ حيلةٍ ووسيلةٍ إلى أن توصلها إلى برِّ الأمان، فاعلم أن الله سيرضى عنك، وسيُرضي عنك الناس رُغماً عنهم، فعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال:

(من التمس رضا الله بسخط الناس، رضي الله عنه وأرضى عنه الناس، ومن التمس رضا الناس بسخط الله، سخط الله عليه وأسخط عليه الناس)[٢٦] .

والمعايير التي سأطرحها، لا يلزمُ بالضرورةِ أن تكون هي الصوابُ الذي لا نقاش معه، بل هي محضُ اجتهاد، يحتمل الصواب والخطأ، وكلُّ حلقةٍ أدرى بما يناسبها.

المعيار الأول : الحرص على حفظ القرآن، ولاحظ دقّة العبارة .. فقد يحرصُ الطالب ولا يصلُ لضعفِ قدرته على الحفظ ، وما دام حريصاً مجتهداً، فما على المحسنين من سبيل.

المعيار الثاني : المواظبةُ على الحضور، فكثرةُ الغياب من قِبلِ الطالب، تجعل الاستفادة منه في معزل، وهذا يعني – بغلبة الظن - أنه في المستقبل لن يقدم شيئاً للمحضن، وأعتقد أن معدّل الغياب المقبول هو يومٌ واحدٌ في الأسبوع، عدا الحالات الاستثنائية، واعلم أن تركُ الحبلِ على الغارب في مسألة الحضور والغياب، يعني الضعف العام للحلقة، فلا بدّ من نِظامٍ يضبطُ هذه المسألة .

المعيار الثالث[٢٧] : ملاءمة المظهر لمجتمعِ الحلقات التربوية ، فلا يكونُ ذا معصيةٍ ظاهرة ، غير أن هذا المعيارَ لا يُطبّقُ في البداية، فقد يكون على معصية ظاهرة ثم مع المخالطة والتأثر و المناصحةِ يتغيّر حاله، وهذا موجود .. إنما يكونُ تطبيقه بعد انضمامه بمدّة، حتى يتسنى له معرفةَ الواقع الذي يعيشه، ولا بد من المناصحةِ والتوجيه، إلا إن خشيَ المشرفون أن يكون وجوده مؤثراً على الطلاّب، ككونه شخصاً قيادياً مثلاً .. فليسَ من المناسب قبوله من الأصل .

---

٢٦) رواه ابن حبّان في صحيحه ، كتاب البرّ و الإحسان ، برقم : (٢٧٨) .

٢٧) و الحلق التربوية تتباين في هذا المعيار ، بعضهم يأخذ به و بعضهم يرفضه .. ولكلٍ وجهةٌ هو موليها ! إنما كتبتُ ما كتبتُ لأني نشأت على هذا .. فإن رأيتَ أن تردّ هذا المعيار فافعل ، و لا يهولنّك شيءٌ ما دمتَ ترجو ما عند الله .

المعيار الرابع : التفاعلُ مع البرامج .. وهذا يختلف عن المواظبة والحضور، فـرُبَّ حاضـرٍ حضوره كعدمه، فلا هو يتفاعل مع المناشـط الثقافيـة بالمشـاركةِ والإنصـات والتعليـق وإلقاء الأسئلة وإثراء النقاش، ولا هو يتفاعل مع المناشطِ الاجتماعية كإحضـار القهـوةِ والشاي وتقديمها للحاضرين والمساهمةِ في إعداد الوجبات، ولا هو يتفاعل مع المناشـط الرياضية بشتى أنواعها ..

المعيار الخامس : حُسن التعامل ولباقةُ اللسان .. فمتى ما كان الطالبُ سليط اللسـان، بـذيء العبـارة، فـجَّ الخُلُق سـواءً مـع المشـرفين أو الطـلاب، فـلا مكـان لـه في الحلقـة، وبيته خيرٌ له.

المعيارُ السـادس : وهـو مختصٌ بالحلقـة الـتي تعتمـد نظـام مـرور المشـرفين للطـلاب في بيوتهم، وهو أن يكون مكان بيتِ الطالب قريبـاً مـن الحلقـة، بحيـثُ لا يشـقُّ مـروره، حتـى وإن تكفـل أحـد المشـرفين بمـروره، فـإن المشـرفَ قـد يعـرضُ لـه ظـرفٌ مـا فـلا يستمر، فأنى لك أن تُبعدَ الطالب بعـد أن ذاق حـلاوة الحلقـةِ وحـلاوة برامجهـا .. فهـذا أمرٌ شاقٌ والله .

وبعـد هـذا العـرضِ المـوجز لهـذه المعـايير، فإنـه يجـدرُ التنبيـه إلى أن بعـض الطـلاب قـد يخفق في معيارٍ أو معيارين، وينجحُ في بقيّة المعايير، فهذا أمره إلى الإشـراف، فليعملوا بقاعدة المصالح والمفاسد، فإن هم رأوا في بقائـه مصـلحةً مترجحـةً فليبـقَ وإلا فـلا ..! و لتكن هذه المعايير ظاهرةً مُعلنةً عند الطلاب حتى يتحقق الإعذار و الإنذار .

ومن المهم .. الحذر من الطالبِ الذي يُفسدُ الطلاب في أخلاقهم وتعاملهم ودينهم، فهذا يُـزاحُ ولا كـرامـة، فبقـاؤه بهـذا الحـال يُضـعِفُ المجموعـة، حتـى وإن نجـح في كـلِّ المعايير، فمصلحةُ المجموعة أولى من مصلحته الشخصيّة في البقاء.

اللوحة الخامسة

مهارات اللقاء الأول مع الطالب الجديد

لا يخفاك .. و لا يخفى كلّ مربٍّ ما للقاء الأول من أثرٍ في نفسِ المتربّي ، و كثيراً ما يأخذ المتربي انطباعاً عن المحضن من خلال أول لقاء ، و يختلف هذا الانطباع باختلاف طبيعة اللقاء الذي تمّ ! و قد يتخذُ المتربّي - لفرط عجلته أحياناً - قراراً بالاستمرار من عدمه بعد هذا اللقاء .. و مَن يدري ..؟ ربّما خسرنا أفراداً و طاقاتٍ بسبب أننا لم نحسن استقبال الضيف الجديد !! و هذا مؤلم !

فلمَ لا نرسم خارطة طريق نبيّن من خلالها كيف نُحسِن استقبال هذا الكائن ؟

و قبل الحديث عن بنود هذه الخارطة .. أنبّهُ أن الكلام سيكون عن الطالب الطبيعي .. لا الخجول المفرط في الخجل .. و لا الجسور المفرط في الجسارة[٢٨] .. فهذان قد يختلف الحال معهما .

كيف نستقبل الطالب الجديد ..؟

البند الأول : ليكن الحضور الأول للطالب الجديد في رحلةِ نهايةِ الأسبوع ، و ليس من المناسب حضوره وسط الأسبوع ؛ لأن برامج وسط الأسبوع تتسم بالجدية و قد يتوهم الطالب أن أيام المجموعة كلها بهذه الطريقة و في هذا جنايةٌ على المنشط و لا لوم على الطالب بل اللوم على من اختار التوقيت ، و لأنه - أيضاً - يصعب أن يتعرف كل طرفٍ على صاحبه و ذلك بسبب ضغط البرنامج في وسط الأسبوع ! فلا الطالب عرف حقيقة المحضن ، و لا المحضن عرف حقيقة الطالب ، و هنا يحصل اضطراب الطالب ، و هذا الاضطراب مؤذِنٌ بالانسحاب .

البند الثاني : في الغالب أن حضور الطالب الجديد للحلقة يكون عن طريق أحد زملائه ممن هو منضمٌ إلى الحلقةِ نفسِها ، و هذا - إن كان - شيءٌ جميلٌ جدا ، يختصرُ عليك الطريق .. ستعرف من هو ؟ و ما هواياته ؟ و كيف يفكر ؟ و ماذا يريد

٢٨) بعضهم له وجهٌ أوسع من الفلاة ! وربِّ الفلاة ..

؟ و ذلك بسؤالك المباشر عنه ، أو حتى باستشفافك ذلك عن طريق معرفتك بتلميذك الذي أحضره .. فالطيور على أشكالها تقع ، و المرء على دين خليله !

و حصول التصوّر العام عن الطالب قبل أول لقاء يخفف وطأة المهمة ، و يكسر حدّة الترقّب ..

البند الثالث : ليقُم أحد المشرفين / المربّين الذين يجيدون التواصل و يستطيعون امتصاص أول لقاء بإحضار هذا الطالب الجديد إلى مكان اللقاء ، و ليحرص هذا المربّي - إن كان يمرّ عدداً من الطلاب - ألا يكون الطالب الجديد هو أول طالبٍ يأخذه في ذلك اليوم ، بل يجعله ثانياً أو ثالثاً حتى يستأنس .. و إن كان حضر عن طريق أحد الطلاب .. فليكن هذا الطالب - الذي أحضره - معه في السيارة نفسِها ، فهذا سيُشعِرُ الطالب الجديد بالارتياح ، فإن أبى الطالب الجديد إلا أن يكون حضوره مع والده أو السائق .. فليكن .

البند الرابع : بعض طلاب محضنك يجيدون فن التواصل .. استثمر طاقاتهم و أخبرهم أن طالباً جديداً سيشاركنا هذا اليوم ! اطلب منهم أن يلتفّوا حوله .. أن يتواصلوا معه .. أن يسلبوا لُبّه بأخلاقهم و حُسنِ تعاملِهم و ظرافتهم[٢٩] !

البند الخامس : إن كان لديك - في مقرّ الرحلة - برنامجٌ يعتمد توزيع الطلاب على شكل مجموعات ، فاجعل الطالب الجديد مع مجموعةٍ حيويّةٍ متحركة ، و ليكن الطالبُ الذي أحضره معه في المجموعةِ نفسها .

البند السادس : ابتعدوا في هذا اليوم عن كلّ ما قد يُساء فهمه من المزاح و نحوه ! فبعضُ الأمور قد يُساء فهمها رُغم حُسنِ نيّة الفاعل ! و قد يُدرِكُ طلابك أن الأمر مزاحٌ وليس على ظاهره بينما الطالبُ الجديد يأخذُ الأمور على ظاهرها ، و هذا الفهم من الطالب الجديد له تبعاته !

---

٢٩) يسمونه : "توليف" قلوب .

في أول لقاء لي مع المجموعة .. رأيتُ موقفاً كدتُ أن آخذه على ظاهره لولا أن أحدهم بيّن لي الحقيقة .. اثنان من الطلاب يتراشقان - وقت السباحة - و يتلاحقان في الاستراحة .. كل واحدٍ منهما يرغبُ في إيقاع أقسى العقوبات على صاحبه مع التغريق في حوض السباحة !! منظرهما يوحي بالجدّ و الحزم !! بيْد أنهما كانا يمزحان .. لم أدرك أنهما كذلك إلا بعد أن أخبرني المشرف .. شككتُ بدايةً في الأمر ثم تأكدت بعد أن رأيتهما يضحكان معًا على وجبة العشاء .

البند السابع : قِس نفسيّةَ الطالب أثناء الرحلة .. فإن رأيتَ منه سروراً و إقبالاً فأقبل و شاركه متعة الحديث و النقاش و غير ذلك من المؤانسات ! و إن رأيتَ منه إحجاماً و وحشةً فلا تيأس ، و حاول - بالقدر الذي تستطيع - أن تكسر هذه الوحشة بأي طريقة سواءً عن طريقك أو عن طريق مشرفٍ آخر أو عن طريق طلابك .

البند الثامن : قبل أن تضعَ الرحلةُ أوزارها ، و قبل أن يتفرق الجمع .. اذهب للطالب الجديد و أعطه هديّة ، لا تتكلف ! لتكن الهدية عفوية و كأنك لم تعلم بحضوره إلا يوم الرحلة .. و الأمر ميسور (قلم - كتاب- قنينة عطر ... إلخ) .

البند التاسع : إن تيسر معك مطويات أو نشرات تعرّف بمناشط المحضن و برامجه و أهدافه ، أو مقاطع مرئية للمناشط و الرحلات و الزيارات فأعط الطالب الجديد نسخةً منها ، حتى يطّلع عن كثب على أنشطتك ..و اطلب منه أن يُطلعَ والديه عليها ، فالأم و الأب سيشعران بالراحة كثيرا عند ذلك ، و ربما كانوا وقوداً له يدفعه للمشاركةِ في هذه المناشط الطيّبة .. و قد حصل .

البند العاشر : إذا انفضّ اليوم و رحل ، و أشرقت شمسُ يومٍ جديد ، اطلب رقم الطالب الجديد من صاحبه الذي أحضره ، ثم أرسل له رسالةً مفادها ثناءٌ حسن و عبارات صادقة و أحاسيس مرهفة .. ثم ذيّلها باسمك و تمنّ له حياةً سعيدة .

البند الحادي عشر : الحُكم على الطالب من أول لقاء فيه تعجّل ! البعض يرفضه من أول لقاء و البعضُ الآخر يُصرّ على قبوله من أول لقاء .. قد تحتاج - أيها المشرف الكريم - إلى شهرٍ كامل للحكم على الطالبِ سلباً أو إيجابا و ربما أقلّ من ذلك أو أكثر .. فالأناة الأناة ..

أخيرًا .. ابتعد عن تضخيم الطالب الجديد بحجة استمالة قلبه ، فقد يجعلك هذا محل تهمةٍ أو تندّر ! و قد يؤثر هذا على علاقة طلابك به فيكون التحاسد ! و تذكر أن من الطلاب من منحه اللّه عقلًا يجعله ينفر من هذا .. فيكون اللقاء الأول هو ذاته اللقاء الأخير .. و السبب أنت ! فـ استوِ و اعتدل يرحمك اللّه !

اللوحة السادسة

مَلِكٌ في مملكةِ التربية

لستُ بصددِ الحديث عن مملكةٍ ذاتِ بُعدٍ تاريخي، أو ذاتِ حدٍّ جُغرافيّ، أو ذاتِ قراراتٍ ومراسيمَ .. ربما لا تُقدِّمُ ولا تؤخر، لكنني بصددِ الحديثِ عن مملكة .. توّجوك فيها ملِكا، إذ أوصدوا عليك باب المملكة، وقالوا بلسان الحال : افعل ما بدا لك!

أيُّها الملك .. لعل مملكتك التي ولّيتَ عليها، ضيّقةَ الحدود، متقاربة الأطراف، لكنها مملكةٌ تصنعُ الملوك، وتنتجُ القادة، فطوبى لملكٍ أتقن الصنعةَ، ورعى الذمّة، وأحسنَ صياغةَ الخليفة !

أيُّها الملك .. إن الحديثَ عن مملكتكَ حديثٌ ذو شجون، يقفُ القلمُ عاجزاً عن الإحاطة به، ولمِّ شتاته، ذلك أن مملكتك من طرازٍ فريد، مملكةٌ بلا وزراء، بلا وزارات، إنما ملكٌ وشعب، خليفةٌ ورعيّة ..!

إنني أتحدثُ عن سيارتك ! عن أفرادِ سيّارتك .. عنك أنت عندما أصبحتَ الملك!

السيارة .. المحضنُ المتنقل، الذي يعيشُ فيه أفراد المحضن وقتاً لا يُستهان به، فمن اعتقد أنها مجرّدُ وسيلةٍ تُقِلُّ الطلاّبَ من وإلى الحلقة .. فقد أسرفَ في فساد التصوّر، وجاوز الحدّ في مقارفةِ الخطأ .

إن هذا المحضن الصغير المتنقل، أكثرُ أثراً – بلا مبالغة – من المحضنِ الكبير، لكن ليسَ على أيِّ حال، إنما فقط لمن أدرك ذلك، واستمات في تركيعِ هذه الفرصة لصالحه، وسعى في استثمارها كأفضل ما يكون!

فـ يداً بيد – أيها الصاحب الحبيب – ندلُفُ إلى عالمٍ من الأفكار والمقترحات والاحترازات، آملاً من الله أن تكون مِشعلَ خيرٍ يُنيرُ لك الطريق .. فتعال معي يا أخي ..

- التـأخر في مـرور الأفـراد، والإخـلال بالمواعيـد، يـؤدي إلى علاقـةٍ متخلخلـة متهلهلة، ولربما أدّى إلى ضعف ثقةِ الطالـب بمشـرفه، كُـنْ واضـحاً حازمـاً في مواعيدك، وهذا - بلا شك – من علامات الجدّ والحزم .

أتذكر عندما كنتُ في المرحلة الثانوية، وبالتحديد في الصف الثاني الثانويّ، كان يمرّني أحد الإخوة المنضبطين في مواعيدهم، كنتُ – بلا مبالغة – أخرجُ من البيت في الساعة الرابعة و الثلث، فأراه مقبلاً بسيارته من بعيد، وبشكلٍ يومي، وكان لهذا أعظم الأثر في بقاء الودّ بيني وبينه إلى هذه اللحظة !

وبعد فترة .. انقطع لظرفٍ هو أعلمُ به، وتولى أمري أخٌ آخر، كانت أيامه بالنسبةِ لي صعبةً ثقيلة، والسبب هو التفاوت الكبير في مواعيده، فمرةً بعد الصلاة مباشرة، ومرةً بعدها بنصف ساعة، ومرةً بساعة .. وهكذا ! كنتُ أتمنى أن يأتي في موعدٍ محدد وإن كان متأخراً، لكن لا فائدة ..!

وإذا اعتاد منك أفراد سيارتك أن تمرّهم في وقتٍ معيّن، ثم بدا لك أن تتأخر مرّة من المرات لأمرٍ خارجٍ عن إرادتك، فبادر بإخبارهم أنك ستتأخر، وهذا – واللّه – سيجعل لك مكانةً عظيمةً في قلوبهم، واعلم أنك كما احترمتَ أوقاتهم وأشخاصهم، فإن احترامهم لك سيكون عظيماً عظيما..

- ستستطيع ومن خلال مملكتك الصغيرة، أن تحلَّ كثيراً من المشكلات التي يواجهها أفراد سياراتك ، وأن تعالج كثيراً من الأخطاء التي يقعُون فيها، لكن لن يتأتى لك هذا إلا عندما تحملُ همًّا صادقاً، نتيجته سعيك الصادق إلى أن ترتقي بأفرادك وتعتني بهم وتقدم كلَّ ما تستطيع في سبيل إسعادهم والرقيِّ بهم ..

قبل زمنٍ قصير جاءني أبو خالد ، الذي كنتُ أرى فيه مُشرفاً يملأُ فراغاً فقط، فهو شخصٌ متواكل، يميلُ إلى الراحةِ والدعةِ، لا يريد أن يقدمَ كثيراً ، جاءني وقال لي : ألم تلحظ شيئاً على عبد اللّه وسامي – وكلّهم من أفراد سيارته - ؟!

قلتُ : لا ، ولا عجب فأنت ألصقُ بهم وأعلم.

قال : بينهم تنافر، دوماً يتجادلان في السيارة، دوماً يقاطع أحدهما الآخر، في القلوب صدأٌ لا بد أن نعمل على إزالته!

قلتُ : هُم في ملعبك، وتحت حكمك، فاسعَ إلى الإصلاح بينهم..

قال : سيكون كذلك.

كنتُ أعلمُ أنه كلامٌ في الهواء، لن يقدّم أو يؤخر، ومضى اليومُ واليومان .. والشهرُ والشهران دون أن يتغير شيء ! والإشكال القائم أنهما – عبد اللّه وسامي – أقران، وإصلاح الأقران يحتاج إلى حذرٍ وصبر، وتفاقُمُ هذا التنافر يُنذِرُ بولادة حالات من التحزب والشللية التي تقتل المحضن ! كنتُ أرى أن أفضل بيئةٍ للإصلاح بينهما هي المملكة الصغيرة .. السيارة ..

وبعد مُدّة .. تغيّرت هيكلة المرور، وأعيد توزيع الطلاب من جديد ، من حُسنِ الحظّ أن عبد اللّه وسامي كانا من نصيبي هذه المرة، فعزمتُ على إذابةِ روحيْهما في جسدٍ واحد ، فـ للّه ما أجمل الودّ والحبّ بين أفراد الحلقةِ الواحدة، وعندما بدأتُ في المرور، وجدتُ صدقَ كلام أبي خالد ، صرتُ أقرأُ في صحائف الوجه، ما ينبئ عنه اللسان، الوضعُ إلى حدٍّ ما لا يطاق، وثمةَ مُشكلَة .. أنهما في الصفِّ الثالث المتوسط وهم أكبر المجموعة، ومعي من أفراد السيارة من هو أصغر منهما سنّاً، وهذا لا يليق بمقامهما أبداً ..!

عزمتُ على إصلاحِ الحال، وأوثقتُ العلاقةَ بهما ، ظنًّا مني أن علاج المشكلةِ سيحتاج إلى ذلك، وما كنت أظن – واللّه – أن الإصلاح سيكون بعملٍ بسيط، لم أفطن له

أنا ولا صاحبي، لكن الله أمَرَ فكان، ذلك أني خرجتُ يوماً للمرور، فبدأتُ بأعقلهما – أقصدُ عبد الله - ، وحضّرتُ أمراً سآمره به، وعلمتُ أنه سيمتثل له بكلِّ طيبِ نفس، نظير ما وجد من حُسن المعاملة، فلما مررته واتجهتُ إلى بيت سامي، وخرجَ سامي، أمرتُ عبد الله - دون أن يشعر سامي - بالنزول والانتقال إلى المقاعد الخلفية على مرأى من صاحبه، فامتثلَ مباشرةً ولم يتأخر، فلما ركب سامي بدت عليه الحيْرةِ والاستغراب من هذا التصرف، وبعد فترة صدر التصرّف نفسه، لكن هذه المرّة من طرف سامي من تلقاء نفسه .. والله الذي لا إله إلا هو .. يا أخي المشرف، لقد تحسنت علاقتهما جذرياً بشهادة الجميع، ولقد وقفت على علاقتهما في الصفِّ الأول الثانوي، والله – لا أبالغ – كانت علاقتهما ببعضهما أقوى من أيِّ علاقةٍ أخرى[٣٠].. إنه تصرفٌ بسيط في مملكةٍ صغيرة.

اعذرني على الإسهاب يا صاحبي .. فإنني قد تأثرتُ بذلك كثيراً والله.

ولا يقفُ علاجُ المشكلاتِ وتوجيهُ الأخطاء عند هذا، فالوسائل كثيرة، والأساليب متعددة، والفطِن النبيه من أحسن استثمار ذلك، وخلاصةُ الأمر أن السيارةَ لها ميزة لا تجدها في غيرها، ففيها خصوصيةٌ تنعدمُ في المحضن الكبير، والمُفترض أن غوصَكَ في أعماق أفراد سيارتك يكون أكثر عُمقاً من الغوصِ في أعماق بقيّةِ المحضن، وأثرُك فيهم أكبرُ من أثركَ في غيرهم!

- أفرادُ السيّارةِ يتلهفون لموعدِ وجبةِ العشاء، لا لجوعٍ ولا لمسغبة، إنما لأنهم يرون في ذلكَ خصوصيةً لهم، وخروجاً عن المألوف، فلا تبخل عليهم بهذه اللحظات، ولو لمرة واحدة كلّ أسبوعين، واحرص على اختيار اليوم المناسب الذي يناسب الجميع، ومتى ما كان في تحديد اليوم مزيد مصلحة فاحرص عليه، كأن يكون العشاء يوم الأحد ليُحفّزك ويحفّزَ أفرادك على صيام

٣٠) و أبعد من ذلك .. أن "سامي" طلبَ أن يلتقي بي بعد سنواتٍ من هذه القضية و بعد انقطاع طال .. فرحبتُ .. فلما أزفَ الموعد قابلته و لم يكن لوحده ! كان معه "عبدالله" !

الاثنين، أو يكون الدرس العلمي فيه شيءٌ من الثُقل، فتجعل العَشَاء في اليوم الذي يوافقه تشجيعاً لهم على الحضور، و ليكن التكفّل به منوطٌ بالمجموعةِ كلِّها، في كلِّ يومٍ يتكفل المشرف أو أحد الأفراد بذلك، حتى لا يُثقلَ كاهلُ أحدٍ على حسابِ البقيّة.

- قد تصادف وجودَ أشخاصٍ في سيارتك مجبولين على الخجل وضعفِ التفاعل مع المجموعة، فلتكن سيارتك نقطة انطلاقٍ لهم، كلِّفهم بما ينزعُ عنهم جلباب الخجل، اجعل لهم دوراً مؤثراً في سيارتك يجبرهم على الدخول في وسط المعمعة، مثلاً .. محمد قليل الكلام، غير متفاعلٍ مع أحداث السيارة، إذن .. كلِّفه واجعله مسؤول العقوبات في السيارة، وليكتبْ هو لوائح العقوبات، وعليك أنت أن تنقحها وتهذبها بما يناسب، ثم هو يتولى إنزالها وتطبيقها على الأفراد.

مثال ١ : التأخر في الخروج من البيت، العقوبة : شراء مشروب بارد لأفراد السيارة.

مثال ٢ : رميُ الأوساخ في السيارة، العقوبة : التكفل بقيمة وجبتي عشاء متتابعتين.

وهكذا .. لكن على المشرف أن يستصحب الحكمة في متابعة نوع العقوبة، بحيث يرى العقوبات المناسبة ويستبعد ما سوى ذلك، والهدفُ من العقوبات، هو تفعيل دور الطالب، وطرد الرتابةِ والملل من مملكتك الصغيرة ! ومتى ما انحرفت الأهداف، فأدّت إلى التباغض و التشفي، فتوقف .. فما أراك إلا حكيما!

- جيّد .. أن يكون لأفراد سيارتك برنامجٌ خاص بهم - مرةً كلَّ ثلاثة أسابيع مثلاً - يُشعِرهم بتميّزهم عن الآخرين، وهذا مما يزيد من الآصرة بين أفراد هذه المملكة، ولا يكن البرنامج ثقيلاً حتى لا يواجَه بالنفور ويُقابَل بالتهرّب و ينتهي بالفتور، واحرص على إخبار المسؤول ببرنامجك الخاص وبمحتواه، فإن رفضَ فسمعاً وطاعة !

- الحضـــور في الســـيارة بالنســـبةِ للأفـــراد ، هـــو في حقيقتـــه فرصـــةٌ للراحـــةِ والاسـتجمام، أو علـى الأقـل .. للنقاشـات الخفيفـة و الحكايـات العـابرة ! ولا أظـن أن للجـدّ والحـزم مـدخلاً في هـذه المملكـة إلا إن كـان شـيئاً نـادراً أو طارئاً ، أما أن يكون الأمرُ مصطبغاً بالجدّ، فهذا مما يُعرفُ فيُنكر ! الذي دعـاني لإحيـاء هـذه النقطـة ، أنـني في الصـفِّ الثـاني الثـانوي ركبـتُ في إحـدى المـرات مـع إحـدى السـيارات بشـكلٍ اسـتثنائي – لانشـغال مشـرفنا – فمـا إن ركبت، حتى فتحَ أحد الأفراد كتاباً وبدأ يقرأ مسترسلاً ! لم أعِ ما الذي يحصل. بل لم أفهم ما يُقرأ !! ثم اكتشفتُ أنه يقرأ من كتاب [إغاثةِ اللهفان] لابن القيّم !! وهذا حالهم كل يوم، إلى أن ينتهي المشرف من إيصال طلابه!

عجبي!!

لا مانع من تحديد وقتٍ قصيرٍ للقراءة في يومٍ محدد من كِتابٍ سهل المعاني، أما كلّ يوم ! وكلّ الوقت !! ومن إغاثةِ اللهفان!!!

- ليحـرص المشـرفُ – إن تيسـر لـه دون مشـقة – أن لا يسـتمرّ علـى خطّـةِ سـيرٍ واحـدة، بمعنـى لا يُعـد فلانـاً إلى بيتـه آخـر واحـد بشـكل مسـتمرّ، فـالتنويع مطلوب، فعددٌ من الطلاّبِ يودُّ أن يبوحَ لك بشيءٍ ما، ولا يتيسر له ذلك، لأنه يصلُ إلى بيته وعددٌ من الطلاب معك في السيارة، فيصعب عليه الحديث، وعلى فرضِ عدمِ وجودِ ما يدعو لذلك، فإن في تغيير خطّةِ السيْرِ في كلِّ مرةٍ ما يدعو إلى إقامةِ علاقةٍ متينةٍ مع كلِّ فردٍ من أفراد سيارتك، وهذا بحدِّ ذاته مكسب .
- وحتى يبقى ذكركَ طيّباً – إن كان تعاملك معهم راقياً وإلا فلا حاجة لك فيما سأقول – احرص على تكرار تشغيل شريطٍ معيّن أو نشيد معيّن بين الفينة والأخرى، ولنقل مرتان كلّ أسبوع، والهدفُ من هذا .. أن الطالب كلما سمِع النشيد أو الشريط بعد ابتعاده عنك، فوراً ستطيرُ إليه صورتك

وصورة سيارتك بذكرياتٍ رائعةٍ ومبهجة، سيُكثِر من الدعاء لك، وذكرك بخير .

- كما أخذتَ الطالبَ من بيته، فأعدهُ إلى بيته أو إلى بيت أيِّ قريبٍ له إن أراد، أما سوى ذلك .. فلا ، رُدّ الأمانة إلى المكان الذي أخذتها منه ! قد يقولُ لك أريد التموينات، أو المخبز، أو التسجيلات أو غير ذلك، فارفض له هذا الطلب إلا أن يقضي نهمته ثم يعود معك إلى بيته، وإيّاك أن تُظهِر له أن الأمر مجرد اعتباط ! بل بيّن له أن هذا خوفٌ عليه من حصول مكروهٍ لا قدر الله، وأنك – أيها المشرف – تحت المساءلة إن حصل ما لا يسرّ[٣١] ! وإن شئت حلاًّ وسطاً، فاطلب من الطالب أن يتصل ليستأذن أمه أو أباه فيخبره بما هو عازمٌ عليه، فإن وافق فقد أبرأت الذمة، ويبقى أن تحقيق رغبةِ الطالب ثم إعادته إلى البيت أكمل بلا ريْب، لكن كثيراً من الطلاب يتحرّجُ من ذلك، لذا كانت هذه النقطة .

بالمناسبة .. أنا هنا أتحدث عن طالب المرحلة الثانوية، أما طالب المرحلةِ المتوسطة فلا مجال للنقاش إلا إن أذِن له والداه .

- قد يحصلُ ظرفٌ ما، أو يطول برنامجٌ ما، مما يستوجبُ تأخر الأفراد عن بيوتهم، فلا تتردد أخي المشرف في أن تأمرهم بالاتصال على أهليهم وإخبارهم بالتأخر مع سببه ! وأعني بالتأخر هنا .. التأخر الفاحش، أما التأخر اليسير فلا داعي للالتفات إليه.
- نظافةُ السيّارة، وجمالُ رائحتها، يرسمُ في ذهن الطالب صورةً رائعةً عنك، ويشدُّ وثاق الألفة، فاحرصْ على مثل هذا.
- لتكن الأشرطة التي تُدار في آلة التسجيل، متنوعة هادفة، فلا داعي للإغراق في الأناشيد السليمة الخالية من المشبوه ، فضلاً عن الأغاني التي أُلبست زوراً

٣١) و قد حصل لي موقفٌ انخلع له قلبي .. يغفر الله لك يا صاحب !

وبهتاناً لباسَ الدين، التنويع مطلب، والروتين ممل، فلا تبقَ على وتيرةٍ واحدة، واحرص دوماً على ما يزيد من تمسّك أصحابك بحبل الله المتين.

- إذا رأيت منكراً وأنت في السيارة - أغاني مثلاً تصدر من سيارة عند الإشارة – فبادر بالإنكار بالحكمة والموعظة الحسنة، بعيداً عن التشنجات والانفعالات ، ولا أقل من إشغال نفسك وأفراد سيارتك عن هذا الصخب، بشريطٍ تنصتون إليه .
- عليك أن تستغل ما يحصل من الأحداث في توجيه من معك ، إذا رأيت "تفحيطًا" فانتقد و بيّن شناعةَ هذا الصنيع ، و إذا رأيت مسرعًا فاستبشِع ، و إذا رأيتَ حادثًا فعِظ و ذكّر .. و هكذا ..[٣٢]
- وقبلَ كلِّ ما مضى .. اعلم أنك قدوةٌ في قيادتك، فدع عنك المهاترات، وقطع الإشارات، وابتعد عن كلِّ ما يُخلُّ بآداب الإسلام، وإياك والسرعة فإنك مؤتمنٌ على من معك، ولا تؤذِ أفراد سياراتك بترويعهم بأي فعلٍ كان .. فليس هذا من الرجولةِ في شيء.

٣٢) هذا نمطٌ من أنماط التربية يُعرف بـ "التربية بالحدث" .

اللوحة السابعة

الحبُّ الملدوغ

الحبُّ الطاهر بنقائه وصفائه لا يخلو من كدر، والكدر ليس من ذات الحبِّ النقي، وإنما لأمر خارج عنه، كانحراف مسيرةِ الحبِّ بعد أن كانت مستقيمة، أو كانجرافها بعد أن كانت ثابتةً مستديمة، وأنا في هذه اللوحةِ أعرجُ على شيءٍ من لدغات الحبّ وعثراته، التي قد يقع فيها فردٌ أو مجموعةٌ من المحضن.

أولاً: التعلق المذموم، الذي قد يصرفُ الحبَّ عن هدفه السامي، فبعد أن كان حُبّاً أبيضاً ناصع البياض، أصبح حبّاً ملوثّاً مشوباً بالقذى والكدر ، و أخطر التعلق أن يكون بالشكل الظاهر ، فهذا شديدُ الصرعةِ، محمومُ العاقبة، قلما يسلم منه من ولَجه، فهو سهلٌ دخوله صعبٌ خروجه، كالتعلق بجمال الوجهِ وملاحةِ الصورة.

إن المتعلق يعيش أيامه في جحيمٍ لا يُطاق، لربما حرَمَهُ التعلق لذّة النوم، ولذّة العبادة، ولذّة الأخوّة الصافية، ولذّة القراءة والتدبّر، و لربما انطرح في فراشه يتفكر في المحبوب حتى ينفلق الصبح .. لا يقوى على الفكاك.

وعلاجُ التعلق قد يطول، وهو بحاجةٍ إلى صبرٍ وطول بال، فلا ولن يجدي معه أن تطلب الحلّ في يومٍ وليلة ، وأول خطوات الحل أن يدرك المتعلق أنه وقعَ في حمأةِ الخطأ، أما إن أصرّ على صواب فعله فإن الخطب شديد.

وعلى الغارق في هذا الجحيم أن يصدق مع اللّه في الدعاء بأن يخلّصه من هذا المرض، وأن يصرف عنه السوء والفحشاء، و عليه إن رأى أن أوار التعلق قد اضطرم وتأجج – إن كان صادقاً في علاج مرضه – أن يهرب من المحضن الذي يعيش فيه المتعلق به، فالسلامة في الدين لا يعدلها شيء ، و من عوفي فليحمد اللّه .

ثانياً[٣٣]: الشللية والتحزبات بين أفراد المحضن الواحد، وهو أمرٌ لا يسرّ .. بدايتُه حبّ، ونهايته انهيارٌ للمحضنِ بكامله إن لم يتدارك مشرفوه الحال، وعلى مشرفي المحضن

---

٣٣) لاحظ – أخي الكريم – أن هذه الفقرة تتكئ على قاعدة "المصالح و المفاسد" ، وهي معروفة في الفقه الإسلامي ، و كذلك تدخل فيها قاعدة "الضرر" ، و يمكن الاستفادة من القواعد الفقهية في مجال التربية =

المسارعةُ إلى بتر هذا المرض قبل استفحاله حتى وإن أدى ذلك إلى بتر بعض أعضاء المحضن ، فدرء المفسدة مقدّم على جلب المصلحة، فكيف إذا كانت المفسدةُ انهيار محضنٍ كامل، و أول خطوات الحل مناصحةُ المتسببين في ذلك، وبيان الخطر الذي يحدق بالمحضن إن أصرّوا على خطئهم، فإن لم يكن ثمة استجابة ، و استنفدت الحيَل، فلا مناص من بتر الرؤوس المتسببة في ذلك، مع بيان السبب لبقيّة الأفراد – إن احتيج إليه - والطيور على أشكالها ستقع، فمن في قلبه فساد فسيلحق بصاحبه.[٣٤]

ثالثاً : وقد يكونُ غريباً .. وهو استغلال علاقةِ الودّ بين المربي والمتربي في معرفةِ أسرار المتربي ودفائنه، بل والتلذذ عند حصول ذلك، و لا أعني بذلك محاولةُ المربي أن يعرف مشكلات تلميذه حتى يُسهم في علاجها مثلاً، وإنما أقصدُ أن يحاول معرفةَ ما سلفَ من أخطاء المتربي، وما في مسيرته من الأمور التي ربما يستحيي المتربي من ذكرها لو لم يكن – حين قالها- في حالةِ استغراق من الندم والحزن وتأنيب الضمير، والمربّي وللأسف يظن أنه بفعله هذا قد وصل إلى سويداء قلب المتربي ، وما علم أنه بهذا التصرف يقتل المتربي من حيث لا يشعر، وقد يشعر المتربي بخطأ ما تفوّه به بعد إفاقته من سكرته فيكون الندم !

والخلل فيما ذكرت أن المتربي قد ينسحبُ من المحضن لأن في المحضن من يعرف تاريخه في الزلاّت والأخطاء، وربما البعض منهم يحجم عن المشاركةِ في أفعال الخير كإلقاء الكلمات والمشاركةِ في الندوات والتعليق على المواضيع، لأنه يخشى أن يُتهم بالنفاق ممن عرف أمره وكشف سره، وهذا موجود عند البعضِ كما نُقل لي.

كثيراً ، فليتفقه فيها المربي ، و انظر على سبيل المثال مقال : (التطبيقات الدعوية والتربوية للقواعد الفقهية) للدكتور عبد الرحمن بن أحمد الجرعي ، و عليه فقِس .

٣٤) تنبيه : على المربي الحذر من التعجل في توصيف كلّ علاقةٍ بأنها نوعٌ من الشللية او ضربٌ من التعلق ! فهذا بابٌ كبيرٌ يقودك إلى الوسوسة .

اللوحة الثامنة

نظرة في البرامج الخاصة بين أفراد المحضن

- مدخل:

تقومُ كثيرٌ من الحلقات التربوية بمنعِ أفرادها من القيام بـ برامج خاصةٍ فيما بينهم دون الرجوع إلى المشرف أو المسؤول، ويلقى هذا الأمر تبايناً عظيماً في الرأي، ما بين رافضٍ ومؤيد (أقصد على مستوى المشرفين)، فطرفٌ يرى أن في الأمر استبداداً ومزيدَ تحكمٍ، وانعدامَ ثقةٍ في أفراد المحضن تعود بشكلٍ سلبيٍّ عليهم، وطرفٌ آخر يرى أن في الأمر حفاظاً على نظامِ الحلقة، ومنعاً للتسيّب، كما أن فيه حفاظاً على الطلاب من بعض آفات الأخوّة كالتبسطِ وسقوط الحواجز وتجاوز الخطوطِ الحمراء في المواضيع المطروحة .. وما إلى ذلك.

ولستُ أبالغ – أيها الأحبة – إن قلتُ لكم إن هذه المسألة من أشهر المسائل الخلافيةِ في جانب التربية، والخلافُ فيها منذ القديم ، بل وحتى هذه اللحظة، فلم يطغَ قولٌ على قول، ولم يعلُ رأيٌ على رأي، ومن خلال هذه اللوحة سأتكلم بما أدينُ اللّه به، والكلام يطول ويطول، وهو يحتمل الصوابَ ويحتمل الخطأ، فلا تحرموني من نقاشاتكم وآرائكم، فأنا في أشد الحاجةِ إليها.

- في المعترك :

كان محمد طالبًا في الصفِّ الثاني الثانوي، ذا خلقٍ حسن، تشرفت بمروره فصلاً كاملاً، لا يخلو من الطرفة والدعابة، يحبُّ أن يقترح وينتقد [وهذه العينة تؤذي كثيراً من المشرفين ولا أجد لهذا مبررا] فكان مما ينتقده في نظام الحلقة منعُ الخروج بين أفراد الحلقة أو ما يسمى بالبرامج الخاصة أو الطلعات الجانبية ، وكان يرى بأنه تحكمٌ لا مسوِّغ له، فالطلاّبُ أحرارٌ فيما يقررون وما يفعلون، ولسنا – نحن – أوصياء على أبناء الناس كما كان يردد ، والغريب أنه كان يطرحُ هذا الطرح أمام الطلابِ رغبةً في إحراجي، وكان يضربُ لي الأمثلة في حلقات أخرى تسمحُ لطلابها بذلك ، ولم يكن هناك مكروه أو محظور، ومع ذلك كنتُ أناقشُ الأمر معه ببرود وهدوء، دون تشنج أو انفعال، وفي النهايةِ لم يُقنِع كلٌّ منّا صاحبه، فهو

مستمسك برأيه، وأنا على رأيي لم أتراجع عنه، ومضتِ الأيام وعلاقتي مع الحبيب محمد على أكمل ما يكون، فلما انتقل إلى الصفِّ الثالث الثانوي انقطعتُ عنه وعن الحلقة لظروفٍ أحاطت بي، وفي آخر العام الذي انقطعتُ فيه عن الحلقة تلقيتُ اتصالاً من الحبيب محمد، و أبدى رغبته في اللقاء بي ، فهناك موضوعٌ أجهد ذهنه، اتفقتُ أنا وإياه على الموعد، وعند اللقاء تجاذبتُ أنا وإياه أطراف الحديث، وتراجعتُ معه في الكلام، حتى انتهينا من الموضوع الذي كان اللقاء بسببه، وعلى هامش الحديث، ذكّرني محمد بالطرح الذي كان يطرحه عن البرامج الخاصة بين الأفراد أو ما يسمى بـ (الطلعات الجانبية)، ثم قال :

واللّه لقد أدركتُ خطأ هذا الأمر!

تعجبتُ قليلاً، ثم سألته : كيف ذلك ..؟

قال : رأيت حال الحلقة التي كنتُ أضرب بها المثل في ذلك، فرأيت حالهم في تدهورٍ وضعف، وأنا بنفسي – والكلام لمحمد- وقفتُ على بعض برامجهم الخاصة، وأدركتُ ما فيها من الخطأ.

بعد الكلام الذي سمعته من محمد ، صرتُ أتحفّظُ على هذا الأمر .. بيْد أنه يحتاجُ إلى نظرةٍ أوسع وأشمل، ولعلي أنظر بشمولية في هذا الموضوع عن طريق العناصر التالية:

- **الأضرار :**

١. كثرة (الطلعات الجانبية) والبرامج الخاصة بين بعض الأفراد، تؤدي – غالبًا - إلى سقوط الحواجز بين الأفراد الذي بدوره يؤدي إلى التبسّط في الكلام، ونتاجُ ذلك سيكون أقوالاً أو أفعالاً بينهم لا يجرؤون على التفوّه بها أو فعلها في

الحلقة أمام المشرفين أو الطلاب، وفي الغالب أن هذا القول أو الفعل لا يرضي الله ، أو أنه لا يليقُ بطالبٍ محسوبٍ على أهل الصلاح والاستقامة .[٣٥]

٢. وهو متفرّعٌ عن الأول، وقد أفردته لأهميته، وذلك لأن خطره عظيم، وهو السقوطُ في وحْلِ الغيبة، فلا يبقى مشرفٌ ولا طالبٌ إلا افترسته أنيابهم، يخوضون في النوايا، ويشككون في الأهداف، بل ربما وصل الأمر إلى التشكيك في علاقةِ فلان بـ فلان، والتشكيك في هدَفِ فلان من تصرّفه الذي افتعله مع فلان، ثم مع الوقتِ يكذبون الكذبة فيصدقونها، وربما كذبوا الكذبة فشاعت في الآفاق.

٣. وهو متفرّعٌ عن الأول أيضاً، وقد أفردته لأهميته، وهو النقدُ لمجرّدِ النقد، فينتقدون البرنامج الفلاني، وينتقدون الرحلة الفلانية .. ومشكلة هذا النوع من النقد أنه يضرّ ولا ينفع، وبيان ذلك أنه يزهّد الطلاب ذوي الطلعات الجانبية في برامج الحلقة، ويُظهرها لهم في غاية الضعف والنقص، لستُ ضد النقد أبداً، بل إن الواجب على المشرفِ أن يبحث وينظر فيما ينتقده الطالب، وأن يبادر في معرفة مكامن الضعف، حتى يرتقي بمحضنه إن كان النقد في محله، أما النقد المذكور أعلاه، فلن يصلَ خبره إلى المشرف حتى يستفيد منه، إنما هو يدور بين هؤلاء الطلبة.

---

٣٥) قال ابن القيم – رحمه الله – في الفوائد : (الاجتماع بالإخوان قسمان :

أحدهما : اجتماع على مؤانسة الطبع وشغل الوقت ، فهذا مضرَّته أرجح من منفعته ، وأقل ما فيه أنه يفسد القلب ويضيع الوقت .

الثاني : الاجتماع بهم على التعاون على أسباب النجاة والتواصي بالحق والصبر ، فهذا من أعظم الغنيمة وأنفعها ، ولكن فيه ثلاث آفات :

إحداها : تزّين بعضهم لبعض .

الثانية : الكلام والخلطة أكثر من الحاجة.

الثالثة : أن يصير ذلك شهوة وعادة ينقطع بها عن المقصود.

وبالجملة ، فالاجتماع والخلطة لقاحٌ إما للنفس الأمّارة وإما للقلب والنفس المطمئنة ، والنتيجة مستفادة من اللقاح ، فمن طاب لقاحه طابت ثمرته ، وهكذا الأرواح الطيبة لقاحها من المَلَك ، والخبيثة لقاحها من الشيطان ، وقد جعل الله سبحانه بحكمته الطيبات للطيّبين والطيّبين للطيّبات ، وعكس ذلك)

٤. وهو متفرّع عن الثالث - واعذروني على هذه التفريعات - ، وهو أن الطالب ومن معه إذا زهدوا في البرامج المقدمة لهم، فإنهم يبدؤون في الانسحاب شيئاً فشيئاً، فطلعاتهم في أول الأمر لم تكن تعارض برامج الحلقة، ومع الوقت سيبدأ التعارضُ شيئاً فشيئاً، ففي بادئ الأمر يعتذرون في منتصف الأسبوع، ومن ثم يعتذرون عن برنامج آخر الأسبوع (الرحلة)، إلى أن ينتهي الأمر بالانسحابِ كليّةً، ليرموا بأنفسهم في أحضان الشيطان – في الغالب طبعاً - ، و قد يكون الانسحابُ تحت مظلّةِ عملٍ صالح كطلب العلم و نحوه .. ثم مع الوقت ينحرف الهدف و تتبدّل الغاية .

٥. وهو متعلّقٌ بالأهل، وذلك أن الأب والأم أو أحدهما قد لا يرغب في خروج ابنه مع غير الحلقة، وأدركتُ عدداً من الآباء والأمهات يثقون في الحلقة ومشرفيها ثقةً كبيرة ، فإذا خرج ابنهم مع الحلقةِ أو مع أحد المشرفين، فإنهم لا يسألون عنه البتة، وكثيراً ما أطلب من الطلاب - حين نتأخر في العودة من رحلةٍ أو برنامج – أن يتصلوا بأهليهم لطمأنتهم حتى لا يُفجعوا بهذا التأخر، فيردّ عليّ بعضهم : ما دمتُ مع الحلقة فالأهل لا يرون لهذا الاتصال أهميةً تُذكر.

والشاهد من الاستطراد، أن بعضَ الأفراد في برامجهم الخاصة وطلعاتهم الجانبية يوهم أهله أنه مع الحلقة، وهذا فيه ما فيه من المحاذير، وفيه ما فيه من تشويه سمعةِ المحضن وزعزعة ثقةِ الأهل فيه، فلربما تأخر الطالب في العودة، أو لربما حصل له مكروهٌ[٣٦] أو لربما عمل عملاً لا يُحمد ، وفي نهاية الأمر، يلقي الأهلُ اللوم على الحلقة والمشرفين، وهم من ذلك بريئون براءة الذئب من دم يوسف.

٦. تحوّل طلاب المحضن الواحد إلى مجموعةٍ من الأحزاب والشيَع، أو ما يسمى في مصطلح مشرفي الحلق (الشللية)، وهذا – وكما هو مشاهد – يؤدي إلى

---

٣٦) قد يحصل مكروهٌ وهو مع الحلقة، لكن مع أقرانه تزيد نسبة الخطورة فالتهور سمةٌ ظاهرةٌ في الأقران خصوصاً في سن المراهقة .

تفكك المحضن وضعفه، وضمور نشاطه، ناهيك عن الحزازات، وتدهور العلاقة بين أفراد الحلقة.

وقد وقفتُ بنفسي على بعض الحالات والمظاهر التي كانت إفرازاً طبيعياً للطلعات الجانبية والبرامج الخاصة، أذكر منها : أن مشرفاً في سنته الأولى في الإشراف وفي إحدى الإجازات ، انتقى ثلاثةً من الطلاب، وسافر هو وإياهم إلى منطقةٍ تبعد ألف كيلٍ عن منطقته، على سيارته الخاصة، وهذا ما لا يجرؤ عليه أحد، الرحلةُ إن كانت رسميةً وبحضور عدد من المشرفين لا تجعلُ المشرفَ - الذي يقدر لهذه الأمانة قدرها - يستريح، فهو يعيش بين خوفٍ ورجاء، يخشى على طلابه من أدنى شيء، فكيف يجرؤ مشرفٌ مستجدٌ على مثل هذا ؟! وبعد التداول مع بعضِ الإخوة اتضحَ لي أنه هو ومن معه من أرباب (الطلعات الجانبية) يوم أن كان طالباً مثلهم !

- **استثناءات وإقالةُ عَثَرَات :**

١. قد لا يكون الطالب ممن عُرِفَ بهذا الشيء، فإذا صدرتْ منه مرةً أو مرتين فليُتجاوز عنه، وليُنبّه بلطفٍ وودّ، دون تعنيفٍ ولا غلظة.
٢. ربما يصدُرُ هذا الأمر من طالبيْن في المحضن، أحدهما جارٌ للآخرِ في مسكنه، ومن البدهيّ أن علاقتهما ببعضٍ أقوى من كونهما في حلقةٍ واحدة بل لربما قضى أحدهما في بيت الآخر ساعات وساعات قبل أن ينضما إلى المحضن .. كانا يلعبان معاً، ويتشاجران معاً، ويضحكان معاً، ولربما بكيا معاً، فمثل هذه الحالة يصعُبُ في الحقيقة أن تقول لأحدهما لا تخرج مع جارك فلان، فالعلاقة من قديم، بل أرى أن توظّف علاقتهما إلى ما هو حَسَن وأن توجّه التوجيه المناسب، بما يناسب أسنانهم.
٣. يجب على المشرفِ أن يفرّق بين اللقاء العابر، وبين اللقاء المُطوّل، فبعضُ أحبتي المشرفين يتحسس من أي شيء، فقد يحتاج بعض الطلاب إلى أن يلتقي بطالبٍ

آخر، ليحصلَ على حاجةٍ منه أياً كانت، فالأمر سهل، والمسألةُ هيّنة، فلا نجعل من الحبّة قُبة.

- **شوارد وحلول:**

١. إذا تبيّن لنا أن مجموعةً من الطلاب ينفردون ببرنامجٍ خاصٍ بهم، وبشكلٍ متكرر، فإننا في بادئ الأمر نوجههم إلى الصواب، ونبيّن لهم أن هذا الأمر قد يؤدي إلى ما لا يُحمد ، فإن أصروا على ما هم فيه ، ثم ظهرت منهم بعض الأمور التي تستدعي التدخل العاجل ، فإننا نبحثُ عن الرأس المتسبب في مثل هذا ، فإذا عثرنا عليه بترناه واستبعدناه من المحضن، وبعد ذلك فإن الطيور على أشكالها ستقع، إذ سينسحبُ – تلقائياً – من المحضن كلُّ من لم يقتنع بهذا الإجراء، خصوصاً من أصحابه وجلسائه، وعلينا أن نبيّن للطلاب سبب هذا الاستبعاد ، ونبيّنه كذلك لمن كانوا ينفردون معه.

٢. ليس رجولةً و لا مروءةً أن يتتبع المشرفُ سقطات طلابه، بل ليسَ هذا من منهج الإسلام وأهله، للأسف عرفتُ بعضَ مشرفي الحلق يقومُ بدوْر رجال المباحث !! يتتبع فلان أين يذهب ..؟ ومع من ..؟ ومتى ..؟ وكيف ..؟ لسنا مكلّفين بمثل هذا ، نحن مُطالبون بما يظهرُ لنا دون تفتيشٍ ولا تنقيب، بل أحياناً غضُّ الطرف أكمل، فإذا رأيت طالباً قد خرج مع طالبٍ آخر، فغُضّ الطرف وكأن شيئاً لم يكن، إلا أن يكون أحدهما من رؤوس الفساد في محضنك، أو ممن عُرف بكثرة الخروج والقيل والقال، أو يكون أحدهما متعلقٌ بالآخرِ تعلقاً لا يليق، فحينئذٍ أرى أن الصمت وغض الطرفَ فيه نوعٌ من خيانةِ الأمانة.

٣. من الحكمة ألا نتشنج في هذا الموضوع ، و كذلك ألا نتراخى ، و الحكم عليه يكون بحسب الحال ، فربما لا يكون المنع مطلقاً حلٌّ صحيح ، و لا السماحُ مطلقاً حلٌّ صحيح ، بل ربما كان الحلّ أن ننظر للظروف و المآلات .. ثم نتخذ الإجراء الواجب فيما بعد ذلك .

٤. لا تعطِ القضيّةَ أكبر من حجمها ، فإن فعلتَ فقد أشغلتَ نفسكَ بمهمٍ عن أهم ، و كن متغافلاً – لا ساذجاً – تنجُ و تنجح .

٥. بالإمكان أن نخرج بضوابط لتنظيم البرامج الخاصة بين الأفراد ، فلا نمنع مطلقاً و لا نفتحُ مطلقاً ، وهي كالتالي :

أ. أن يخبروا أهاليهم أن البرنامج لا تعلّق له بالحلقة .

ب. ألا تشكّل هذه البرامج ظاهرة [٣٧].

ت. ألا تتعارض مع وقت برامج الحلقة .

ث. أن يعلم المشرف – بغلبة ظنه – أن الهدف منها غير سيء !

ج. ألا تؤدي إلى انفلات زمام الحلقة و تشتت طلابها .

ح. ألا يتحدث أصحاب البرامج الخاصة أمام بقيّة الطلاب عما فعلوه.

قبل الختام لا بدّ من شيء، وهو :

أن دافع المنع على الجميع - إن وُجد في بعض الحلقات - هو من باب سد الذرائع، بيان ذلك : إذا افترضنا أن في حلقتنا مجموعة من الطلاب، من ضمنهم: محمد وفهد ، أما محمد فعلى خير عظيم .. لم يُعرف بشرٍّ و لا خطيئة ، وفيه خوفٌ من الله يعرفه من خالطه، أما فهد فتعرف منه وتنكر، عديم الجدّية، يُكثر من الهمز واللمز، المفترض في هذه الحالة أنك لا تتضايق إذا علمتَ أن محمداً خرج مع فلان من الشباب لأنك تثق فيه وفي طرحه، خلافاً لفهد، فلو علمتَ أنه خرج مع فلان فإنك ستجد في نفسك انقباضاً وضيقاً، لأنك تخاف من نتائج هذا اللقاء، الإشكال أنك لا تستطيع أن تفتح المجال لمحمد وتمنعُ فهداً، فلا تملك إلا أن تغلقَ الباب على الجميع، أما إذا فتحته للبعضِ وأغلقته على البعضِ الآخر، فلك أن تتحمل النتائج.

٣٧) في الشهر مرتان مقبول .

بالمناسبة.. كلُّ ما ذُكرَ أعلاه متعلّقٌ بطلاب المرحلةِ الثانوية، أما طلاب المرحلة المتوسطة فلا أشكُّ طرفةَ عينٍ بوجوب منعهم من مثل هذا.

اللوحة التاسعة

سبرُ التعلّق

تظلُّ العلاقاتُ الاجتماعيةُ غايةً من غايات الوجود البشريّ ، و هدفاً من أهداف خلافةِ الإنسان في الأرض : (يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ..)[٣٨] ، و حثّ اللّه – عز وجل – على انتقاء الصحبةِ الصالحة التي يترقّى بها الإنسانُ في دنياه و أخراه ، بل أمر – سبحانه – بالصّبر معهم : (و اصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم ..)[٣٩] ، ثم أكّد على ضرورة التشبّث بهم و الاستمساك بغرزهم : (و لا تعدُ عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا)[٤٠] ، ثم ذكر جمال مآلهم و عاقبتهم : (الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدوّ إلا المتقين)[٤١] .

و لا شكّ أن هذه المحاضن التربوية من الحلقات و الأنشطة الخيرية تقوم على الصّحبة الصالحة و الأخوّة في اللّه ، و لا تخلو هذه الصّحبة و الأخوّة من آفاتٍ تشوّهها أو تغيّر مسارها ثم تجرفها إلى الهاوية !

و من أعظم هذه الآفاتِ و أشدّها فتكاً .. آفةُ "التعلق"[٤٢] ! و إنني لما رأيتُ خلطاً في وصفِ بعضِ العلائق بالتعلق و هي أبعدُ ما تكون عن ذلك ، آثرتُ أن نسبر التعلق عبر هذا الموضوع و نبحث عنه ثم نستخرجه من بين بقيّة العلائق و الوشائج فنقضي عليه ! و لم يكن هذا الموضوع لعلاج هذه الآفة فقد تكلم عنها الكثير فأجادوا و أفادوا[٤٣] .

تنشأ العلائق بين أفراد المحضن على أساسٍ من الأخوّة في اللّه – و هذا هو الأصل فيها – ثم لا تخلو بعد ذلك من حالات :

---

٣٨) سورة الحجرات : ١٣

٣٩) سورة الكهف : ٢٨

٤٠) سورة الكهف : ٢٨

٤١) سورة الزخرف : ٦٧

٤٢) إذا أطلق التعلق هنا فالمراد به التعلق المذموم .

٤٣) من المتقدمين ابن القيم في "الجواب الكافي" و مثله يحتاج إلى شرحٍ و تهذيب ليستفيد منه مشرفو المحاضن ، و من المتأخرين م.رامي ملحم في كتابه "نحو فهم لظاهرة التعلق بين المربي و المتربي " فليُراجع ! و كذلك مذكّرة مغمورة بعنوان "مشكلة التعلق" للمربي الفاضل باسل الرشود – فرّج اللّه عنه – و تمتاز كتابته – و كذا المهندس رامي ملحم – بأنها تصبُّ في عمق المحاضن و التجمعات التربوية ، ولو أعلم أنه يأذن بنشرها لفعلتُ .

١. أن تستمرّ هذه العلاقة مُغلّفةً بالإيمان ، مجلّلةً بالتقوى ، مزيّنةً بحبّ الخير .. أطراف هذه العلاقة اثنان أو أكثر ، كلما زاد قربهم من اللّه زادت محبتهم فيه ، و إذا ابتعد أحدهم عن اللّه .. انهمروا عليه بالنصح و التوجيه ، فإن استجاب و آب اغتبطوا لذلك ، و إن أصرّ و عاند خلعوا من محبته بقدر ما خلعَ من محبّة اللّه ، فهذا هو لازمُ المحبة في اللّه و البغض في اللّه .

و لا يصحّ في الأذهان السليمةِ أن ننظرَ إلى هذه العلاقة نظرةَ تحسسٍ و ريبة و خوفٍ و شكّ ، بل الواجبُ تشجيعها و الشدُّ على يدها و المساهمةُ في دفعها إلى الأمام و رفعها إلى الأعلى ، و استيثاق العلاقةِ بين أرباب هذه العلاقةِ أمرٌ فطريٌّ لا ينبغي استنكاره أو محاربته ، و من ذا يحاربُ فطرة اللّه ..؟[٤٤]

فإن قيل : كيف نحكم على العلاقةِ أنها قامت للّه ؟ كي لا تلتبس علينا العلاقات التي تتقنع بقناع الأخوّةِ في اللّه وهي أبعد ما تكون عنه .

أقول لك : ارعَ هذه المعايير :

- أن تكون هذه العلاقةُ قائمةً على التواصي على الخير بشتى صوره و مختلف أشكاله .
- أن تنقص هذه المحبة بقدر ما يقع فيه أحد الأطراف من المعاصي و المنكرات ، فيجد الأخ على أخيه في نفسه شيئاً عندما يُقارفُ الإثم ، و بقدر نقص المحبة يكون قدر الحُرقةِ على انحراف الأخ !
- أن يبادر الأخ بنصحِ أخيه عندما يستوجبُ الأمر ذلك ، فتمام المحبةِ الصادقة تقويم الخطأ و إصلاح الخلل .
- ألا يتأثر الأخ بأخيه في سلوكه السيء و لا يشاركه فيه ، سواءً كان هذا السلوك مكروراً معتاداً أو عارضاً طارئاً !

٤٤) فرقٌ بين أن تحاربَ هذه العلاقة و بين أن تحارب ما قد يترتب عليها من سلبياتٍ قد تؤثر على محضنك ، و سنأتي عليه .

هذه أظهر المعايير و أجلاها ، و اختلال أحدها لا يلزم منه انتفاء الأخوّةِ في الله بل يلزم منه وجود الخلل فيها . و يبقى المعيار الأكبر قلبُ المرء ، وهو خفيٌّ عن الناس لا يطّلع عليه إلا الله وحده ، و المرء أدرى بحاله و حال نفسه و حال قلبه .

٢. أن تستمرّ العلاقةُ على خير حالٍ و في أبهى صورة من الحبّ في الله ، لا يكدّر صفوها شيء .. ثم تدخل عليها عواملُ أخرى بين المحبوبين تقويّ آصرة المحبة و تمتّن حبالها ، و هذه العوامل في غالبها عواملُ دُنيويّةٍ محضة كاتفاق الطّباع (هدوء الشخصية و رزانتها) و اتحاد الهوايات (كرة القدم ، الإنشاد ..إلخ) و تقارب الأسنان و اشتراك الأهداف (أن يكونا طبيبيْن في المستقبل) .. و غير ذلك من العوامل الدنيوية[٤٥] ، فتجد أفراد المحضنِ على وئامٍ و محبّةٍ في الله ، ثم تجد بين اثنين منهم أو ثلاثة أو أكثر قدراً زائداً من المحبة و الوئام لعاملٍ دنيوي محض ! و هذا غير مذمومٍ و لا معيب ، بل هو من فطرة الإنسان و طبيعته ، و لا يستقيم في أذهان أولي الألباب أن هذا ضربٌ من التعلق المذموم .

و بعض الإخوة يخلط بين قوة العلاقة – في الحالتين الأولى و الثانية - و بين ما يترتّب عليها من أمورٍ سلبيّة تضرّ بالمحضن ، فيسعى جاهداً في القضاء على العلاقة و كبتها و إخمادها .. إما بسبب توهّمه أنها تعلقٌ مذموم و إما لأنه ترتب عليها أمورٌ أضرّت بنظام المحضن .. و إعلان الحرب على هذه العلاقة من أجل هذا أو ذاك .. تطرُّفٌ تربويّ مذموم .. و الواجب توجيه هذه العلاقة في الخير ما أمكن !

و من الأمور و المظاهر السلبية التي قد تترتب على هذه العلاقات ما يلي :

- الطلعات الجانبية و البرامج الخاصة بين هؤلاء الأفراد خارج محيط الحلقة أو المحضن[٤٦] .

---

٤٥) العلاقات الدنيوية المحضة لا تُمدَح بإطلاق و لا تُذمّ بإطلاق .

٤٦) تكلمنا عن هذا الموضوع في لوحةٍ سابقة ، و تكلمنا عن سلبياته .. وهو أمرٌ غير محسوم ، ولكلٍ وجهةٌ هو موليها !

- ظهور الشللية و الحزبيات ، و انقسام الأفراد إلى فِرَق ، كلّ فرقةٍ تنأى بنفسها عن أختها[٤٧].

يتبيّن لنا من خلال العرض أنّ الحالتين أعلاه ليستا من التعلق المذموم الذي يجبُ أن يُجتثّ من أصله ، و إن كانتا قد تؤديان إلى بعض السلبيات التي أشرنا إليها .

٣. و هنا نتكلمُ عن التعلق المذموم الذي يجبُ أن يُجتثّ من جذوره و أن يُحارَب و ألا يُسمَح به ، وهو أن تقوم العلاقةُ بين فردين أو أكثر على أساس جَمَال صورة أحدهما و ملاحة مظهره ! و قد تكون هذه العلاقة بين فردين أو من عدّةِ أفراد تجاه فردٍ واحد ، و قد يكون هذا التعلق تحت غطاء الأخوّةِ في الله ، لكن الأسماء و الشعارات لا تغيّر من الحقائق شيئا[٤٨] .. و أنا أنقل لكم – باختصار - أهم مظاهر هذا التعلق من كتاب : (نحو فهمٍ لظاهرة التعلق ..)[٤٩] مع التصرّف بها على نحوٍ يناسب الطرح أعلاه ، وهي ما يلي :

---

٤٧) و ما أكثر ما تجنيه الشللية ! تشعر بالفرق الكبير بين محضنٍ يعيشُ روح الجماعية ، و بين محضنٍ يعيش روح التكتلات و التحزّبات ، و الواجب أن نبيّن للأفراد المتكتلين أهمية التواصل مع الجميع ، و ألا تكون العلاقة المستحكمة – غير المذمومة - بين بعضِ الأفراد ظاهرةً و واضحةً أمام الجميع حتى لا يقع الضرر على المجموعة كلها .

٤٨) قد يستشهد على صحة منهجه – كما فعل أحدهم - بما روى ابن عباس – رضي الله عنهما – قال : حين وضع عمر - رضي الله عنه - على سريره ، فتكنفه الناس ، يدعون ، ويثنون ويصلون عليه ، وأنا فيهم ، فلم يرعني إلا رجل أخذ منكبي من ورائي ، فالتفت ، فإذا هو علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - فترحم على عمر ، وقال : ما خلفت أحدا أحب إلي من أن ألقى الله بمثل عمله منك ، و أيم الله إن كنت لأظن أن يجعلك الله مع صاحبيك ، وذلك أني كنت أسمع كثيرا رسول الله ﷺ يقول : " ذهبت أنا وأبو بكر وعمر ، ودخلت أنا وأبو بكر وعمر ، وخرجت أنا وأبو بكر وعمر " وإن كنت لأظن أن يجعلك الله معهما ا.ه و وجه الشاهد منه : أن علاقة الرسول ﷺ بصاحبيْه قوية مستحكمة كما بيّنه أثر عليّ . فيقوم المتعلّق بإسقاط علاقته مع صاحبه على = حال النبي ﷺ مع أبي بكر و عمر بجامع قوة العلاقة ! و هذا استدلالٌ سيءٌ واهٍ مُخرّق !! فقد كان رسول الله ﷺ ثم أبو بكرٍ ثم عمر أرسخ الناس إيمانًا و لأنهم كذلك كانت علاقتهم ببعضهم أقوى ما يكون .. فإن كان صاحبك – أيها المتعلق – أقوى أفراد حلقتك إيمانًا وديانة فقد صدقت في تبريرك وتوجيهك ، و إن لم يكن كذلك .. فلمَ خصصته بقدرٍ زائد من المحبّة دون سواه ممن هم أقوى ديانةً و أرسخُ إيمانًا ..؟ له الجواب !

٤٩) انظر : (نحو فهم ظاهرة التعلق بين المربي والمتربي) رامي ملحم ، دار النفائس .

- إدمان النظر إلى المتعلَّق به .
- الإقبال بالحديث و استنطاق المتعلق به .
- الإنصات لحديثه إذا حدّث إنصاتاً لا يكون لغيره مثله .
- بهتٌ يقع وروعةٌ تبدو على المُتعلِّق عند رؤية صاحبه فجأة، وطلوعه بغتة .
- الإسراع بالمسير نحو المكان الذي يكون فيه .
- الاهتمام الزّائد بشؤون المتعلَّق به الخاصّة .
- كثرة اللقيا بينهما و الزيارة و ضرب مواعيد إضافيّة خارج ميدان التربية .
- الانشغال في المسجد بالحديث معه .
- كثرة ذكر اسم المتعلَّقِ به واللهج به باللسان ومدحه في حضرته وغيبته .
- اضطراب المُتعلِّق وضجره عند غياب صاحبه .
- الاعتراض وعدم الرّضا إلى وضعٍ قد يصل إلى الاحتداد إذا شعر المتعلِّق أنّ أحد الأفراد قد أظهر اهتماماً –حتى لو كان عادياً- بصاحبه .
- احتكار المتعلَّق به والتشبّث به ؛ أي محاولة الاستئثار به لنفسه .
- اهتمام المتعلِّق بأهل صاحبه وحبّهم، وحبّ قرابته وخاصّته وكثرة السّؤال عنهم وزيارتهم والاتّصال بهم ، حتّى يكونوا أحظى لديه من نفسه وأهله وإخوانه .
- أن يجود ببذل كلّ ما كان يقدر عليه ممّا كان ممتنعاً به قبل تعلّقه .
- تغيّر أحوال المتعلِّق ، وبالأخصّ ما كانت من طبائعه تغيّراً ملفتاً؛ كأن يكون بخيلاً فيكرم، وقطوباً فيطلق، وغليظ الطّبع فيضحى ليّن الجانب، إلى غير ذلك من تحوّلات، ويبلغ التحوّل ذروته في حضرة صاحبه .
- تمييز المُتعلّق به تمييزاً واضحاً بتقليده الأعمال والمناصب التي ليس أهلاً لها[٥٠] و مع وجود الأكفاء؛ أو كتعيينه أميراً على مجموعة أو نائباً عنه عند غيبته مع وجود الأكفاء مثله .
- الانشغال والإعراض عن بقيّة الأفراد والضّيق بهم .

٥٠) وقد يكون أهلًا لها .. لكن هناك من يضارعه أو مَن هو أقل منه بقليل و بشكلٍ لا يُخلّ لكن لا يأخذ فرصته كما أخذها المُتعلّق به و زيادة !

و هكذا .. نكون قد سبرنا التعلّق الوبيء و كشفنا حقيقته و هتكنا ستره ! فلا حاجةَ لأن ننظر إلى بعض العلائق على أنها تعلّقٌ محظور و هي – في الحقيقة - على خلاف ذلك ، و لا حاجةَ لأن نتحسس من كلّ علاقةٍ مستحكمة ! و لا حاجةَ – أيضاً – للتسرعِ في الشك و الاتهام و الرجم بالغيب ، فدونك الأقسام الثلاثة أعلاه .. فاسبر أولاً ثم احكم .

اللوحة العاشرة

الارتقاء الإيماني بالمتربين

إن العناية بالسلوك الإيماني لدى الشاب منذ صغره، تجعله شاباً ذا إيمانٍ شديد الصلابة، بعيداً عن الالتزام الهشّ الضعيف الذي يقوم على المظهر دون المخبر، وفي الغالب أن الذي يراعي هذا الجانب منذ الصغر فإنه سيبقى بخير في الجوانب الأخرى كالجانب السلوكي الأخلاقي مثلاً، لأنه إذا امتلأ قلبه بطاعة الله ومراقبته، فإن سيمتثل أمر الشارع الحكيم في الحفاظ على أوامر الشريعة، والبعد عن زواجرها .. وكلما كان التأسيس على هذا منذ الصغر كان الاستمرار عليه حال الكِبر ممكناً سهلاً، لذا كان لزاماً على نُظّارِ المحاضن ومشرفيها أن يعتنوا بهذا الجانب أيما عناية، وأن يولوه اهتماماً زائداً ،فهو السبيل إلى صلاح المجموعة من تلقاء نفسها.

لو استشعر كل فردٍ من أفراد الحلقة والمحضن أن الله يعلم السرَّ وأخفى، لاضمحلت الكثير من الإشكالات، و لزالت الكثير من العقبات ..

وإن أفضَلَ مرحلةٍ تُغرس فيها هذه المعاني (بالنسبة للمحاضن التربوية المعنية بهذه اللوحات) هي المرحلة المتوسطة، وعلينا أن نبدأ في ذلك بالأهم ثم المهم، دون إخلال ولا تعجل، ولا إفراط ولا تفريط ، فنبدأ أولاً بالفرائض ثم النوافل، ونوغل بقوة في عبادات القلوب كالإخلاص والتوكل والخشوع .. إلخ

وقد جرَّبنا مع بعض الإخوة طُرُقاً نزرعُ بها هذه المعاني الجليلة فوجدنا ثماراً طيبة ولله الحمد والفضل، ووجدنا التجاوب والقبول من الطلاب، وهذا غالبُ حال طلاب المرحلة المتوسطة، فإنهم لا يُكثرون من السؤال والنقاش، والأخذ والرد. ومن باب تتميم الفائدة أحببتُ أن أسلّط الضوء على بعض التجارب وبعض الأفكار، سواءً التي دخلت حيّز التنفيذ أو التي لم تدخله، ومن ذلك:

١- علينا أن نغرس في هؤلاء الفتية مسألة الحفاظ على الفرائض وأدائها في أوقاتها التي حددها الشرع، والغالب أن الشكاية تكون من صلاة الفجر، فإن كثيراً من الأفراد يجدون صعوبةً في أدائها، خصوصاً إذا كان منبع الإهمال من البيت، أقصد الأب والأم..

اطرح موضوعاً عن صلاة الفجر بأسلوبٍ مؤثر يُحرّك القلوب، واذكر عاقبة التخلف عنها، ثم عرّج على بيان عظمةِ الله - عز وجل- واستعن في طرحك ببعض الأشرطة المؤثرة، كأطروحات الشيخ الفاضل صالح المغامسي، وفي نهاية الموضوع أخبرهم أنك على استعدادٍ تام لإعانة المفرطين على ترك تفريطهم وذلك بإيقاظهم عبر الهاتف الجوال (وهذه تحتاج إلى صبرٍ واحتساب فهي ثقيلةٌ على من سيتكفل بذلك) لا تأخذ الأسماء بعد الموضوع مباشرةً إنما أخبرهم أن من يريد أن توقظه للصلاة الفجر فعليه أن يرسل رسالةً إلى هاتفك في وقتٍ لاحق حتى لا يصابوا بالحرج، ولا أظن أن هناك ما يمنع إن أخبرتهم أنك تجدُ في الاستيقاظ لها عنتاً ومشقة، وأنك تبحث عمن يعينك عليها - وكلنا كذلك - حتى يتشجع المقصّرون في الإفصاح عن تقصيرهم.

بعد ذلك سيأتيك جمعٌ من الشباب يبحثون عمن يعينهم، فكن خير معين، ولا مانع أن تقسم المهمة بينك وبين بعض الطلاب الذين تتوسم منهم حفاظاً على هذه الفريضة، اللهم إلا إن كان ذلك يسبب إشكالاً تربوياً.

وحتى تتم المهمة بسلام، فإنك قد تتصل بفلان لإيقاظه، ثم لا تجدُ تجاوباً، فإياك والتقريع أو التعريض به عند الطلاب (وهذا ما أخشاه إن تقاسم معك بعض الطلاب هذه المهمة)، إنما أمِرَّ الأمر وكأن شيئاً لم يكن، فإن فاتحك بالموضوع فعِظه وذكّره بالله وارفع من معنوياته وعزز ثقته بنفسه، وإن لم يفاتحك به فاستمر على نفس الوتيرة في إيقاظه، فإن مضى يومان وثلاثة وأربعة ولم تجد تجاوباً، فلا بد من مفاتحته بالموضوع وتخوله بالموعظة حيناً بعد حين، لا تُكثِر فيملّ، ولا تتقطع فينسى، ولا مانع أن تحثه على الصلاة في البيت بادئ الأمر إن كان يجد صعوبةً في الذهاب إلى المسجد، فالمهم أن تقع الصلاة في وقتها، ومع التعود والمتابعة سيصلي الفجر مع جماعة المسلمين بإذن الله..

٢- العنايةُ بأمر النوافلِ أشدَّ العناية، والتذكيرُ الدائمُ بـ (وما يزال عبدي يتقرّبُ إليَّ بالنوافلِ حتى أحبَّه)[٥١] ولا بدّ من إلزامِ الطلاّبِ بها إلزاماً تربويَّاً لا غلظة فيه ولا قسوة، ففي بادئ الأمر يكون الإلزام بها في رحلةِ نهايةِ الأسبوع، فلا يبدأ البرنامج الترفيهي أو الثقافي بعد المغرب حتى يؤدي الجميعُ السنّةَ الراتبة، ولا يبدأ البرنامجُ الرياضي بعد العشاء حتى يؤدي الجميعُ السنّةَ الراتبة، ويُلحقون ذلك بأداء الوتر دونما تأخر، وكذا عندما يصلّي الطلاّب مع مشرفهم في مسجدٍ ما، فإنهم لا يخرجون منه حتى يؤدوا السنة الراتبة والوتر، وقل مثل هذا في رحلات المبيت التي تستمر لأيام، ومع الوقتِ سيعتاد الطلاّبُ ذلك ، ولا بدّ من بيان عدد السنن الرواتب ومواقيتها وأحكامها، ولستُ هنا بصدد الإسهاب في ذلك .. إنما في صدد بيان الطرق العملية، فكثرةُ الكلام لا تجدي إن لم يكن هناك تطبيقٌ عمليّ.

وكذا من النوافلِ صيامُ الاثنين، وذكرتُ الاثنين دون الخميس لأنّ سنيّته آكد[٥٢] و لأنه يوافقُ أحد أيام الحلقة ، وهذه السنّةُ مهجورةٌ منسيّة، قلما يعتني بها أهل الصلاح - والله المستعان - وهي تنمّي في الفرد جانب المراقبة، وتجعله يستشعر ذلك، ومن أجل إحيائها في المحضن فإن الأمر يحتاجُ إلى صبرٍ ومجاهدة، فإن كُنتَ من أهل اليأسِ والقنوط .. فلتتنحَّ، وأول منارةٍ في هذا الطريق، أن نبيّن للفتيةِ الفضلَ العظيم لمن صام النافلة، ثم اتفق أنت وعدد من الطلاّب – ممن تتوسم فيهم الهمة والعزيمة – أن تصوموا الاثنين القادم، فإن صمتَ وصاموا تشجّعَ البقيّة، ولن يخلُ يوم اثنين من صيام . وإن تيّسر أن يتميز الصائمون بأمرٍ ما يختصون به و يُظهرون اختصاصهم به

---

٥١) قطعةٌ من حديث قدسيّ رواه البخاري عن أبي هريرة ، و نصّه : (من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه ، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، وإن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذنه) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق ، برقم (٦٥٠٢) .

٥٢) قال الشيخ العلّامة عبدالكريم الخضير في شرحه لكتاب الصيام من عمدة الفقه ما نصّه : "...والاثنين والخميس جاء في الحديث أنه ترفع الأعمال فيهما (فأحب أن يرفع عملي وأنا صائم) وجاء أيضاً عن صيام الاثنين: (أنه يوم ولدت فيه، وأوحي إلي، وبعثت فيه) إلى آخره. المقصود أن يوم الإثنين آكد من الخميس ؛ لأن فيه أكثر من سبب في أجوبته - عليه الصلاة والسلام-" بتصرف يسير.

أمام بقيّةِ الطلاّب كان حسنا، فإن هذا مما يشجع البقية على الصيام حتى ينالوا هذه الخصوصية، وهدفُ المربّي من هذا أن يعلم الطالب أن أمر الصيام ميسورٌ وسهل، حتى وإن كان هدفُ الطالبِ ليس كذلك .. فإنه – أي الطالب - سيشعرُ أن أمر الصيامِ متيسر غير متعسر، وعلى المربّي أن يذكّره بذلك، كما أذكّرُ أن توزيع مهامِ الإفطار على الطلاب الصائمين تشجعهم على الاستمرار، ولا مانع أن يدعو المشرفُ بقية الطلاب غير الصائمين إلى مائدةِ الإفطار، ولكن ليس بشكلٍ دائم، وذلك حتى يستشعروا حلاوة الصيامِ، والجلوسِ على مائدة الإفطار، وما أجمل منظرهم وهم ملتفون حول المائدة، ينتظرون الأذان !

٣- ضرورة المواظبة على أذكار الصباح والمساء وأذكار أدبار الصلوات، ولا يمنعُ الطلاب من ذلك إلا أحد أمرين:

أ- عجزٌ وكسَل، وهو متعلق بالطلاب، ما دام المشرفون قد عزموا على التطبيق.

ب- نسيانٌ وغفلة، وهو متعلّق بالمشرفين، فعلى على المشرِف أن يتكفل بتذكير الطالب، وعلى الطالب أن يلتزم بها وأن يتعهد بذلك.

ولا مانع أن يتعاهد المشرفون والطلاب على المواظبة عليها، فيُقال لهم: نحن نكفيكم التذكير والمتابعة، وأنتم عليكم اطّراح الكسل والعجز، ودحر الشيطان.

ومن المهم توزيع الأذكار على الطلاب في قالبٍ متميز لا يتلف مع كثرة الاستعمال، ولا يُلزمون بحفظها كلها فهذا فيه شيءٌ من المشقة، إنما يُنتقى لهم أشملها حتى لا يُصابوا بالفتور والملل، وبعد ذلك إن أدركتم وقت الأذكار[٥٣] - وغالباً هي أذكار

---

٥٣) نصّ فتوى اللجنة الدائمة رقم : (٢٤ / ١٧٨) في وقت أذكار الصباح و المساء : (أذكار المساء تبتدئ من زوال الشمس - أول وقت صلاة الظهر- إلى غروبها ، وفي أول الليل ، وأذكار الصباح تبتدئ من طلوع الفجر إلى زوال الشمس ، قال تعالى : (وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا) طه :١٣٠ ، وقال سبحانه : (وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنْ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ) الأعراف : ٢٠٥ ، والأصال جمع أصيل ، وهو : ما بين العصر والمغرب .وقال سبحانه : (فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ❖ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ) الروم : ١٧ - ١٨.

المساء - وأنتم في السيارة أو في المسجد أو في الاستراحة فعلى المشرف المبادرة بتذكير الطلاب، وهو أول من يلتزم بذلك، فيخرج بطاقة الأذكار، ويبدأ بقراءة ورده – حتى وإن كان حافظاً تشجيعاً للطلاب وتحفيزاً لهم - ، ويطلب من الطلاب ذلك بعد التحديد المسبق للأذكار المطلوبة، كل ذلك وهم صامتون لا يتكلمون حتى ينتهي الجميع، ولا بد من إيقاف البرنامج المطروح حتى لا يحصل أي تشويش على الطلاب، وكذا في أذكار أدبار الصلوات يُخرج الطلاب أذكار أدبار الصلوات، ويقرؤون وردهم، سواءً في المسجد أو في الاستراحة، ويشاركهم المشرفُ في إخراج الأذكار حتى وإن كان حافظاً، ومع الاستمرار والمتابعة، سيعتاد الطلاّب ذلك، وسيحفظون الأذكار عن ظهر قلب، والأجر مكتوبٌ لك بإذن الله إن صدقت نيتك، والله يرعاك.

٤- علينا أن نزرع في الطلاّب قضيّة الإخلاص، وألا يعملوا عملاً إلا وهم يقصدون به وجه الله - عز وجل - ومن أعظم وسائل تحقيق هذا الأمر، أن نحثهم على أن تكون بينهم وبين الله - عز وجل - خبيئةٌ من عملٍ صالح لا يطّلعُ عليها إلا الله – عز وجل - في علياته، أياً كانت هذه الخبيئة، دقّت أو جلّت، قلّت أو كثُرت .. المهم أن توجد، فهي حبلٌ متين يربط قلب الفرد بربّه ويعلقه به، وقد جاء الأمر النبوي بالحثّ على مثل هذا، فعَنِ الزّبير بن العوام - رضي اللَّه عنه - قال : قالَ رَسُول اللَّه ﷺ : "مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَكُونَ لَهُ خَبِيءٌ مِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ فَلْيَفْعَلْ"[٥٤] ولابد أن نوضح للفرد أن الخبيئة لا تكون بالضرورة قيام ليلٍ مثلاً، إنما تكون أي عملٍ في مجال خير ، شرطه أن لا يطّلع عليه إلا الله وحده، وكلما كان هذا العملُ عظيماً ومتكرراً فإنه يزيد من إيمان المرء، ويزيده قرباً من الله، ولا نُغفِلُ قصص السلفِ في الإخلاص وما أكثرها، فهي مبثوثةٌ في كُتُبِ السيَر، وما أشدّ تأثرَ الفتية بالقصص والسيَر، جعلنا الله من أولئك الأخفياء الأنقياء الأتقياء.

٥٤) أخرجه الخطيب في "التاريخ" (١١ / ٢٦٣) والضياء المقدسي في "الأحاديث المختارة"(١ / ٢٩٦) والقضاعي في "مسند الشهاب" (ق ٣٧ / ١) وصححه الألباني في "السلسلة الصحيحة" (٥ / ٣٩٨)

٥- وهو مهمٌ في غاية الأهمية، ألا وهو الدعاء، لا سيّما في أوقات الإجابة، كالدعاء في السفر، وعند نزول المطر، وفي السجود، وبين الأذان والإقامة، وفي آخر ساعة من يومِ الجمعةِ - على القول الراجح - ولتكن هذه الساعةُ أشبه بمحطّةِ تزوّدٍ أسبوعي، يُلزَمُ بها الطالب إلزاماً تربويّاً، فإن خلا من الدعاء في المواطن المذكورة، فليُلزم بهذه الساعة، والواجبُ علينا أن نذكره، فلو تولى كلُّ مشرفٍ في المحضن تذكير خمسة من الطلاب قبل الأذان بنصف ساعة، لكان أمراً حسناً، ولو استجاب في بدايةِ الأمر خمسة طلاب أو ستة، لكان ذلك بدايةً طيبة، ومع الوقت سيصبح هذا الشيء أمراً مألوفاً لا يحتاج إلى تذكير، كما أنه من الواجب علينا في رحلات المبيت – إن وافقت جمعةً – أن نوقف البرنامج قبل الأذان بمدّة، فينقطع كلُّ فردٍ إلى ربه، ولا بد من تبيين آداب الدعاء للطلاب، ويكون ذلك عن طريق موضوعٍ يُطرَح أو مطويّةٍ توزّع.

٦- في السيارة – خصوصاً في المسافات الطويلة – احرص أخي المُشرف، على اقتناء الأشرطة المؤثرة، التي تخاطب مُهَجَ القلوبِ، ومحاجرَ العيون، كأشرطة الشيخ المبارك صالح المغامسي، والشيخ الأسيف البكّاء خالد الراشد ، والشيخ الواعظ الزاهد محمد المختار الشنقيطي، ولا مانع أن تثبّت الشريط – قبل اصطحاب الطلاب – على مقطع يغسل القلوب، فإذا اكتمل عقدهم فبادر بتشغيل آلة التسجيل، والتزموا الصمت، ولا تعجب إن علا نشيجُ أحد الطلاب، فإن القلوبَ لا تزال صافية، وهذا مؤشر خيرٍ ولله الحمد.

ومن الحكمة أن يكون المشرف على علمٍ ودراية بما يناسب طلابه من الأشرطة والمحاضرات، فلا ينتقِ ما لا يناسب، ومن الخطأ أيضاً أن يكون الطرحُ في السيارةِ كلُّه جادّاً، فإن النفس تملّ وتنفِر، إنما ساعةً وساعة.

٧- كذلك .. النصيحة النصيحة، إذا أخطأ الطالب أو تجاوز حرمات الله وحدوده فعليك أخي بالنصيحة، وإياك والخجل أو التأخر، ولا يكفي هذا، إنما الواجب أن

نحثَّ الطلاب على التناصح فيما بينهم، بل وحتى مناصحة مشرفيهم بالأسلوب الأمثل، وعلى المشرفِ أن يعترفَ بخطئه – إن وجد - ولا يكابر ، فإن الاعتراف بالخطأ غرسٌ عظيم يُزرعُ في الطالب، وعلينا أن نعقدَ برنامجاً في فضلِ النصيحة وآليتها الصحيحة، ولا تقتصرُ النصيحةُ على الخطاب المباشرِ – لمن لا يطيقه – بل هناك الورقةُ والكتيّبُ والشريط، واعلم - أخي المشرف - أن إهمال النصيحة بدايةُ نهايةٍ وإن لم تشعر، فإن الطالب لم ينضمَّ إليكم إلا ليستفيد، ومن خيانةِ الأمانة ألا تنصحه إذا أخطأ، وألا ترشده إذا أساء، فازرع هذا الأمر في طلاّبك بكلِّ وسيلةٍ ممكنة، و ثِق إن إهماله لن يعود عليكم بخير، وهذا مُلاحظٌ ملموس.

❖ همسة: صلاحك أيها المشرف وحرصك على الرقيّ بسلوكك الإيماني، سينسحبُ على أفراد مجموعتك، والعكس بالعكس، أسعدك اللّه وسددك، و تذكّر دوماً أنك على ثغرٍ عظيم .

اللوحة الحادية عشرة

القاعدة التربوية الفظة : (خطأ الشاطر بعشرة)

(كنتُ في الصف الثالث الابتدائي، عندما تعلمتُ هذه القاعدة ، إذ ألقت بأثقالها - آنذاك - على ذلك الجسد الصغير، وانغرست في داخله، فكانت خبيثةَ المنبت خبيثةَ الثمار، وظلّ يعاني منها حتى حين ، فامضوا معي إلى قاعةِ الفصلِ الدراسي، لتعرفوا حقيقةَ الحدث).

المادة/ مطالعة

الموضوع/ أحمد في نزهةٍ برية

كان الأستاذ حمد، شديدَ الشراسة، مسعورَ اليد، سريع الافتراس، ينقضُّ على الكسول كانقضاض الصقر على فريسته، ويلتهمه كالتهام الأسدِ للغزال الكسير، أضِفْ إلى ذلك أن الأستاذ حمد، كان يدرّسنا مواد اللغة العربية بما فيها مادة الإملاء، التي كانت حجر عثرة لكثيرٍ من طلاب الصفوف الأولية، يشمرُ أمامها كلَّ همّ، وتخنسُ عندها كل مصيبة، ويضمحلُّ كل وسواس، ومع ذلك كلّه كان الأستاذ حمد يحفظ لي الودّ، ويجلُّ لي القدر، ولا أجدُ ما يدعو للخوف منه.

عند دخولهِ يستحيلُ المكان عزاءً، ويسودُ الصمتُ ما بين الجدران الأربعة، بل لا يجرؤ أحد أن يسعل، بل ويحسبُ ألف حساب إن أراد لعينه أن ترمش، وتزداد دهشتي عندما أرى الفرائص ترتعد، والأبصار تزيغ، والقلوب تبلغُ الحناجر والروح تُصارعُ من أجل البقاء، فرَقاً من هذا الكائن، وهَلَعاً من صوته الحاد المزعج!

إلى أن جاء ذلك اليوم..

لا أزال أتذكر ذلك اليوم الأسوَد .. كنتُ طفلاً بريئاً، أدرُسُ في الصفّ الثالث الابتدائي، مُجدٌّ في دراستي ، مُهذّبٌ في تعاملي، قد نلتُ حظوةً عند الأساتذةِ، قلّ من ينالها - والفضل مِن الله - غيرَ أن أفكاراً خاطئة، وقناعاتٍ زائفة، قد تخلقُ فيمن يجابهها ألواناً من التحطيم، وصنوفاً من الانحدار.

كعادة الأستاذ حمد، كان أول ما يسأل عنه عند دخوله هو الواجب، فمن أحضره فقد حاز الدنيا بحذافيرها، ومن تخلف فـ نارُ الأستاذ مثواه – وقليلٌ ما هم - من غير العادةِ أن أتخلّفَ عن إحضار الواجب، ومن العادةِ أني دائمُ المشاركةِ، والأستاذ بنفسه يعلمُ أنني متفوقٌ في دراستي، ولطالما امتدحني أمام زملائي!

هذه المرةُ خالفتُ التوقعات، ولم أحضر الواجب، في الحقيقة لا أدري لمَ ؟!

هل كان كسلاً أو نسياناً ..؟ اللّه أعلم، ولعل الثانيةَ أرجح..

طلب الأستاذُ ممن تخلف عن أداء الواجب الوقوف، لم يقف أحد !. ستركَ اللهم !. قولوا غير هذا أيها القوم !

لا مناص .. سأكون يتيماً هذا اليوم، لم أذق طعم اليُتمِ قطّ، ما أصعبَ اليُتمَ في مثل هذه المواقف..

وقفتُ ثقيلاً، كأن الدنيا بأسرها تحيا فوق رأسي ، ما أصعبه من موقف، وما أتعسها من لحظات.

حدّق فيّ الأستاذُ المبجلُ، ثم ابتسم ابتسامةً صفراء، حتى غدوتُ أرى أمامي ثعلباً في ثوبِ إنسان، وكأنه ينتظرُ هذه اللحظة من قديم، استلّ عصاه من بين أكوام الورق، وتقدّم نحوي، في منظرٍ رهيبٍ مهيب، لم يكن يدور في أخلاد الطلاب أن مثل هذا سيحصل يومًا !

وبدون سابقِ تحقيق ولا مساءلة، أمرني – والأمر نافذ – أن أفتح يدي، طلبتُ منه التريّثَ والصبر، لعل وعسى ... لكنّ .. نعم كانت لكنّ هي سيدة الموقف، وفصْلَ القضاء، عندما قال الأستاذ وهو يبتسم : ... لكن خطأ الشاطر بعشرة!

ما أقبحها !! ما أشرسها !!

حاولتُ معه، وتراجعتُ أنا وإياه في الكلام، لكنه بدا مصرّاً على موقفه، فلم أجد بُدّاً من الاستسلام، ولأنني لا أفقه أحكام وفنون التعامل مع الضرب بالسياط، كما هو حال من بلغ رتبةَ الاجتهاد من الطلابِ الكسالى فإنني فتحتُ كلتا يديّ، فغدوتُ أشبهَ بعصفورٍ صغيرٍ يحاول التحليق دونما فائدة ،بينما أصبحَ المنظرُ مغرياً لهذا الثعلب ، فهوى بكل شراسةٍ على جناحي العصفور الوديع، والعصفور لا يلوي على شيء .. والله يتولاه !

من خلال ما سبق .. كانت هذه القاعدة محل نقدِ الفتى الصغير، إلى أن صلُبَ عوده، واتسعت مداركه، واستنار عقله، حينها أدرك أنها قاعدةٌ كاذبةٌ خاطئة، كيف لا ؟ وقد قرأ في السيَر ما يناقضها ويخالفها ..

أما النقد التربوي لهذه القاعدة .. فإنني أقول : لستُ أشكُّ طرفةَ عين في أن العمل بهذه القاعدة خطأٌ تربوي، وآثارها تُذكرُ فلا تُحمدُ ولا تُشكر، ولو لم يكُن من آثارها إلا أن المتفوق أو المتميز أو المُحسن عند إنزالها عليه سيكره ما هو عليه من التفوق أو التميز أو الإحسان، لكفى بها مثلباً، وكفى بها منقصة.

إن الدليل من الكتابِ والسنةِ والفطرة، يرفضُ رفضاً قاطعاً أن يُعامَلَ المُحسنُ عند إساءته، كمعاملتنا لمستوي الحال عند إساءته، فإن هذا من أعظم الظلمِ وأفجعه، فالله - عز وجل - قد قال في محكم كتابه: (مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ)[٥٥] أي : من طريق بالعقوبة، قاله البغوي[٥٦]. قال القرطبي : هذه الآية أصل في رفع العقاب عن كل محسن[٥٧] . انتهى منه.

---

٥٥) سورة التوبة : ٩١

٥٦) معالم التنزيل للبغوي ٤ / ٨٦ ، دار طيبة .

٥٧) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٨ / ١٥٢ ، دار الفكر .

أما من السنة فإن النبي ﷺ لما ردّ رأي عمر - رضي الله عنه - في قتلِ حاطب بن أبي بلتعة، أردف ذلك - معللاً سبب ردّه له – بقوله : (لعل الله اطلع على أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم، فقد وجبت لكم الجنة أو فقد غفر لكم)[٥٨].

فبيّن - عليه الصلاةُ والسلام- أن السابقة محفوظة، والزلل جزاؤه التجاوز والإحسان، وأنعم به من مربٍ - صلوات ربي وسلامه عليه - ، وكذا قوله ﷺ في الحديث الذي صححه الألباني، عن عائشة : (أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم إلا الحدود)[٥٩]، والمراد بذوي الهيئات هم الذين لا يُعرفون بالشرّ والانهماك بالمعاصي - على خلاف بين أهل العلم- .

ما مضى يجعلني أضرب بهذه القاعدة عرْضَ الحائط - ولا كرامة - غفر الله لك يا أستاذ حمد .. و الأولى عندما يخطئ المُحسن الذي لم يُعرَف بالخطأ و كثرة التجاوز أن يُستهجَن خطؤه و يُستعظم – إن كان يستحق – دون إيقاع العقوبة عليه ، و لنا في قول عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – لأبي عبيدة : (لو غيركَ قالها يا أبا عبيدة)[٦٠] قدوةٌ و أسوة ، و هذا فيه فوائد :

١. أن يعلم المُحسنُ أنه أخطأ .
٢. أن يدرك المخطئ أن سبب العفو عنه هو سجله الحافل بالإحسان ، و هذا دافعٌ و حافزٌ له على الاستمرار في إحسانه .
٣. أن فيه تنبيهاً لمقترف الخطأ على ألا يعود إليه ، لأن الخطأ منه ليس كالخطأ من غيره .

---

٥٨) أخرجه البخاري في الجهاد والسير باب الجاسوس (٣٠٠٧) وأخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل أهل بدر (٢٤٩٤).

٥٩) أخرجه أحمد في باقي مسند الأنصار، برقم (٢٤٩٤٦) ، وأبو داود في كتاب الحدود، باب في الحسد يشفع فيه برقم (٤٣٧٥) ، و حسنه الألباني ، قال ابن باز: (حديث جيد رواه الإمام أحمد وأبو داود والنسائي والبيهقي).

٦٠) انظر القصة في صحيح مسلم كتَاب السَلام، باب الطَّاعُون والطيَرة والكهانةِ ونحوهَا، حديث رقم : (٤١٢١).

اللوحة الثانية عشرة

العقوبات التأديبية في الرحلات والمخيمات - نظرةٌ شرعيّة .. ولفتةٌ تربويّة-

- توطئة:

(تُقيم المحاضن التربوية - ممثلةً بالحلقات والأنشطة الشبابية – رحلات ومخيمات تجمعُ بين الفائدةِ والمتعة، وحتى يستقيم عمود الرحلة، ويتلألأ نجمها، لا بدّ من إرساء النظام وإحلاله، وإلا يفعلوه .. تكن الرحلة كومةً من التسيّبِ والفوضى، لا يتأتى معها أي فائدة، ولا يُجنى منها أي متعة، فيعمَدُ الأمير إلى توكيلِ أمر النظام إلى لجنةٍ تُقيمُ أوْده – وفي الغالب هي اللجنة الرياضية – فتعملُ على إقامةِ النظام ومتابعةِ المخالفين وإيقاع العقوبةِ عليهم)

- نظرة شرعية:

قال الشيخ فهد العماري[٦١] في كتابه النافع الماتع (المختصر في أحكام السفر) :

" هل له – أي الأمير - أن يؤدب من خالف أمره فيما يتعلق بأمر السفر ؟

أطلت بحثا في هذه المسألة فلم أجد من ذكرها، والتأديب نوعان:

١- بالقول : وهذا الأمر فيه مصلحة و سَعَة لكي ينتظم أمر السفر، ويدخل في عموم النصح والتوجيه والاحتساب، قال شيخ الإسلام: (وجميع الولايات الإسلامية إنما مقصودها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر).

٢- بالفعل : كالضرب وتكليفه ببعض الأعمال وغيرها : ذهب بعض المشايخ إلى أنه ليس له ذلك لأن التعزير والتأديب مرتبط بالإمام ومن ينيبه إلا إذا كان الأمير في السفر أباً أو معلماً فله ذلك، من باب أن للأب والمعلم تأديب من تحت يدهم وقد وجدت بعض من يكون أميراً في السفر يبالغ في تأديب من خالف أمره وهذا أمر مشكل جداً قد يؤدي إلى الضرر بالمتربي وتنفيره

---

٦١) الشيخ فهد بن يحيى العماري قاضٍ في وزارة العدل - و لا أعلم إن كان لا يزال أم لا – له باعٌ في المحاضن التربوية و يتجلّى ذلك في كتاباته و أطروحاته ، تجد شيئاً منها في "صيد الفوائد" ، و كتابه الذي نقلت منه هنا – أعني المختصر – من أجود ما قرأت في أحكام السفر استيعاباً و وضوحاً ، و تطرق لمسائل لم يتطرق لها غيره ، فحريٌّ بكل مربٍّ أن يقتنيه في أسفاره و يستفيد منه .

من محاضن التربية والعلم، وقال بعضهم يجوز التأديب بالمعروف وفي حدود المعقول والمعتاد وهذا ليس من باب الحكم وإنما من باب التأديب والتربية، وحكى الماوردي خلافاً في أمير الحج الذي قال فيه : وهو أحد الرعايا وليس من الولاة إن فعل أحد الحجيج ما يقتضي تعزيراً فإن كان مما لا يتعلق بالحج فليس له ذلك وإن كان مما يتعلق بالحج فله تعزيره زجراً وتأديباً .. وإمامة الحج في أيام الحج فقط قال هي ولاية بمنزلة الإمام في إقامة الصلوات ا.ه ، ويخرج على كلامه ولاية السفر والمسألة تحتاج مزيد بحث وتحرير والله أعلم وأحكم " انتهى منه.

وأحبُّ أن أضيف قائلاً : قال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلا)[٦٢]

سبب نزول هذه الآية كما قال ابن عباس - رضي الله عنهما - :

نزلت في عبد الله بن حذافة السهمي - رضي الله عنه - فقد بعثه رسول الله ﷺ على سرية فلما خرجوا وجد عليهم في شيء، فقال لهم : "أليس قد أمركم رسول الله ﷺ أن تطيعوني ؟" قالوا: "بلى". قال: "فاجمعوا لي حطباً" فلما جمعوا الحطب دعا بنار فأضرمها فيه ، ثم قال : "عزمت عليكم لتدخلنها" فقال لهم شاب منهم : "إنما فررتم إلى رسول الله ﷺ من النار فلا تعجلوا حتى تلقوه، فإن أمركم أن تدخلوها فادخلوها" فرجعوا إلى رسول الله ﷺ فأخبروه، فقال لهم: (لو دخلتموها ما خرجتم منها أبداً، إنما الطاعة في المعروف)[٦٣].

٦٢) سورة النساء : ٥٩

٦٣) أخرجه البخاري و مسلم

ولاشك أن النبي ﷺ لم يُنكر مبدأ العقاب، إنما أنكر نوعَ العقاب والذي هو التحريق بالنار، إذ لو كان مبدأ العقابِ محرّماً لأنكره ﷺ بلفظٍ ظاهر، وهو النبي العربيّ الذي أوتي جوامع الكلم.

قال الفقيه ابن عثيمين –رحمه الله – في شرحه الممتع تحت باب التعزير ما نصه : " قوله : «وَهو وَاجِبٌ» هذا حكم التأديب، فهو واجب على من له حقُّ التأديب، فقد يكون على الإمام، أو نائبه، أو الحاكم، أو الأب، أو الأم، أو ما أشبه ذلك، فكل من له حق التأديب فالتعزير واجب عليه " انتهى محل القصد منه.

أقول: قوله: (أو ما أشبه ذلك) يدخلُ فيه –كما ظهر لي – أمير السفرِ، وأمير الرحلةِ، وأمير المخيّم ؛ لأنهم شبيهون بالإمام[٦٤].

ومما مضى يتبيّن لنا مشروعية العقوبات التي يقومُ بها الأمير أو من يُنيبه الأمير في الرحلات والمخيمات الشبابية ، والعلم عند الله.

- لفتةٌ تربويّة:

عجيبٌ أن يصِلَ حالُ بعضِ المربين إلى جعلِ العقوبةِ فُرصةً للتشفّي أو التندر و إضحاك الآخرين على الشاب المُعاقب، وما علموا أن هذا تنفيرٌ من الخير وأهله، ولا أظن إلا أنهم ممن يبوء بإثمه إن ترك مجامع الخير بسبب ذلك.

إن الواجب أن تكون العقوبة في الرحلات والمخيمات الشبابية وسيلة تربية، إما بغرس سلوك حميد، أو بانتزاع عادةٍ قبيحة، ولا يتأتى ذلك إلا عندما ننظرُ إلى العقوبةِ على

---

٦٤) قال الشيخ فهد السنيد في حسابه على (تويتر) ما نصّه: (إذا سافرَ جماعةٌ شُرعَ لهم أن يؤمروا أحدهم ، و تستمر إمرته حتى يرجعوا إلى بلدهم، وللأمير حقّ التعزير بالضرب ونحوه .. قاله شيخنا ابن عثيمين –رحمه الله-) ا.هـ

أنها وسيلة ننتقلُ بها من حالٍ إلى حال، ومن سلوك إلى سلوك، لا على أنها غايةٌ نسعى إليها من أجل الإشقاق على المُعاقبين، أو إضحاك إخوانهم عليهم .

وأقفُ معكم على مجموعةٍ من الاقتراحات والأفكار والسلوكيات في التعامل مع العقاب والمُعاقبين حتى نخرج بعقوبةٍ تربوية هادفة :

١- إحياء التغافل وعدم القعود للطلاب كلّ مرصد، ولا تكن ممن لا يغادر صغيرةً ولا كبيرةً إلا عاقبَ عليها.

٢- تجاوز عمن عُرِفَ بالإحسان وقلّة الخطأ، وبيّن للطلاب سبب التجاوز عنه، إلا إن خفتَ التُهمة فأرجئ هذا الصفح إلى وقتٍ آخر.

٣- الحذر كل الحذر من الظلم، فإن عاقبته وخيمة، وإذا أتاك أحدهم فحلفَ أيماناً مغلظةً أنه ما فعلَ كذا ولا فعل كذا - مما يستحق به العقوبة – وأن في الأمرِ لبساً ، فتجاوز عنه و اقبل منه وكِل أمره إلى الله ، و احرص على ألا تُلجئ طلابك إلى كثرة الحلف ، فقد يضعفُ أحدهم ثم يقترفُ خطيئة الكذب ! و وطّن نفسك على قبول الكلام دونما أيمان .. خصوصاً إذا كان الطالب ممن لا يُعرَف بالمراوغة و الخداع .

٤- أثناء العقوبة لا ترفع صوتك، ولا تقطّب جبينك، فقط أشعرهم أن الأمر طبعيّ، وأنه إجراءٌ مُعتاد للتذكير بأهمية النظام ، فإن كان الطالبُ المُعاقَب ممن يكرر أخطاءه دون اكتراث و غلبَ على ظنّك أن إظهار الشدّةَ يحسمُ هذا العبَث فافعل[٦٥] .

٥- لا تُحمّل المُعاقبين ما لا طاقةَ لهم به، فإنها إنما شُرعتْ - أي العقوبة - للتأديب لا للتعذيب، وخيرُ الأمور الوسط، بعيداً عن الشدة المفرطة، والتهاون المسفّ الذي يؤدي إلى انفلات النظام.

---

٦٥) و ليكن أمراً استثنائياً .

٦- شارك المُعاقبين عقوبتهم حتى تغرس فيهم أن العقوبة ليست مجرد عقوبة فحسب، إنما هي وسيلةٌ لغرسِ سلوكٍ قويم، ولسان حالك (لولا أنها كذلك لما شاركتكم)، فمثلاً إن كانت العقوبة تنظيف المطبخ فكن في المقدمة، أو ترتيب المخيم فساهم معهم، بل حتى لو كانت العقوبةُ تمارين شاقّة فشاركهم هذه التمارين [٦٦].

٧- بعد إحلال العقوبة على الطالب، أو عند انتهاء الرحلة أو المخيم، بادر بتقديم الاعتذار لكل من عاقبته، مع التوضيح بأن الهدف ليس هو العقاب المحض، إنما الهدف حفظ النظام والبعد كل البعد عن الانفلات والتسيّب، وإذا كان الاعتذار شخصياً فإنه سيكون أشد وقعاً في النفس من الاعتذار العام.

٨- من تكرر منه الخطأ و أبى إلا أن يخوضَ غمرات العقوبات و لم تجدِ معه الشدّة .. فجرّب معه سلاح الثقة فإنه يجدي كثيراً ، فقط خذه جانبًا و اهمس في أذنه قائلاً : " و الله ما خبرتك إلا رجلا ، و مثلكَ يُقتدى به ، و أنا أثق أن قصورك ما هو إلا بسبب خارج عن إرادتك ، و أنا واثقٌ أني لن أراك معاقَباً مرةً أخرى " و اجعله يمضي دون عِقاب !

٩ – بعض العيّنات تبحثُ عن العقوباتِ طلباً للشهرة و أن تكون حديث الطلاب ، فلا تعرها اهتماما .. اقتلها بالإعراض .

١٠- عاقِبْ بِحُبّ .. تُحَبّ.

---

٦٦) وجدنا أثرَ هذا يومَ أن كنّا طلابا، وبالمناسبة فإن تصرّفك معهم بهذه الطريقة سيصيبهم بالحرج إن كان لهم دم .

اللوحة الثالثة عشرة

الحلقات وآلية الاستبعاد / البتر / الفصْل

ليس من الحكمة أن تطغى العاطفةُ على العقل، وليس من تحقيق الدين أن ترى الفساد يُجلّل بياضَ الخيرِ بسواده المعتم، ثم تقفُ مكتوف الأيدي، مقلَّبَ البصر، خاسئ الهمّة، لا تقوى على التغيير، ولا تنهض همتكَ إلى البحثِ عن الحل!

وعليه .. فإنني أحب أن أقولَ .. إن مجتمع الحلقات والمكتباتِ كأي مجتمع، ينطبق عليه ما مضى وتقدّم، فمنهم ظالم لنفسه و منهم مقتصد و منهم سابق بالخيرات بإذن الله .. و فيهم من هو صالحٌ مصلح و آخَرُ فاسدٌ مفسد، وعند تجلّي مثل هذه العينات –أعني المفسدة - وظهورها على حقيقتها عاريةً من أقنعتها، مكشوفةَ الألاعيب والحيل، يلجأ عددٌ من المربّين إلى بثْر هذه العينات، وعزلها عن المحضن، حتى لا ينتشرَ فسادها، وكم و كم سمعنا المربّي الذي عركته الحياة وهو يقول: (إن التفاحة الفاسدة تُفسدُ ما حولها)

إنني عبْر هذه اللوحة أريدُ أن أرسم وإياكم آليةً تجعلُ البترآلة حياة .. لا آلةَ عذاب، و لحظة نجاة .. لا لحظة سقوط ..

ولا أخفي .. أن من أشدّ المسائل التربويةِ تعقيداً وعرضةً للنقاشِ، وكثرةِ الأخذ والرد، هي مسألة (الفصْل) و(الاستبعاد) وذلك حينما يقرر مشرفو الحلقةِ الاستغناء عن أحد الأفراد لأمرٍ يستدعي ذلك ..

فمن هنا أحببتُ أن أدلي برأيي في هذه القضيّة، ورأيي إنما أظنه هو الصواب ولا أجزم بذلك والله يتولى السرائر، وهو الهادي إلى سواء السبيل..

أقول .. لا يخلو حال من ظهر فساده من إحدى ثلاث :

الأولى : أن يتبيّن لك فساده مع إفساده لغيره ، فهذا يُزاح - ولا كرامة - لأن وجودهُ كشخصٍ مفسدٍ يُعَدُّ خيانةً للأمانة التي ائتمنك الله عليها، فبقيةُ الأعضاء تحتَ مسؤوليتك - شئتَ أم أبيت- وكونك تقف موقف المتفرّج على برنامجِ الإفساد المُنظّم الذي يتعرضون له من قِبل أحد أفراد المحضن، يجعلكَ في دائرة المساءلة في

الدنيا والآخرة، خصوصاً أنك تملكُ الحل في مثل هذا ، أما إن كنتَ لا تملك حقّ البتر لأمرٍ أو لآخر ، فبراءة الذمة قد تكون بإخبار المسؤول وتنبيهه وتوضيح الأمر له .

الثانية : أن يتبيّن لك فساده دون إفساده لغيره - وهذا هو الأكثر- فالواجب في حقّه المناصحة والتوجيه ومن ثمَّ فلن يخلو من أمرين:

١. أن يستجيب وينتهي عما هو فيه من الخطأ، فهذا هو المطلوب، وهذه هي الغاية، وكفى الله المؤمنين القتال.
٢. ألا يستجيب ولا ينتهي عما هو فيه من الخطأ فلا بد حينئذٍ من أن نتعاهده بالنصح والتوجيه، بكلّ أسلوبٍ ممكن، وكلّ وسيلةٍ مشروعة كما كان حالُ نوح - عليه السلام - مع قومه، فإن ظهر لنا أن بعضَ الطلاب بدأ يتأثر به ، و يحذون حذوه مع استنفاد وسائل التوجيه و التقويم ، فلا مناصَ حينئذٍ من البتر والاستبعاد[٦٧] ؛ لأن بقاءه بهذه الشاكلة، يزرعُ في قلوبِ ضَعَفَةِ الإيمان – من الطلاب - تقليدَه ومتابعته، ظنّاً منهم أن

---

٦٧) هذه المسألة معقّدة نوعا ما ، تجدُ طالباً متميزاً خلوقاً لكنه يقع في بعض السلوكيات الخاطئة دون أن يدعو بقية الطلاب إليها لكنه يطبّع هذه السلوكيات – يجعلها أمراً طبيعيا – في المحضن باقترافه لها دون رادع .. و هذا قد يؤدي إلى اقتراف بعض الطلاب لها ؛ لأنها أضحت أمراً طبيعياً .. حينها يقفُ المشرفُ حائرا ، فلا هو يريد أن يخسر هذا الطالب ، و لا هو يريد تطبيع سلوكه و خطئه ، المسألة تحتاج إلى مزيدٍ من التأمل و النظر و الموازنة .

ثم .. فئات الشباب في المجتمع على ثلاثة أقسام : ١. النُّخبة .. و هؤلاء غالبهم منخرطون في المحاضن التربوية الخيرية ، وهم لا يمثلون نسبةً كبيرة ٢.التائهون الضائعون .. وهؤلاء تجدهم في الشوارع و المقاهي و في كل مجمع شرّ ، و نسبتهم ضئيلة أيضا ٣. وهم الفئة الكبيرة ، فهم بين بين .. وهم مَن لا يرتقون إلى النخبة و إن كانوا قريبين و لا يتردّون في مهاوي الضائعين ، و الأسف الكبير أنك لا تجد من يحتوي هؤلاء ، فالمحاضن الخيرية لا تقبلهم لعدم انطباق المعايير ، أو ربما هم لا يرغبون الانخراط في هذه المحاضن ، و في الوقتِ نفسه تراهم يأنفون من المستنقعات التي يخوضها التائهون ! و المؤسف أيضا .. أنهم هم النسبة الكبيرة و مع ذلك لا تجد من يتبرع لاحتوائهم و توجيه طاقاتهم إلى ما فيه خير البلاد و العباد .. فتأمل !! يا ترى .. من سيعلّق الجرس ؟؟

عمله مرضيٌّ عنه من قِبَل مشرفٍ المحضن، ولتتذكر دائماً أن الله يزعُ بالسلطان ما لا يزعُ بالقرآن[٦٨].

الثالثة : أن يتبيّن لك فساده مع تخوّفك من إفساده دون أن يتضح لك ذلك، فعليك في هذه الحالة أن تتوخى الحذر، فالمسألةُ مسألة أمانة، من فرّط فيها فليستعد للوقوف بين يدي الله[٦٩]، وعليك في كلّ حينٍ أن تزرع في الطلابِ أن السكوتَ عن إفساد المفسد ضربٌ من أضرب الخيانة، ولتدبّج ذلك بما جاء في السيَر من فضح المفسدين، ومن المهم أن يفهمَ طلابك أن ذلك ليس من الغيبة ولا من النميمة ، بل هو قُربةٌ وطاعة، يثاب عليها متى ما كانت النيةُ خالصة ، و احرص – أيها المربي – على تقصّي الحقائق و البحثِ عن التفاصيل حتى تبرأ الذمة .

وكل كلامي أعلاه يتعلق بالفساد الذي يظهر على الطالب و يجاهر به ، دون الفساد الباطن الذي يخفى[٧٠] ، فالمشرفُ ليسَ موكّلاً بالتفتيش عن البواطن ، و التنبيش في السرائر .

وقبل أن أختم .. أذكّر بأنه من المهم أن يبيّن المشرفُ للطلاب سببَ استبعاد (فلان) متى ما لزم الأمر، كي لا تصل المعلومةُ مغلوطة للطلاب، فقد يتكلم (المُستبعَدُ) بكلامٍ – عند أصحابه - فيه تظلّمٌ يريدُ به شق الصفِ، وتأجيج الأضغان في القلوب

---

٦٨) من قول عثمان بن عفان – رضي الله عنه - ، قال الشيخ عبدالعزيز بن باز – رحمه الله - : (هذا أثر معروف عن عثمان - رضي الله عنه- ، وثابت عن عثمان بن عفان الخليفة الراشد الثالث - رضي الله عنه- ، ويروى عن عمر أيضاً - رضي الله عنه- : (إن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن) معناه : يمنع بالسلطان اقتراف المحارم ، أكثر مما يمنع بالقرآن ؛ لأن بعض الناس ضعيف الإيمان لا تؤثر فيه زواجر القرآن ، ونهي القرآن ، بل يقدم على المحارم ولا يبالي ، لكن متى علم أن هناك عقوبة من السلطان ارتدع و خاف من العقوبة السلطانية) انتهى بتصرف يسير ، المصدر : فتاوى نورٌ على الدرب .

٦٩) كثيرٌ من الآباء و الأمهات لا يسأل عن ابنه ما دام مع حلقةِ التحفيظ بناءً على الثقة المفرطة ، فلتستشعر هذا أيها المربّي المبارك .

٧٠) هذا متعلّق بما لو كان فساده الباطن على نفسه ، أما إذا غلبَ على ظن المشرف أن بعض الطلاب فاسدٌ في نفسه و مفسدٌ لغيره فيجوز له في هذه الحالة أن يتتبع حالَ من غلبَ على ظنه إفسادُه لغيره .

وستحتاج لذلك كثيراً مع صاحب الفساد المتعدي، لأنه - في الغالب - سيستمر في إفساده..

و من كان فساده على نفسه، فلا أجمل من أن تستر عليه، و تتعاهده بالنصح والزيارة بعد استبعاده – إن لزم الأمر استبعاده - و لتوص طلابك بذلك ، فهذه والله هي الأخوّة الحقة، اللهم إلا إن خشيت الفساد على الطلاب إذا تواصلوا معه فالأمر يختلف .. و لا تتردد – إن استبعدته – في إعادته إلى المحضن متى ما صلُح حاله .

نصيحة محب: تفقه في قاعدة المصالح والمفاسد، فإنك ستحتاجها في التربية كثيراً.

اللوحة الرابعة عشرة

المتربي و وسائل التقنية

في ثورة التقدم والانفجار التقني المبهر، تستجد المسائل المشكلة بأنواعها، سواءً كانت شرعيةً أو تربويةً أو اجتماعيةً أو غير ذلك .. وتبقى بعضُ المسائل والإشكالات ميدان نقاشٍ وأخذٍ وردّ .

ومن خلال هذه اللوحة .. أردت أن أطرح قضيةً مهمةً ظهرتْ على السطح، ولا أجدُ – فيما أعلم – من طرحها أو أثارها من قبل .

ها قد غدت التقنية حاضرةً بقوة في المشهد التربوي ، و أصبح التواصل عبرها ضرورةً من ضرورات الحياة ، و لا تكاد تجد فرداً من أفراد محضنك – بل المجتمع كله – إلا و لوقته نصيبٌ من هذه التقنية ، ونحن في ذلك بين غالٍ و جافٍ ، و الوسط محمود .. و إنني أدعو بإلحاح شديد إلى الاستفادة من هذه التقنية ، و توظيفها توظيفاً سليما في التوجيه و التشجيع و التربية و الصقل و الإرشاد ، و ذلك من خلال التواصل فيها مع أفراد محضنك ، سواءً كانت هذه التقنية بشقّها الجماهيري العام (المنتديات – المواقع – الشبكات الاجتماعية ...) أو بشقها الفردي الخاص (برامج المحادثة) ، و الباعث إلى ضرورة هذا التواصل ما يلي :

١. الحاجة إلى تعزيز العلاقة مع أفراد المحضن بكل وسيلةٍ مشروعةٍ ممكنة، وما التقنية إلا إحدى هذه الوسائل بلا ريب، وتعزيز العلاقةِ – من حيث المبدأ - يحل كثيراً من الإشكالات.
٢. أن عدداً - ليس بالسهل ومن واقع تجربة – من أفراد المحاضن، لا يقوون على عرض مشكلاتهم بشكلٍ مباشر، ولا كذلك نقدُ المحضن وأخطائه التي يقع فيها الأفراد والمشرفون، فوجود هذه الوسيلة (برامج المحادثة تحديدا) يفتحُ للطالب مجالاً ليكشف عن قلبه، وهذا مكسب .
٣. الإسهام في توجيه الطالب عند وقوع خطأ منه في التعامل مع إحدى الوسائل التقنية إلى كيفية التعامل مع هذه التقنية بشكل خاص، وكيفية التعامل مع التقنية بشكلٍ عام.

٤. يمكننا - من خلال التواصل عبر التقنية – اكتشاف المواهب و الميول و من ثم توجيهها و تنميتها ، و هذه – أعني اكتشاف المواهب و تطويرها – يجب أن تكون من أكبر أهداف المربي في مسيرته التربوية .[٧١]

و مع هذه الأهمية .. إلا أنه لابد من الضوابط والأطر التي تضبطُ مثل هذا التواصل التقني ، و الواجب الحفاظ عليه مما قد يؤذيه أو يخدشه، وأظن أن من أهم الضوابط:

١. مراعاة المشرف لمكانته وعدم إسقاطها بالسفاسف والتوافه ، والواجب على المشرف أن يقيس تعامله مع الطالب عبر التقنية على تعامله معه في الميدان التربوي ، فما لايليق في الميدان الواقعي فإنه لا يليق في الميدان الافتراضي ضرورةً ، و إلا وقع الاضطراب ![٧٢]
٢. الحذر في تبادل الروابط، فالواقع أن كثيراً من الروابط تحوي بداخلها روابطاً تؤدي إلى ما يخدشُ الحياء، والإشكال المعضِل أن الصوَر الخادشة متى ما تعلقَ قلبُ المرء بها، أعيته الحيلةُ في تركها، ومن أعظم ما يُحذّرُ منه ما يسمّى بـ(اليوتيوب) و ما ضارعه من مواقع اللقطات المرئية ، فاحرص قبل إرسال رابط المقطع أن تتأكد من خلوّه مما يحرم ، و كذا تفطّن للمقاطع المتعلقة به ، فإن تطهرت من الرجس فلترسل و إلا فانظر في حيلةٍ أخرى[٧٣] ! و أنا لا أزعم أن الطالب لن يصل إلى المقاطع الخادشة أبداً، لكن - على الأقل - لا يكن هذا الوصول عن طريقك.
٣. قد يكون التواصل مع بعض الأفراد عبر التقنية فيه ثقلٌ و مشقّةٌ على النفس لأي سببٍ كان .. فالصبر الصبر ما أمكن ! و احرص أشدّ الحرص ألا تسلك طريقاً تخسر به قلب المتربي ، فإنه ما اختار التواصل معك إلا لفيض محبته لك

---

٧١) قلّ من يتفطن ! لأن الهدف من المعايشة و التربية – عند بعض المربين – غير واضح .

٧٢) و هذا الاضطراب من قِبل المشرف يعود ضرره في المقام الأول على الطالب ، و مآل هذا الاضطراب أن يجعل الطالب يستسيغ تقمّص شخصيتين في وقت واحد .

٧٣) بالإمكان الاستفادة من المواقع التي تنقّي المقطع من متعلقاته المرئية الأخرى .

– و إن أخطأ التوظيف- فلا تبادل هذا الشعور بالجفاء ، و عليك بالتقويم و التسديد .. و تذكر أن كسب القلوب أولى – و بكثير – من كسب المواقف .

٤. كثيراً ما تكون التقنية مستودعاً لأسرار المتربين (خصوصا برامج المحادثات) فإياك إياك أن تغرس أحد طلابك جاسوسا على الأفراد ينقل لك أخبارهم و أسرارهم ، فبئست التربية تلك ، و ربما بادر بعض الطلاب بذلك .. فأخبره أنه إن فعل ذلك يرجو مغنماً من مغانم الدنيا فإن حساب اللّه شديد ! و إن فعل ذلك يرجو إصلاحَ خللٍ أو اقتلاع فتنةٍ أو وأد شرٍّ و كلّ غايته من ذلك رضا اللّه فاشكره[٧٤] ، و لسان حالك : لم آمر بها و لم تسؤني .

٥. المشرفُ قدوةٌ للطالب، ومن الخطأ أن يطالبه بالتقليل من معاقرةِ التقنية وهو – أي المشرف / المربي – يدمنها .

٧٤) و إذا غلب على ظنّ المربي وجود فسادٍ في بعض الأفراد فهل له أن يتجسس أو ينصب من ينقل له الأخبار ؟ نعم يجوز له ذلك ، و أفتى به ابن عثيمين – رحمه اللّه – انظر : (فتاوى في تربية الشباب) أعدّها : عادل العبدالعالي .

اللوحة الخامسة عشرة

شبابنا و الهوس الرياضي

منذُ فترة ليست بالقصيرة، بدأ بريقُ الرياضةِ يعود، بعد أن خبا فترةً من الزمن، ولم يكتفِ الناسُ بالعودةِ إلى ما يسمى بـ(الدوري المحليّ) فحسب، إنما تجاوزوا ذلك إلى ما يسمى بـ(الدوري الأوروبي)، ولم يعُد يخلو مجلسٌ من حديثِ الرياضةِ وما استجد فيها، من فوزِ فريقٍ أو خسارته، أو الحديث عن صفقةِ الفريق مع اللاعب الفلاني ...إلخ

لستُ هنا أخوضُ في تفصيل الحكم الشرعيِّ في مشاهدة المباريات وإقامتها، لكن – وبحكم العنوان – سندلفُ إلى هذه القضية ونتأمل فيها من ناحيةٍ تربويةٍ محضة، على اعتبار مشروعيتها وهو القول الطاغي.

أولاً : علينا أن نعي أن المشكلة ليستْ مشكلةً تتعلقُ بطلابِ الحلقات، إنما هي مشكلةٌ تستشري في المجتمع كلِّه بشتى أطيافه وتوجهاته، وطلاب الحلقةِ هم جزءٌ من المجتمع، يصيبهم ما يصيب المجتمع من الخلل والقصور والضعف، ولا يختلفُ عاقلان، ولا تنتطحُ عنزان في أن المباريات ومتابعتها والتعلقَ بها ضربٌ من فضول النظر، ومجاراةٌ لصغائر الأمور، يترفعُّ عنه ذوو الهمم .

ثانياً : يجب ألا نغلو فنتصوّر أن القضيّةَ في غايةِ الخطورة ، وأن التلبس بمثلِ هذا هو نوعٌ من الانتكاسةِ، بل علينا أن ننظر إلى الأمر على أنه خطأٌ كأي خطأ نسعى إلى علاجه دون انفعال ولا تشنّج، وعلى أنه إغراقٌ في المباحات وتوغّلٌ فيها، ونحنُ مأمورون بالترفعِ عن مثل هذا.

ثالثاً : الطلاّبُ في هذا الأمرِ على خمسةِ أضرب :

أ- غير متابعٍ ولا يأبهُ بمثل هذه الأمور . فمثلُ هذا ليس محورَ حديثنا.

ب- متابع غير مهووسٍ، منكفئٌ على نفسه، لا يتكلمُ عن هذا الموضوعِ مع أفرادِ المحضن، ولا يستعرضُ متابعاته وتحليلاته (أمره سهلٌ ويكفيه كلامٌ عام).

ت- متابعٌ غير مهووسٍ، غير أنه يتكلم ويسأل ويحلل ويتوقع .. وما إلى ذلك (يحتاجُ إلى توجيهٍ مباشرْ حتى لا يُسقِط الطلاب في وحله ويُلزم بالصمت).

ث- متابعٌ مهووسٌ، منكفئٌ على نفسه (يحتاج إلى توجيهٍ عام، ثم إلى توجيهٍ مباشرٍ إن لم يُجدِ).

ج- متابعٌ مهووسٌ، يُطلقُ لسانه ويتوقع ويحلل ويتوعّد .. وما إلى ذلك (يحتاجُ إلى توجيهٍ مباشرٍ وأن يلزم لسانه).

أما التفريق بين المتابع المهووس وغيره، فالغالب أن المهووس يعتذرُ عن البرنامج إذا صادفَ مباراةً، وربما قطعَ البرنامج ليعودَ إلى البيت، خلافاً لمن لا يتابع أو لمن يتابعُ بغير تعلقٍ ولا هوَس، فإنهم لا يلجؤون لمثل هذا.

رابعاً : من المفترض أن يُطرح في المحضن مواضيعَ تتطرقُ إلى قضيةِ التعالي عن سفاسف الأمور، والاهتمام بمعاليها، ويكون الكلام عامّاً، ثم تُذكَرُ بعضُ السفاسفِ عَرَضاً، كمتابعةِ المباريات، ومطاردةُ السيارات وما يلحقُ بها، هذا كإجراءٍ احترازي، أما إن تبيّن وقوع بعضِ الطلاّبِ فيها – أقصد متابعة المباريات- فيُطرحُ موضوعٌ مركّزٌ عامٌ لكل المجموعة عن المباريات وسلبياتها، وعلى المشرف أن يستعد لنقاشاتِ طلاّبه وأن يحضّر لها.

خامساً : إذا اشتهر بعضُ الطلابِ بين الشباب بمتابعةِ المباريات وتلقُّفِ أخبارِها، فليُناصحْ كلُّ واحدٍ على حِدة، بأسلوبٍ حكيمٍ طيِّب، وأن يُبيَّنَ للطالبِ أنه إن شاء الاستمرار في مُلاحقةِ هذه السفاسف، فليُمسِك لسانه، ولا يتحدثْ بمثلِ هذا عند الطلاّب، فالحلقة ليستْ مكاناً للتحليلات والتوقعات والمراهنات[٧٥]، إنما هي مكانٌ لمعالي الأمور، وقد أنبأني أحدهم أن مشرفي إحدى الحلقات لا يفتؤون يحللون

٧٥) لو لم يكن من بلايا الحديث عن المباريات في المحضن إلا التشنج و الغضب و كثرة النقاش فيه و تحزب الطلاب من أجله لكفى به مأثما .

ويتوقعون ويقيمون طقوسَ التحدّي !! كل هذا مع طلاّبهم .. فهل عُدِمَتْ الهمَّة..؟ أليسَ منهم رجلٌ رشيد ؟!

سادساً : قد يعتذرُ بعضُ الطلاّب عن برنامجٍ أو رحلةٍ ويتفق ذلك مع وجودِ مباراة، فالمطلوبُ من المشرفِ أن يُحسِنَ الظنّ بطلابه و ألا يدخلَ في السرائر ، وإذا تيقّن أن الطالب غابَ بسببِ ذلك، فلا يزجره ولا ينهره، بل عليهِ أن يُعمِلَ التغافل ، ويعذره في كلِّ غياب دون أن يُشعَره بعلمه، ومن ثم يتعاهده بالنصحِ والتوجيه، تلميحاً ثم تصريحاً بأسلوبٍ يليقُ بالمربّي والمتربي، فإن استجاب وإلا فإنه يأمره بالتزام الصمتِ وعدمِ إثارةِ مواضيعِ المباريات وما شابهها عند الطلاّب.

سابعاً : من أسبابِ وقوعِ الشبابِ من الطلابِ أو المشرفين في هذه الدوامةِ هو الفراغ، ولو ملئوا أوقاتهم لما وجدوا لهذه السفاسفِ مكاناً في جداولهم، فلنفطن لمثل هذا.

ثامناً : منعُ الطُلاّبِ من إحضار الملابسِ التي ترمزُ إلى بعض الأندية يخفف حدّة الهوَس ، و ليكن المنع منعاً تربوياً و قد يكون شرعيّاً في بعض الحالات ، وليتربَّ أفراد المحضنِ على مثلِ هذا، لأن وجودها بينهم قد يُحيي هذه الأمور بينهم بشكلٍ أو بآخر، وهذا مما لا حاجةَ لنا فيه، فليُغلقِ الباب مرةً واحدة.

تاسعاً : من فِطرَةِ الإنسان أنه يحب الانتماء، فهو يُريدُ أن ينتمي إلى شيءٍ يرفعُ رأسه ويتفاخرُ به أمام أقرانه. والذلُّ الذي تتجرعه أمّةُ محمدٍ ﷺ تجعلُ الشابّ المستقيم وغيره يبحثُ عما يُشبِعُ به هذه الغريزة - أقصد غريزة الانتماء - فتجده يبحثُ عن البدائل – وما أكثرها – ولا شك أن مؤازرة الفِرقِ وتشجيعَها من أبرزِ البدائل، فيختارُ هذا البديل حتى يُشبِعَ نهمته ورغبته.

ولعل التشبّه يدخلُ في هذا الموضوع، ذلك أنّ الأمةَ المهزومةَ مولعةٌ دائماً بالأمة المنتصرة، فيدخلُ الشاب في هذه الدوامة من هذا الباب، فيؤازر ويشجع تشبهاً ومع الوقتِ يستحيلُ التشبّه إلى انتماء، وفي التاريخِ شواهد على ما ذكرت.

فمن هذا الباب، على المشرفين أن يعتنوا بإبراز عظمةِ وعظماءِ الإسلامِ في شتّى المجالات، ولا يقصروا هذا الإبراز على صعيدٍ معيّن، كما أن عليهم أن يبيّنوا للطلاب تاريخَ أمتهم وعظمته، حتى يوقنَ الطالبُ أنه ينتمي لأمةٍ عظيمة، تزعزعتْ عظمَتُها بسببنا وبسبب أجدادنا، والله المستعان.

عاشراً : ليس بصواب أن يتعمدَ المشرفونَ إقامةَ برنامجٍ يتعارضُ مع وقتِ مباراةٍ ما، فليس ذلك بعلاج، ولا أظنه يقدم أو يؤخر، بل أقم البرنامج كما هو.

حادي عشر : قد تقع أخي المشرف في مثل هذا، فاستُر على نفسك، ولا تبرزه لطلابك، ولا حتى إلى بقيّةِ المشرفين، فـ من أصابهُ بلاءٌ فليستترْ.

اللوحة السادسة عشرة

نحن و القرآن

مِن الإسفاف أن نتقنّع بِقناعِ المدلجين، ونتزيّا بزيِّ الوعّاظِ والمصلحين، ونحنُ – بعد ذلك - أبعدَ ما نكون - وللأسفِ - عن كتاب اللّه، حفظاً وفهماً وتدبّراً ..

دعني قبل أن أتكلم عن هذا الموضوع المهم، أن أتحفك بما أقتنعُ بهِ، فإن وافقتني فلكَ أن تُكمل، وإلا فأنت مُخيّرٌ بين الإقدام والإحجام ..

إنني – أخي الكريم - مقتنعٌ تمام القناعةِ أنه لا يلزمُ أن يكون كلُّ أفرادَ الحلقةِ من حفظةِ كتاب اللّه، لأني أعلم علم اليقين أن اللّه - عز وجل - كما قسّم الأرزاق والمعايش ، فقد قسّم العقولَ والأفهام والقدرات، فمن التجاوز - والحال ما ذكرت - أن أُلزمَ من لا طاقةَ له، بشيءٍ لا قِبَلَ لهُ به.

كذلك .. فإنه من المسلّماتِ لديَّ أنَّ على كلِّ صاحبِ همّةٍ أن يبذل جهده وطاقته ليحفظ كتابَ اللّهِ في صدره، وليُرخص الغالي في سبيل تحقيق ذلك ، فإن بلغ القمّةَ فـ للّه الفضل والمنّة، وإن لم يصل فإن النيّةَ والمشقّة تبلّغانه - بفضلِ اللّه و رحمته- .

وأختمُ قناعاتي بأنه من الواجبات المحتمّات على من أولاه اللّه أمر هذه الحلقات والمحاضن التربوية ألا يُغفِلَ هذا الجانب، وأن يجعله نصبَ عينيه، فإن التقصير فيه خللٌ لا يستقيمُ عوده، إذ هو منبعُ التربية الذي لا ينضب، وناموسها الذي لا يُخطئ ولا يكذب، فإن أهمله أهل التربية والشأن، فهنيئاً لهم بجيلٍ متخلخلٍ متذبذبٍ بيّن الهُزال .. وقد أعذر من أنذر..

أما كيفَ نرتقي بمستوى الطلاب ، وكيف نرفعهم حتى يستقروا على السنام .. فالكلام يطول .. لكن حسبي أن أنقل لكم بعضَ الوقفات في ذلك، علَّ اللّه أن يطرح فيها البَرَكة..

الوقفةُ الأولى : على المشرف المسؤول عن لجنة القرآن أن يكون قدوةً في هذا المجال، كأن يكونوا حافظاً لكتاب اللّه، فإن كان متقناً فهو أفضل، وإن كان مُجازاً فهو أكمل، وليقرأ ما حفظه على بعض الطلاب حيناً بعد حين، سواء في المسجد - إن

تيسر – أو في السيارة، بل حتى في الأسفار و الرحلات الطويلة وغيرها، فوجود القدوة من أعظم الوسائل إلى هذه الغاية العظيمة، وبذلك تغرسُ في الطالب أهميّة هذا القرآن العظيم ، و كلما تحققت صفات أهل القرآن في المشرفين و كلما ترك القرآن أثره عليهم .. كان لهذا أعمق الأثر في نفوس الطلاب. للأسف لم نعد نرى المشرفَ الذي يقرأ محفوظه على طالبٍ من الطلاب، لو أدركنا عظمةَ هذا الصنيع لفعلناه ... فأين المدركون !؟

جاء بعض الموالي إلى الحسن البصري فأرادوا منه خطبةً عن فضل العتق لعله يكون بها زوال رقّهم، فوعدهم خيراً، فلما حضرتِ الجمعة خَطبَ عن أمرٍ غيرَ الذي أرادوا، فجاؤوا إليه فسألوه مرةً أخرى فوعدهم في الجمعة الأخرى، فلما حضرتِ الجمعة خطَبَ الحسنُ البصريُّ عن فضل العتق .. فلما قُضيَت الخطبةُ، حضر الموالي إلى الحسن فسألوه عن سببِ تأخيره للخطبة إلى الجمعةِ الثانية، فقال هذا الإمام : إنني كنتُ أبحثُ عن رقيقٍ لأشتريهم فأعتقهم .. فتأمل !!

الوقفةُ الثانية : لا يقتصر أمر متابعةِ الشباب في حفظ هذا القرآن العظيم على لجنة القرآن فحسب، بل ليكن مهمة الجميع، لأنه أعظم مطلوب، وأشهى مرغوب، الجميعُ يعملُ على تشجيع الطلاب وتوجيههم وإعانتهم، شريطةَ ألا يكونَ هناك تقاطعٌ وتضاربٌ في الآراء فيتشتت الطالب وينتهي أمره إلى لا شيء، ولن يحصل هذا التضارب ما دام الإخوة المشرفون قد جعلوا مشرفَ اللجنةِ مرجعاً لهم، وهذا الأمر - أي اهتمام المشرفين بحفظ الطلاب- يُشعِر جميعَ الأفراد بأهمية هذا الكتاب، فإذا داخَلَهم هذا الشعور، علتْ همتهم، وتأجج حماسهم..

الوقفة الثالثة : علينا أن نضيّقَ دائرة التركيز على النجباء من الطلاب، وأن نضعهم نصب أعيننا، ونشدَّ من أزرهم، و من الخطأ أن نساويهم بغيرهم، أقصدُ في التحفيز والتشجيع والمتابعة، لأنهم يملكون من المقومات ما لا يملكُ غيرهم، وهم الأرضُ التي ستُعشب، فقط تنتظر البذر والماء .

إن كان في محضنك عشرونَ طالباً فلن تُعدَمَ خمسةً من النجباء، وإذا خرج من هذا المحضن خمسةُ طلابٍ كلهم من حفظةِ كتاب اللّهِ، المتقنين له، فنعمت النتيجة والعاقبة، وأبشر بأجر عظيم !!

الوقفةُ الرابعة : أعمِل الجوائز الدورية للمتميزين بين الفينةِ والأخرى، ولا بد من إصدار تقرير أسبوعي يبيّنُ مستوى كلِّ طالب، وهو من باب إلهاب المنافسة، أما أن تبقى المتابعةُ شكليةً فحسب .. فلا فائدة إذ ذاك..

الوقفةُ الخامسة : عندما يختمُ أحدهم حفظ كتاب الله فبادر بإقامةِ احتفالٍ بهذه المناسبة - ولو شيئا ميسورا - يُدعى إليه والدهُ وإخوانه، فعن طريقِ تجربةِ .. أدركتُ أن الاحتفاء والاحتفال والابتهاج بالخاتمين من أعظم المحفزات في حذو الطلاّبِ حذوهم، ولا يمنعُ – أيضاً - من جمْع مبلغٍ من بقيّةِ الطلاب بشكلٍ عفوي – على سبيل التخيير - ثم يُبتاعُ بها هديةً للخاتم، وإن كان بالإمكان هديةً لوالده ووالدته كان بها حتى تعمّ بركة القرآن وبركة حافظه فتصلَ إلى الوالدين.

الوقفة السادسة : لا بد من الرجوع إلى أهل الشأن من القراء والحُفّاظ، واستشارتهم في حال الطلاب مع القرآن ، وعن أفضل طريقةٍ للحفظ وتثبيت المحفوظ ، و ليبتعد أهل المحضن عن الارتجال في مثل هذا ، و كما أن عدم الاستشارة قصورٌ و خوَر .. فإن كثرتها شتاتٌ و ضياع ! ما لمستَ جدواه من الطرق و المنهجيات و وجدتَ ارتياح الطلاب له و تفاعلهم معه فهو الغاية ! أما التخبط و إقرار خطة جديدة و منهجية مختلفة في كلّ فترة فما هو إلا ضياعٌ للأوقات و هدرٌ للطاقات ، و ليكن في حسبانك أن رأي من جرّب و أنتج مقدمٌ على رأي من لم يطرق هذا السبيل[٧٦] ، و على المشرفين أن يتركوا للطالب الجاد حرية اختيار الطريقة التي تناسبه ؛ لأنه أدرى بقدراته و

---

٧٦) و هذه قاعدة عامة في التعاطي مع كلّ من له حظٌّ من التجربة في أي ميدان من ميادين الحياة ، و التربية ميدان و أي ميدان !!؟ و بالمناسبة .. لا يلزم أن يكون المجرب يكبرك سناً ، كما لا يلزمك الأخذ برأيه على كل حال ، فظروف التجربة التي خاضها صاحبك و سياقها الذي جرت فيه قد تختلف عن ظروف تجربتك و سياقاتها .. و قياس كلّ تجربةٍ على أختها يحتاج طول تأمل و نظر .

ظروفه ، فلا بدّ من المرونة في هذا مع سعة البال ، و لو افترضنا أن الطالب ابتكر طريقة في الحفظ و المراجعة و تفاعل معها و وجدنا ثمرتها فيه فلنشجعه على الاستمرار و لنأخذ بيده حتى يصل .. فهذا و الله هو وضوح الهدف بعينه .

الوقفةُ السابعة : من خلالِ ما جربتُ .. أرى أن من الأفضل أن يكون التسميع للطلاب من قِبلِ المشرفين، وذلك ليقفَ المشرفُ على مستويات طلابه ويعرف مكامن الخلل، وأسباب القصور، والحذر الحذر من توكيلِ الأمرِ إلى مشرفٍ لا يملك أدنى مقوّماتِ الإقراء والسماع، فقد أدركتُ عدداً منهم لا يفتحون على الطلابِ أخطاءهم، أقصدُ الأخطاء في الحركات والنطق فضلًا عن التجويد و المخارج، بل - والله- أدركتُ من يفتحُ على الطلاب خطأً ، وهذا والله مما يُخجَلُ منه، لا أقول إن الواجبَ على كل مشرفٍ أن يكونَ حافظاً متقناً، بل أقل القليل أن يعرفَ نطق الكلمات، فإن كان متعثراً في ذلك فليتنحَ فإنما هي أمانة، وأمثالُ هذا يتحتم عليهم أن يقرؤوا القرآن تلاوةً على من يعرفُ أحكامه حتى تستقيم ألسنتهم، ويرتفع جهلهم.

الوقفة الثامنة : رأيي أن يُستعانَ بمقرئٍ يسمعُ من النجباء حفظهم، ويتابع ضبطهم، يقوّمُ ألسنتهم، ويعلّمهم أحكام التلاوة، يرتبطون به، ويسألونه عما أشكل، أما إن توفرت هذه الصفات في أحد الإخوة المشرفين فكفى به.

الوقفةُ التاسعة : تذكير الطالب بين الحين والآخر بفضْلِ حفظ القرآن، وعظيمِ أجره، وليكن هذا التذكير بشكلٍ عفويٍ آناً، وبشكلٍ معدٍّ له في آنٍ آخر، سواء برسالةِ جوال أو رسالةٍ ورقية، أو موضوعٍ ثقافي، أو شريطٍ تُهديه، وما إلى ذلك، ولا تُكثِر عليه حتى لا يولدَ الملل، وحتى لا تنبعثَ السآمة.

الوقفة العاشرة : أَضعف الإيمان .. إذا غُلبَت الروم ، و استصعب المشرفون متابعة الطلاب في محفوظاتهم ، فإنه لا أقل من تقويم قراءة الطلاب ، و تعليمهم أساسيات التلاوة الصحيحة ، بل أن تُقضى الحلقة في تعليم التلاوة للطلاب خيرٌ من إشغالهم بالحفظ الركيك الهزيل ، سواءً كانت الركاكة من حيث ضبط المحفوظ ، أو من

حيث إعطاء التلاوة حقها و مستحقها ، و الواجب أن يكون تقويم التلاوة مقارناً للحفظ ، و من الخطأ الفصل بينهما .

سددكم الله و أسعدكم ..

اللوحةُ السابعة عشرة

النّجباء

كما قسّم الله الأرزاق والأخلاق بين عباده .. فإنه – سبحانه – قد قسّم القدراتِ والعقولَ، فإنك إذا تأملتَ في حال البشر، وجدتهم يتفاوتون في قدراتهم وعقولهم غاية التفاوت، فتجدُ أحدهم يتميّز في حفظه، وتجدُ الآخر يمتاز بقوّة فهمه ، وتجدُ الثالث يجمعُ بين قوّة الحفظ وقوّة الفهم، أما الرابعُ فتجد فيه مُحدّثاً بارعاً وخطيباً مصقعاً، و الخامس صاحبُ قلمٍ سيّالٍ بديع المعاني والتراكيب، والسادس يتفوق في مجال الابتكار والاختراع .. وهكذا ..

ومن بين هؤلاء يتفوقُ أناسٌ على أناس، ويتميز فريقٌ منهم عن الآخر، وذلك بفضلِ ما أعطاهم الله من النبوغِ وامتيازِ القُدُرات، وذلك فضلُ الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

ولن يخلو محضنٌ من أمثال هؤلاء النوابغ، فالحِفاظُ عليهم، وتوجيههم، والارتقاء بمواهبهم وقدراتهم، مطلبٌ رفيع، وحاجةٌ مُلحّة، خصوصاً مع الضعفِ الظاهر الذي تمرُّ به أمّةُ الإسلام، حتى ارتفعت رؤوسٌ ما كان لها أن ترتفع، وطأطأت رؤوسٌ كان عليها أن تشمخ!

وما يدريك .. لعل أحدهم يسدُّ ثغراً أعيا الرجالَ سدُّه، ولعل أحدهم يقومُ مقاماً قلّما يقوم لهُ الرجال، فإيّاك أخي المشرف أن تُفرّط في مثل هؤلاء، فهذا جنوحٌ لو كنتَ تعلم، ولستُ هُنا بصدد الحديثِ عن كيفية الوصولِ إلى النوابغ ومعرفتهم إنما أنا بصدد الحديث عن كيفية التعاملِ مع هؤلاء .

أولاً : علينا أن ندركَ أننا مؤتمنون على أمانةٍ عظيمة، وأننا نحملُ رسالةً عظيمة، فلم نكن لنجتمع من أجل أن نتضاحك، ونتراشق بالكلام، وما يحصل من هذا القبيل، ما هو إلا تراجعٌ من أجل الوثوب، كما قال ابن الجوزي – رحمه الله – : (فإن قاطع مرحلتين في مرحلة خليق بأن يقف، فينبغي أن يقطع الطريق بألطف ممكن ، وإذا تعبت الرواحل نهض الحادي يغنيها، وأخذ الراحة للجد جد، وغوص السابح في طلب الدر صعود ، ودوام السير يحسر الإبل، والمفازة صعبة) ا.هـ من صيْد الخاطر .

وإننا إذا أدركنا ذلك، فإنه من اللازمِ أن ندرك أن من أداء الأمانةِ أن نعطيَ كلَّ ذي حقٍّ حقّه، فلا نسوّي في العطاء بين غافلٍ ونابه، ولا بين ضعيفٍ ونابغة، فليس هذا من العدل ، ولا من أداء الأمانة ، ولا من الحكمةِ .

ثانياً : من المهم في أطروحاتنا – بشتى أشكالها- الثقافية والاجتماعية والترفيهية والرياضية، أن نلبي رَغَبات الفئةِ الأغلب وأن تكون هي المستهدفةُ في الطرح، والغالب أنها هي الفئة الوسطى ذات القدرات المتوسطة، فلا نُقدّمُ الفئة القويّة المتقدمة، ولا نقدّمُ الفئةَ الضعيفة المتأخرة، وهذا ينتجُ منه غالباً تذمّرٌ من النوابغ، وملل وعزوفٌ من الضِعاف، فأما الضعيف فإنه في نهاية الأمر إما أن يرتقي إلى مصافّ الطبقة الوسطى، وإما أن ينسحب ! وأما النابغة فلهُ تعاملٌ آخر.

ثالثاً : قد يتذمّرُ النجباءُ من برامج الحلقة و مناشطها، لذا تجدهم في كثيرٍ من الأحيان ينتقدون برامج الحلقةِ وأطروحاتها؛ لأنها لا تلبي رغباتهم، فتجدهم يطالبون بطرحٍ أكثر، أو بطرحٍ أعمق وأوسع، أو ببرامجَ أكثر كثافة، وهذا يؤذي كثيراً من المشرفين، وما علِم المُشرِفُ الحبيب أن هذه ظاهرةٌ صحيّة، وأن التأذي لا مبرر له، إلا إن كان النقدُ من طالبٍ بطّال فارغٍ فيحق للمشرفِ حينها أن يتأذى، وقد يُقابل المشرفُ هذا التذمّرُ من النجباء بأمورٍ لا تسرّ، كالتحطيمِ والتثبيط، وكـ تكميم الأفواه ورفضِ الإنصات، ولربما أدى ذلك إلى الاستبعاد والفصْل، وكلُّ هذا يؤدي في النهايةِ إلى أن نخسر هذه العقول ! وأظن أن عِلاجَ هذه الحالات من التذمّر يمرّ بالخطوات الآتية :

١. أن نشرح للطالبِ أن تلبيةَ رغباتِ الجميعِ أمرٌ يستحيل، إنما نلبي رغبات الأغلبية، وهذا يطّردُ في كلِّ مناشطِ الحلقة.
٢. أن يُربَطَ الطالبُ النجيب / المتميز، بمشرفٍ يلبي رغبته، ويروي نهمته، وبالتأكيد لابد أن يكون المشرفُ متفوقاً على الطالب، قادراً على تعزيزِ الجانبِ المتميّز فيه حتى يجني الطالبُ الفائدة، فتكون علاقته بالمشرفِ عبارة

عن برنامج مساند ، ولا مانع من وجودِ برنامجٍ بين المشرفِ والطالب خارج إطار الحلقة شريطةَ أن يكون البرنامجُ يصبُّ في مصلحةِ الطالب لا لشيءٍ آخر .. كمجرّد الترويح والترفيه، وإن لم نجد مشرفًا يقومُ بهذا ، فلا أقل من ربطه برجلٍ من خارج الحلقة موثوق في دينه يستفيد منه الطالب في مجال تميّزه.

٣. أن يتواصلَ المشرفون مع الطالبِ بما يثري هذا التميّزَ عنده - وإن لم نجد في أنفسنا قدرةً على ذلك – وذلك بإهدائه الكتبَ والأشرطةَ والمجلات والمواقع التي تغذّي فيه جانبَ التميّزِ لديه، وهذا أقل القليل .. وسيشعره باهتمام المشرفين به، مما يؤدي إلى خبو جذوةِ التذمّر.

٤. لا يمنع أيضاً أن نكلّفَ الطالب بمهمةٍ تعزز فيه جانب التميّزِ عنده، سواءً كانت المهمةُ على مستوى الحلقة أو على مستوى أكبر، كأن يكون مُبتكِراً مثلاً، فنطلبُ منه ابتكاراً معيناً يغطّي نقصاً في الحلقة.

لا أنسى يوماً .. حينما كان أحدُ المشرفين يُلقي سلسلةً من كتاب في السيرة، وكان يشتكي من كثرة مقاطعةِ الطلاب له، فما كان منه إلا أن التفت إلى عبد العزيز – وهو طالبٌ له عناية بالاختراع والابتكار !! – وطلب منه أن يحلَّ هذه المشكلة في أقرب فرصة، وعندما حلّ الدرس بعد أسبوع، أخرج عبد العزيز بضاعته وتمديداته الكهربائية، وأوصل السلك بالقابس، فأضاء نورٌ أحمرٌ، وقال : حتى يُغلق هذا النورُ نبقى صامتين، وأعطى المُلقي مِكبساً إذا ضغط عليه انطفأ النور، وفتح المجال للمشاركة، لقد كانت لفتةً رائعة، وتعاملاً راقيا ..

رابعاً : قد يُصاب المتميّزُ بآفةِ العُجْبِ نظيرَ تميُّزِهِ على أفراد المجموعة، سواءً في الحفظِ أو الفهْمِ أو غير ذلك، وأرى أن هذه ليست ظاهرة مَرَضيّةً محضة ، فليتشبّع بهذا في صِغرِه، خيرٌ له من أن يُصابَ به في كِبَرِه، مع ضرورةِ التواصل معه وتبيين مغبّةِ هذه الآفة، متضمناً إيراد الأحاديثِ والقصص التي وردتْ في هذا الباب وما

أكثرها .. و أشدَّ وقعها ! و الحذر كل الحذر من محاربَة تميُّزُ الطالبِ بتجفيف منابعِ التميُّزِ عنده من أجلِ هذه الآفة، بل هذا عينُ الخطأ، وحيلةُ العاجزِ.

أتذكّرُ أن سعداً كان متميّزاً في الإلقاء، وكان إذا تكلم بكلمةٍ سَلَب الألباب، ومَلَكَ أزمّةَ القلوب، هو فارسُ هذا الميدان، وسيّدُهُ الذي لا يُبارى ولا يُجارى، كان صغيراً في السنّ، وبالتحديد في الصفِّ الأول الثانوي، بدأ العُجبُ يسري إليه شيئاً فشيئا .. فكيف كان التعامل معه ؟

أحدُ الإخوةِ المشرفين – غفر الله له – طَالَبَ بتحجيم دوره، ومنعه من الإلقاء ومن تولّي أي منصبٍ قيادي، وبالفعلِ تحقق له شيءٌ من ذلك، و والله يا إخوة رأيتُ في وجه سعد انقباضاً وضيقاً لا يعلمُ مداه إلا الله! ولو حلفتُ أنه عزم على الانسحاب من الحلقةِ في تلك الفترة ما حنثت، بل وصلَ الأمر إلى أن هذا الطالب ألقى كلمةً في مكانٍ مكتظ – على غير اختيارٍ من صاحبنا المشرف – وكانت كلمةً بديعةً كعادته، أبهرَ بها الحضور، على مرأى منّي ومسمع، فما كان من المشرفِ بعد انقضاء الكلمةِ إلا أن مرّ بعددٍ من المشرفين وهو يقول لهم : لا تشكروه .. لا تمدحوه .. لا تثنوا عليه !!!

والله لا أدري ما الذي يضيره ويضيرنا لو أننا مدحناه وأثنينا عليه وعززنا فيه هذه الموهبة التي شهد له بها الجميع، وفي نفسِ الوقتِ اعتنينا بجانب النُّصحِ والتوجيه بشكلٍ مستمرٍّ غير ممل، إذاً لأبرأنا الذمّة وأدينا الأمانة، لكن .. يا ليتَ قومي يعلمون ..!

بقيَ أن أشيرَ إلى أن بعضَ المشرفين – والطلاب أيضاً – يختلقُ (حسداً من عنده) وجودَ هذه الآفة في الطالب، والسبب في ذلك أنه يرى أن الطالبَ متفوقٌ عليه، وهذا ما لا يرضاه ولا يحبّه كثيرٌ من المشرفين وللأسف، مما يحدوهم إلى اختلاقِ وجود مثلِ هذه الآفة، وتحميل بعض التصرفات مِن قِبل الطالب ما لا تحتمل، ولو تأمل العقلاء من هؤلاء المشرفين أنه لا يوجدُ ما يمنع من تفوّقِ الصغير على الكبير .. لما أقدموا على مثل هذا ! والتاريخ ينضح بالشواهد.

خامساً : لا يصحّ أن يطغى اهتمامنا بالنجباء على اهتمامنا ببقيّةِ الطلاب .. فالعدل العدل .

اللوحة الثامنة عشرة

إليكم آل الثالث الثانوي

عمّا قريب ومع بداية العام الدراسي الجديد .. سيدخل كثيرٌ من طلاّب الصفِّ الثالث الثانوي معركةَ تحديد المصير، وهي في الواقع المعركةُ الأشدّ شراسةً بالنسبةِ لطالبٍ في المرحلةِ الثانوية، هذه المعركة وإن تلاشت حدّتها في الفترة الأخيرة نتيجةً للنظامِ التعليمي الجديد، إلا أنها لا تزال تملكُ قلباً ينبض، يزداد خفقانه عند البعض، ويكاد أن يختفي عند البعضِ الآخر، والانشغال بهذه المعركة، وتهويل حجمها (سواءً من قِبل الطالب أو المشرف)، يجعلنا - وبلا شعور- نخسرُ طاقاتٍ لطالما عُقِدت عليها الآمال، ومِن هذا المنطلق .. قررتُ أن أكتبَ رسالةً أوجهها إلى كلِّ طالبٍ يعيش هذه المرحلة من طلاّب الحلقات والمكتبات، عسى أن أُسهم في ترشيد هذه النظرة ..

" أخي الحبيب .. هذا حديث الفؤادِ إلى الفؤاد، ونجوى القلب في القلب، وهمسُ الشعورِ في الشعور، فإياك أن تسمع ثم تُعرض، أو تقرأ ثم تُلقي الكَلِمَ خلفك ظهريّاً، إني أعظك أن تكون من الجاهلين ..

أخي الحبيب .. يا غُرَّةَ الشباب، و يا دُرَّة الحلقة، ها أنت قد اعتليت السنام، وغدوتَ الغيث في مُقفرِ الأيام، والقمرَ المنيرَ إذ يغورُ النور في وحْلِ الظلام، فهل بعدَ هذا يحلو لك الهجْر ..؟ وهل يطيب لك أن تمنع عن الملهوفِ نشوةَ القطر!؟ أرجوك قف يا صاحبي .. لا تتعجل، فإن العاقل لا يرضى من المجد إلا باللُّباب، ولا يختار الخمول والدعةَ على السعي والطِّلاَب، وما سمعنا أن سفينةً تختار اليباب على العُباب، فكن آخذاً بقوّة، وخُضِ الغمار، ولا تقف إلا عند أوّل قدمٍ في الجنّة ..

أخي الحبيب .. الهوّةُ سحيقة فكن الجسر، والجملة لا تستقيم فكن واو العطف، واللفظ متنافر فكن واو المعيّة، أنت الوسطُ الذي يلتقي فيه الطرفان، ويجتمعُ فيه الضدان، يستودعُ الطالبُ في مكنونكَ أسراره، ويدفنُ بين جنبيكَ شجونه وهمومه، فأنت - فيما يرى - كاليد الحانيةِ التي تمسحُ رأس اليتيم، وكالهدهد النابه يحملُ الرسالة في حكمةٍ وحذر، يرجو منك أن تكون وسيلة الحلّ، وطوق النجاة، فكُن أهلاً لمثل هذا، وإياك أن تتخلى عن الصِّحاب عند اشتداد الحاجة ..

أخي الحبيب .. رجوتك .. تواصل مع مشرفيك، وانقل إليهم هموم إخوانك الطلاب ، حتى تكوّن معهم آلةً للإصلاح والتهذيب، ينعمُ بها إخوانك، ويفرحُ بها مشرفوك، لا تكن أنانيَّ النفس، فظَّ الخاتمة، تُغدقُ عليك الحلقة بأفضالها، حتى إذا كانت في أشدِّ الحاجةِ إليك، قلبتَ لها ظهر المجنّ، تتنكّرُ للجميل، وتتجاهل كُلّ حَسَن، وكلُّ ما تحومُ حوله وتردّده وتتحجج به أن للمستقبلِ نصيباً، وبين الحلقةِ والدراسةِ تعارضٌ لا يستبينه إلا العاقل - كما تقول - .

أخي الحبيب .. لستُ مِثالياً، وما كنتُ لأستلَّ القلمَ وأطالبك بذلك، غير أن الواقعَ أخبرني .. أن الإلحاح في الدعاء مع تنظيمِ الوقتِ وترتيبِ الأولويات يصنعان الأعاجيب، أدركتُ ثُلّةً كبيرةً من الشباب، جمعوا بين العمل مع الشباب وبين الدراسة، لا يجدون في ذلكَ أيَّ تعارض، بل بعضهم - والله - لا يتغيّب أكثر من عدد أصابعِ اليدِ الواحدة ولظروفٍ لا تتعلقُ بالدراسة والمذاكرة، كنتُ أراهم يحضرون كلَّ البرامجِ بلا استثناء، ويتفاعلون مع كلِّ طرحٍ، ويبذلون كلَّ ما يستطيعون، وفي نهاية الأمر، كانوا هم المتفوقون، فالتحقوا برِكابِ العلماء والقضاة والأطباء والمهندسين والإداريين، فهل كانوا يملكون عقولاً لا نملكها نحن ؟!

وأدركتُ ثُلّةً أخرى، ابتعدتْ والحاجةُ إليها في اشتداد، بحجّةِ التفرغِ للدراسة ونَظْمِ المستقبل القادم، فلما أزفَ وقتُ الحصاد، إذ بالنتيجة لا تسرّ، فانفرط العقدُ، وتبخّرتِ الآمال كسرابٍ بقيعةٍ يحسبه الظمآن ماءً، فأي الفريقين أحقُّ بالأمن ..؟!

أخي الحبيب .. إنني لا أنكرُ أن عدداً من الشبابِ، استمرَّ مع الحلقةِ ومناشطها، ثم أخفقَ في دراسته، لكن ع أن السبب لم يكن من ذات الحلقة، إنما كان من ذات الشاب، لأنه لم يرسم طريق التفوق، ولم يرتب الأولويات، إنما مضى كيفما اتفق .. هذه هي الحقيقة .. ولا أنكر أن عدداً من الشباب، تركَ الحلقةَ وتفرّغَ للدراسة، ثم خرج بنتيجةٍ مذهلةٍ تُثلجُ الصدر، فهذا موجود .. ونفرحُ له من أجل ذلك، لكن هل

سيعودُ للحلقةِ ليُكملَ المسيرةَ ويؤدي الزكاة ؟ إن نعم فهذا من طِباعِ الأوفياء، وإن لا .. فقد خلع سِترَ المروءةِ، وباع الكرامةَ بثمنٍ بخس، وما ذاك إلا مِن شؤم الأنانية!

أخي الحبيب .. متى ما أخذتَ هذه المرحلةَ بحقّها، فـ ستكون أنت واسطةُ العقد، ومأرزُ القلوب، وواحة الصحراء، وقِبلةُ الطلاّب .. أما حقُّها فأن يتفيأ إخوانك الطلاّب تحت ظِلالك، تعودُ مريضهم، وتسأل عن غائبهم، وتفرّجُ عن مكروبهم، وتُعينُ محتاجهم، وتغوصُ في أعماقهم، لتعرف همومهم ومشكلاتهم، ثم تنقلها إلى أهل الحلِّ والعقدِ من إخوانك المشرفين ليسهموا معك في المداواة والعلاج .. حقُّها أن تتواصلَ مع مشرفيك، تُعينهم على ما كلّفهم الله به، تُسهِمُ معهم في إعداد البرامجِ، وتنسيقِ الرحلات، تسدُّ النقصّ إن وُجد، تتلهفُ للبذل والعطاء في كلِّ حين، لسان حالك معهم: هل من مزيد ؟ .. حقُّها أن تهتمّ بأمر دراستكَ كما يجب، وعند وجود التعارض الحقيقيِّ بين دراستك وبين مناشط الحلقة، فلا تتردد في تقديم الدراسةِ على الحلقة، لأن الدراسةَ هي أولوية المرحلة ..

أخي الحبيب .. وبعد كل ما مضى، أرجوك .. لا تكُن مِعوَل هدمٍ وآلةَ خراب، بل كُن وسيلةَ حياةٍ وآلة بناء، سيأتيك جمعٌ من الطلاّب، يخوضون ويغتابون ويبهتون، يتكلمون بالخطأ والصواب، فلا تزد في تنافرِ القلوب، وتأجيج الأضغان، فـ إنهُ عملٌ غير صالح، إنما احرص على جمْع القلوبِ، وتوحيد الصفِّ، وإزالةِ الشحناء، ورفع التنازع، فـ لله ما أجمل الائتلاف، ولله ما أقبحَ الاختلاف، وليكن الوجه البشوش، والكلمةُ الطيّبةُ، والعلاقات الحسنة، هي السبيلُ إلى ذلك، دون شتمٍ ولا تنقيصٍ ولا رفعِ صوتٍ ولا حقدٍ ولا أي شيءٍ من ذلك، فـ لو كنتَ فظًّا غليظ القلبِ لا نفضوا من حولك، واعلم أخي الفاضل أن التنازعَ والفُرقةَ والدعوةَ إليهما - بشكلٍ مباشرٍ أو غير مباشرٍ – هو علامة الضعفِ، وبدايةُ السقوط، ومحضنٌ لا تجتمع فيه القلوب .. أقولها وبصراحة : لا يستحق البقاء، ولا البقاء فيه ..

أخي الحبيب .. المقامُ قصير، والكلامُ يطول، لكن باختصار : أنت في الفترةِ الذهبيّة، التي لطالما وددتُ أن أعودَ إليها لأصحح كثيراً من الأمور، ولكن هيهات هيهات، فاغتنمها قبل الفوات، حين لا يجدي عضُّ اليدِ، ولا ينفعُ قرعُ السن..

أخي الحبيب .. أسأل الله – عز وجل – أن ينفعك وينفع بك، وأن يرزقك التوفيق والسداد في دراستك وفي مستقبلك، وأن يرزقك ما تتمنى، وخيراً مما تتمنى، وأن يكتب لك الخير أينما كان، وأن يجعلك مُباركاً ، تنفعُ أينما حللت، وأن يجعلك سليم الصدر، مخموم القلب، تجمعُ قلوب الناسِ على الخير، وأن يرزقني وإياك الفردوس الأعلى من الجنة .. آمين آمين آمين"..

•حبذا إن رأى الإخوة مشرفو الحِلَق مناسبتها لطلاب هذه المرحلة أن يُبلغوا صداها إليهم.

اللوحة التاسعة عشرة

يسمونه المرسى !

هذه اللوحةُ ستكونُ خفيفةَ المضمون، غريبةَ الفكرة، لذيذةَ العاقبة ..

عندما تكونُ في رحلةِ نهايةِ العام والتي تكون الوجهة فيها عند كثيرٍ من الحِلق إلى منطقة الجنوب، وما يسبقها من تَعَبٍ ونَصَبٍ وطول إعداد، فإن الأهازيجَ تكثُر، والأصوات تعلو بالأناشيد و الصيحات و ذلك من باب الترويحِ عن النفس، وقطْعِ الطريق بما ينسي مشقّته، ولا شكّ أنّ هذا من الفضائل التي يُثابُ عليها الإنسان متى ما أعملَ نيّته.

أردتُ أن أقف هنا على أمرٍ مهم، رُغم عفويته، إلا أنه قلّ من يلتفتُ إليه، وهو أنه بعد انتهاء الرحلةِ، ومُضيّ فترةٍ من الزمن، يُردّدُ أحدهم أهزوجةً معينة، أو تستمع مجموعةٌ ما إلى شريطٍ معيّن، فتعود الذكرياتُ كالومضِ إلى تلك الرحلة، فيستذكرون مواقفها وأحداثها، ويتضاحكون على ما كانَ فيها من أحداث ومواقف، ولا تخلو تلك الاستذكارات من دعواتٍ عابرة، يُرسلها مَن شاركَ لمن تعب وأشرف، وهذا مكسبٌ عظيم – ولا شك - .

عن نفسي..

فإنني ما إن أسمع شريط [الثريّا] حتى تطيرَ بيَ الذكريات إلى [المركز الصيفي]، وأظن أن كثيراً من الإخوةِ ممن هم في سنّي يبادلونني الشعورَ نفسَه، والسبب أن ذلكم الشريط صَدَر مع بدايةِ أنشطةِ المراكزِ في تلك السنة، وكان حضورهُ قوياً، فلا تكاد تخلو منه سيّارةٌ آنذاك، بالإضافة إلى أن أبا عبد الرحمن (الذي كان يمرني تلك الفترة) كان لا يخرج من المركز نهاية الدوام إلا ويديرُ مسجّل التشغيل على ذلكم الشريط، فغدا سماعُ الشريط فيما بعد يستنهضُ تلك الذكرياتِ الجميلة.

وكذا إن سمعتُ نشيدَ [سيف الإسلام] الذي يتحدثُ الضرغام [خطّاب] تقبله الله، فإن الذهن يطيرُ بي شوقاً إلى تلك الرحلة، غريبةِ الأطوار، عجيبةِ الأحداث، والسبب أن

ذلكم النشيد كان على الدوام مردداً في تلك الرحلة، إما عن طريق آلةِ التسجيل، أو عن طريقِ أفواه الطلاب، فـ سقى الله تلك الأيام.

كلُّ ما أريد أن أصل إليه - أيها المبارك - ..

أن ما مضى يُسمى - عند أهل التخصص – بـ(المرسى)؛ لأن الذكريات تنهمر عند الإرساء بهذا المرسى، فيصولُ خاطرُ الإنسان ويجول، ويَستعيدُ أياماً جميلةً قد أكل عليها الدهرُ وشرب، ولا يملكُ بعد ذلك إلا أن يغُطّ في دمعٍ هتون، لا يقوى على مغالبته و مدافعته، ولله الأمر من قبل ومن بعد.

اجعل لك أنت - أيها الحبيب- مرسىً، يذكُرُكَ به إخوانك وأحبابك، وشرطُ هذا المرسى، أن تكون علاقتُكَ بإخوانك من المشرفينَ والطلاّب فائقةَ الحُسْنِ والجمال، بأخلاقك وابتسامتك وتعاملك وطيب معشرك، أما إن كنتَ عكسَ ذلك فلا داعي للمرسى، لأن ذكرياتك حينئذٍ ستكون ثقيلةً على إخوانك.

أمّا لماذا المرسى ؟ فـ لأمور:

١- أهمها وهو الذكر الحسن، فمع كثرةِ الأشغال واختلاطِ الأمور، ينسى الإخوان أخاهم، حتى إذا حضر المرسى (وهو الموقف أو النشيد أو ... إلخ الذي ذكّرهم بأخيهم) إذ بالقوم يذكرون أخاهم، ويذكرون خلاله الجميلة وصفاته الحميدة، وهذا بحدّ ذاته مطلب لأنه مجلبةٌ للدعاء.

٢- طلباً للدعاء وهذا من شيَم الأخوّةِ الحقّة، فإنهم إذا ذكروا أخاهم دعوا له وأقل الدعاء ما نسمعه بعفويةٍ دوماً عند ذِكرنا لأحد الأخوة، بأسلوبٍ عاميٍّ مُبَسّط (الله يذكره بالخير) .

٣- استجلاب الذكريات، خصوصاً لمن يحب العزف على أوتارها ، وأنا من أولئك ، بل وأتلذذ بذلك، ولا تجد شيئاً يعين على ذلك كالمرسى .

أمّا كيف أضعُ مرسىً لي؟ فالجواب يطول، بحسب الشخص وبحسب المكان، فمثلاً إن كنتَ ممن يمرّ الطلاب بسيارته، فلا أقل من شريطٍ جميلٍ وهادف تعيدُ تشغيله بين الفيْنةِ والأخرى، بشكلٍ لا يجعل الملل يتسلل إلى من معك، فتستمر في تشغيله طيلة الفصل الدراسي كل ثلاثة أيام، بعد ذلك إذا تركت أولئك الأحباب، لأمرٍ أو لآخر ، فإنهم مباشرةً سيرمون بالمرسى على شاطئ الذكريات متى ما استمعوا إلى ما ردّدتْه آلة التسجيل في سيارتك حينذاك ، وستنهمر الدعوات لك من كل جانب، متى ما كانت ذكراك معهم طيّبة.

أو إذا كنتَ في رحلةٍ مع الأحبة، فردّد أهزوجةً معيّنة، وأكثر من ترديدها، ولتكن جديدةً سهلةً جميلةَ المعاني، لن تنتهي الرحلةُ إلا وقد حفظها الكثير، وسيأتي في يومٍ من الأيامِ من يردّدها، فإذا رددها فقد ألقى المرسى، وسيستعدُ من عرفها بك وعرفك بها للسباحةِ في شاطئ الذكريات، ولن تُعدَم دعوة ..

ولا يقتصرُ المرسى على نشيد أو أهزوجة، فهو فنّ، فأنتَ وما تملك من موهبةٍ وقُدرة..

اللوحة العشرون

رسالة إلى كلّ مَن له قريبٌ في هذه المحاضن المباركة[٧٧]

٧٧) ملحظ: كتبتها إلى الأم ؛ لأنها أحنُّ على الولد ، وأشد حرصاً عليه !

❖ مسارب:

١. اعلمي - أمي الحبيبة - أن من أعظم نعمِ اللّه عليكِ أن منّ عليك بابن سلك طريق الهداية، وانخرط مع هؤلاء الفتية الأطهار، الذين يرشدونه إن أخطأ، وينصحونه إن زلّ، ويقيلونه إن عثر، تأملي في حال ابن أختك أو ابن أخيك الذي ملأ حياته بالقيل والقال، وصار عاراً على أبيه وأمه، لا يعرفُ الصلاة مع جماعة المسلمين، ولا يحفظ لسانه من السباب والشتائم ، كلما طلبتْ منه أمه أن يؤدي غرضاً لها قابلها بالتأفف والتذمر والتضجر والعياذ باللّه .. فاحمدي اللّه، فإن نعمة الهداية أعظم نعمة، ولو لم يكن من الحلقة إلا أنها تحفظ فلذة كبدك من مزالق السوء وأهله، كأصحاب التدخين والمخدرات والمسكرات والفواحش والشذوذ لكفى بها نعمة ومنّة.

تأملي - أماه - هذا المشهد ..

كنتُ معهم .. وبعد الصلاةِ قام أحد الطلاب ليلقيَ كلمةً يُذكّر بها الناسي، وينبّه الغافل، كانت الكلمةُ مؤثرةً، أحدهم كان على مرمى البصر، لقد رأيت الجُمان يتحدّر من عينيه، فلما انقضت الكلمة، مسح وجهه بغترته وطرفِ أكمامه، ثم قام ليؤدي السنة الراتبة، وكأن شيئاً لم يكن ..!

واللّه لقد رأيته بأمّ عيني يا أماه، قد تستغربين إن قلتُ لكِ إنهما – الملقي والباكي – كانا في الصف الأول الثانوي، أعتقد أن لو كان الأمر بيدكِ لاشتريتِ هذه اللحظات لابنك بكنوز الدنيا .. ولن تفي .. فكيف وقد ساقها اللّه إليكِ ..؟

٢. أمي الحبيبة.. ثقي تمام الثقة أن مشرفي الحلق يربّون ابنك على السماع لك وطاعتك والائتمار بأمرك والانتهاء عند نهيك، وإذا تعارض برنامج الحلقة مع أدنى حاجاتك فإنهم يُلزمون ابنك بالانصياعِ لك، هكذا ربّونا وهكذا نربيهم، واعلمي – أماه- أنه إن حصل من ابنك خلاف ذلك فإنهم من هذا التصرف بريئون، لا يقرّونه ولا يرضونه - علم اللّه- فلعلها سقطةٌ من ابنك

- حرسه الله - فاسألي له الهداية في كل حال وعلى كل حال، وهذا الكلام ينسحبُ على أي تقصيرٍ من طرفه في حق الله عز وجل، كالتفريط في الصلاة على وقتها، أو عدم الصلاة مع جماعة المسلمين، وكذا ما يحصل منه من جنوح عن الحق، وميلٍ إلى سبيل الشيطان، كلُّ هذا لا نرضاه ولا نقرّهُ، ننهاه عنه ولا نأمره به .

٣. أمي الحبيبة .. قد أُغرِبُ إن قلت لكِ إنني أتمنى أن لو شاركتِنا أسبوعاً واحداً، لتعرفي أن ابنك يعيشُ في جنّةِ الدنيا، لا لا .. لستُ مبالغاً، إنني في مقامٍ لا يسمحُ لي بذلك، فأنا ناقلُ صورة ويلزمني الحياد ولا بد.. أمعني النظر وتأملي – يا رعاك الله - .. في يوم السبت يلتحقُ ابنك بالدرس العلمي ثانياً ركبتيه عند أحد العلماء أو طلبة العلم .. و يا له من مشهدٍ وهو يقتنصُ الفوائد ويقيّدها بقلمه، وفي يوم الأحد يحلُّ ضيفاً على بيت أحد إخوانه من الطلاب هو وبقية أفراد الحلقة ، يعرفُ من خلال هذه الزيارة كيف يكون ضيفاً لبقاً و زائراً مهذّبا ، أما في يوم الاثنين فهو صائم اقتداءً بمحمدٍ ﷺ قد أحضر إفطاره معه، وقبيل الأذان بثوانٍ معدودة يتمتم بكلماتٍ غير واضحة المخارج .. ليُفهم من ذلك المشهد أنه يدعو في ساعةِ إجابة، وحوله إخوانه يشاركونه الدعاء، وفي يوم الثلاثاء يكون موعده مع دورةٍ تطويرية ترتقي بذاته، فطالب الحلقةِ يسعى للكمال ولا بد .. أما يوم الخميس فله موعدٌ مع رحلةٍ يستجمّ بها، لينطلق من جديد في ركابِ أهل العزيمةِ والجد، أما إخوانه من الطلابِ، فمستقلٌّ ومستكثر، منهم من يفوق ومنهم من يُفاق ..

أحدهم نام متأخراً في بيت أبيه وفي يده سماعة الهاتف .. أتدرينَ لمَ ..؟

لأنه لم يرتضِ المقدار الذي يسمعه في الحلقةِ فأراد الزيادة فلم يجد أفضل من التسميع بالهاتف على مشرفه، غير أنه غُلبَ هذه المرة، والنومُ غلاّب، فتأملي المشهد - أماه - .. أما الثاني فما ترك صيام الاثنين قطّ ، فإن لم يكن له وجود على سفرة الطعام، فلا نشك أنه معتذرٌ لم يحضر هذا اليوم .. وعندما

تسألينني عن الثالث فثقي أنه شُعلةُ مسجد الحيِّ في رمضان .. بل وفي غير رمضان، يقيم المسابقات وينسّق اللقاءات .. أما الرابع فما احتملتُ نشيجه عندما كنا نصلي خلفَ الإمام في رمضان المنصرم، صدقيني كدتُ أقطع صلاتي، فأنّى له هذا القلب !!؟

وعندما أتكلمُ عن الخامس فهو ذاك الذي بكى عندما أتمّ حفظَ القرآن وخرّ ساجداً لله، أماه .. والله لو رأيتِه ما أخالك إلا باكية .. أما السادس فدائمُ النصحِ، لا يقفُ سفين نصحه عند شاطئٍ أبدا، استفاد من توجيهه الطالبُ والمشرف على حدٍّ سواء .. يتفق مع ذاته في الهدف، أما الوسيلة فلكل مقامٍ مقال .. والسابع هو من تسامت روحه حتى قرعت الموعظة قلبه، أخفى حبات الجمان، ثم أرسلها إلى غترته وثوبه يرجو ألا أحد رآه .. لقد رأيته يا أماه ..

وأقول عن الثامن .. إنه ذو الروح الخفيفةِ المرحة، الذي يدخل السرور على قلوبِ إخوانه، ما عرفَ الضغينة ولا الحقد ولا الحسد، يود أن لو وضع رأسه على فراشه والكل راضٍ عنه، إنه سليم الصدر مسلول السخيمة..

هؤلاء هم صحب ابنك أيتها الأم الحنون .. أكبرهم لم يتجاوز الثامنة عشرة، فاطمئني .. فإن ابنك واحدٌ من هؤلاء، وإلا يكن .. فهُمُ القومُ لا يشقى بهم جليسهم، ومن عاشر قوماً أربعين يوماً صار منهم .

٤. الأم الغالية .. ليتكِ تعلمين أي شيءٍ يبذله المشرفون من أجل ولدك، لن أسوقَ ما سأسوقه استدراراً لشكرٍ أو ثناء، فالقومُ ماضون لا يريدون منكم جزاءً ولا شكورا، وأجرهم على الله، لكن لعل دعوةً صادقةً تخرج منكِ يبارك الله لهم فيها ، و ربّ دعوةٍ فتحت أبواب خيرٍ لا يعلمها إلا الله ..

يستعدُّ من أذان العصر .. يدير مفتاح التشغيل ليصلي في المسجد القريب، وبعد الصلاة ينطلق ليحمل معه طلابه .. ثم إلى المسجد الذي يكون فيه التسميع وبقية الأنشطة ..

السيارة سيارته الخاصة .. والوقود يدفعه من ماله الخاص، ولا يجدُ حرجاً أن يقف عند متجرٍ على الطريق ليبتاع لأصحابه ما يبتاع من ماله الخاص، إدخالاً للسرور عليهم، أو إطفاءً لنار عطشهم، أو كرماً منه ليدلل على محبته لهم، ناهيكِ عن بنيّاتِ الطريق التي تستوقفه بين الفينة والأخرى كالعشاء مع أفراد سيارته ولابد أن يكون هو المستضيف في يوم من الأيام وأصحابه هم الضيوف، وكذا تغيير زيت السيارة في فترات متقاربة نظير كثرة مروره للطلاب وإرجاعهم لبيوتهم، كذلك ما يبتاعه للحلقة من الضروريات على حسابه الخاص ويرفض أن يأخذ مقابلاً راجياً الأجر من الله، وغاية ما يملكه لا يتجاوز الـ ١٠٠٠ ريال في الشهر، وهي مكافأته الجامعية، فغالب مشرفي هذه الحلقات من هذه الطبقة .. هذا من الناحية المادية وهي أمر هيّن .. لا يستحق العناية ولا الالتفات..

أما من الناحية النفسية .. فدونك ذي الإشارة :

يظلُّ المشرف - ما دامَ يعمل في الحلقة – مُتفتّقَ الذهن، منشغل الخاطر، يخشى على أفراد حلقته أن يكون من بينهم من هو رجل سوء يسعى لإفسادهم وإفساد دينهم عليهم، ليس من باب الوسوسة، إنما من باب الحيطة والحذر، و حفظ الأمانة وصيانتها مما قد يتلفها، وما أعظم همّه إن أحسّ بشيءٍ من ذلك فيصبح شغله الشاغل وهمّه الأكبر حتى يصل إلى حل المشكلة .. كذلك إن بلغه أن أحد الطلاب يعاني من مشكلةٍ ما فإن ذهنه يتقّد بحثاً عن سبيل لإنقاذه، فإن كان الطالبُ هو الذي صرّح له بالمشكلة فالأمر يهون نوعاً ما لأنه سيتواصل معه بلا حواجز ولا عوائق، لكن الأدهى أن يكون التصريح للمشرف بالمشكلة قد جاء من طرفٍ آخر كالأب أو الأم أو غيرهما، فلا تسألي أيتها الأم المباركة عن ضيقته وكبير همه، لأنه لا يدري كيف سيعالج مشكلته، إذ الحاجز بينه وبين الطالب كأقوى ما يكون ! كيفَ

سيصلُ إليه ويصارحه بالموضوع، والله - يا أماه - لقد عرفتُ بعضهم لا ينام الليل، يصيبه الأرق من فرط همه، وطول تفكيره .. فقط لأجل ابنك .

و كذا إذا أتينا إلى الرحلات والمخيمات، وما يصيب الإخوة المشرفين من الجهد والتعب، قبل وأثناء وبعد الرحلة أو المخيم، شيءٌ لا يعلم مشقته إلا من جرّب وذاق، والهدف .. بسمةٌ تُرسَمُ على شفاه ابنك ..

أبعد كل هذا .. تضنين عليهم بدعوةٍ صادقة أيتها الحبيبة !؟

❖ في المعترك:

١. لا تترددي –حفظك الله– في إرسال مبلغٍ - وإن قلّ- إلى الحلقة، تعبّرين فيه عن تضامنكِ مع أنشطةِ الحلقةِ وتفاعلكِ معها، يُصرف على مناشط الحلقة أياً كانت، وإياكِ أن يكون المبلغ تحتَ مسمى صدقةٍ أو تبرع، فإن المشرفين يأنفون أن يقتات أبناء الأحرار من الصدقات، بل اجعليها في صورة هدية حتى لا يقع الحرج، واعلمي أن بعض الأحبة المشرفين قد يأنفون من قبول المبلغ بشكلٍ مباشر، فعليكِ والحالة هذه أن تأمري ابنك أن يضع المبلغَ في مكان ما في سيارة المشرف الذي يتولى مروره، فإذا رجع إلى المنزل أرسل إليه يخبره بمكان المبلغ ومناسبته.

٢. اعلمي – يا مربية الأجيال – أن وجود ابنك في مجتمع الخير وأهله، مجتمع الحلقات، لا يعني أفول شمس التربية في مملكتكِ (البيت)؛ إنما أنتِ تربين في طرف، والحلقة تربي في طرف آخر، فكلاهما مكمل للآخر، متى ما حصل الجمع بينهما فهنيئاً لكِ بابنٍ جمع الله له بين الحسنيين.

٣. من الجميل - إذا كان ابنك في المرحلة المتوسطة– أن تسألية بين الفينة والأخرى عن مناشط الحلقة ؟ عن الجديد الذي استجد ؟ أين ذهبوا ؟ ما أخبار رحلتهم ؟ من أعجبك من أفراد حلقتك ؟ أين بلغت في حفظك ؟ أين ستكون رحلتكم القادمة ؟

سيسعد ابنك كثيراً بهذه الأسئلة، سيحسّ في داخله بأهمية الحلقة، وهذا يدفعه للاستمرار والمواظبة معهم، والشاب في هذه المرحلة لا يتضجر من السؤال بهذا الشكل خلافاً للشاب في المرحلة الثانوية، كذلك من خلال ذلك ستعرفين كيف يسير ابنك، وستعرفين ما الذي يفعله، كذلك ستعرفين أصحابه ومشرفيه عن كثب، وأكثري من تذكير ابنك بضرورة مصاحبة أهل الخير، وأن يختار من أهل الخير من يفيده وينصحه ولا يغشه، لأن كثيراً من الشباب يتعلق بالشخصية المرحة الفكهة ويراها كلّ شيء، وهذا خطأ، وإذا جمع الله لشخصٍ بين الاثنتين فنورٌ على نور..

وإن تيسر لكِ أن تسألي مشرفي الحلقةِ عن ملاحظاتهم على ابنك – بطريقتكِ الخاصة – حتى تساهمي في إزالتها فأمرٌ حسن حتى يحصل التعاون بين العضيدين البيت والحلقة، أما المدرسة فقد تخلت عن دورها التربوي إلا من رحم الله، وكذا اسأليهم عن صفاته الجيدة التي رأوها فيه ليتسنى لكِ تعزيزها والحرص عليها، وإن حصل ذلك بدون علم ابنك فهو أفضل، وإن كان غالب طلاب المرحلة المتوسطة قد لا يجدون حرجاً في ذلك، وكل ما مضى في هذه الخاطرة متعلق بطالب المرحلة المتوسطة.

أما طالب المرحلة الثانوية خصوصاً الصف الثاني والثالث، فالأمر يختلفُ معهم، فأبناء هذه المرحلة – في الجملة - يكرهون طريقة السؤال والجواب ؛ لأنهم يرون أنفسهم أكبر من ذلك بكثير، فلتكن الأسئلة أسئلةً عابرة، دونما تحقيق مباشر، فإن أجاب وإلا فالأمر إليه، وقد تضطرين – أيتها الأم الحبيبة – إلى إبلاغ المشرفِ عن زللٍ يقع فيه ابنكِ حتى تساهم الحلقة في تقويم الابن وتوجيهه فحذارِ أن يعلم الابن بذلك، وإلا فإني لا أظن أن الأمر سيمضي بسلام، وإن كنتُ في الحقيقة لا أحبّذُ مثل هذا التصرف إلا عند نفاد الحيلة، فليكن هذا التصرف هو آخر العلاج ..

٤. يحبّ المشرفون – كما أسلفت– أن يكون للبيتِ حضوره الفعّال في مناشط الحلقة بشتى أنواعها ، وقد لا يتسنى للبيتِ أن يشارك في كل المناشط؛ لأنه لا يجد طريقةً للمشاركة ، فنقولُ حينئذٍ.. ما لا يدركُ جُلّه لا يترك كله ، والتسديد والمقاربة مطلب، فليشارك البيت بما يستطيع – وإن قل – فالعبرة بالمشاركة وليست بالكثرة ، فمثلاً قد يصومُ أفراد الحلقة يومي الاثنين والخميس ويفطرونَ معاً ، فما الذي يمنع – أيتها الغالية- أن ترسلي لهم طبقاً مع ابنكِ وإن لم يصُم ، وتوصين ابنك بأن يقرئهم السلام ويخبرهم بأن هذه هديةٌ من أمه ، وقولي مثل هذا عن رحلة نهايةِ الأسبوع، أرسلي لهم ما تجود به نفسكِ، و دعي ابنك يقدمه لهم بعد أن يخبرهم بأنه هديّة تقدمها أمه لأفراد الحلقة ، وكذا لو ابتعتِ لهم (كرة قدم) - لا تندهشي - وأرسلتِها مع ابنك كهديّةٍ مقدمةٍ باسم والده كي يمارسوا بها لعبةَ القدم !!

صغيرة .. لكنها في النفوسِ عظيمة !

٥. لا يجدُ مشرفو الحلقةِ داعماً ومحفزاً لهم كالدعاء لهم بالليل والنهار سرّاً وعلانية ، إحداهنّ أرسلت ورقةً مع ابنها ، مما جاء فيها " ... واللّه لا أترك الدعاء لكم في ظهر الغيب ما حييت" ، واللّه يا أمّنا –وأنا أحلفُ بعظيم– إنني كلما تقاعستُ أو تعبتُ أو فترتُ، أذهب إلى الورقة فأفتحها ثم أقرأها ، وما إن أصل إلى السطر الأخير في الصفحة الأولى، وبالتحديد عند العبارة أعلاه، إلا ويذهبُ عني ما أجد ، وتعودُ الهمةُ أعلى مما كانت، ويزول النصب والتعب والفتور، وأجدُ راحةً وسروراً ولذةً لا يدركُ مُنتهاها إلا اللّه وحده - إي وربي - فمن هذا المنطلق لا تتحرجي من إرسالِ ورقةٍ - مع ابنك - مملوءةٍ بالأدعية الصادقة إلى مشرفي الحلقة أو إلى أحدهم ممن له زيادةُ فضل ، وليكن ابنك على علمٍ بما كتبتِ، حتى لا يساور ابنك شكٌّ ، فقد يظن أنك تكتبين إليه – إلى المشرف - بمشكلةٍ فيه – في ابنك - ، وإن كنتِ تتحرجين من ذلك لأمرٍ أو لآخر، فعليك بهاتف الأب، اكتبي رسالةً مملوءةً

بالثناء والدعاء وأرسليها إلى هاتف المشرف، أو اطلبي من الأب أن يكون على تواصلٍ مع المشرفين بالرسائل، أو حمّلي ابنكِ السلام للمشرف وأن يقول له إن أمي تدعو لك في ظهر الغيب، وتدعو لك بكذا وكذا، سيُسرُّ المشرفُ بهذا كثيراً كثيراً، إنك بهذا تطيلين عمره الإنتاجي من حيثُ لا تشعرين .

الوسائل كثيرة لكن أين الموظّفون ..!؟

اللوحة الحادية و العشرون

كلٌ على ثغر ![٧٨]

٧٨) جوابًا على سؤال مشرف جديد : هل أشرف على المتوسط أم الثانوي ؟

نحنُ الآن على مشارفِ عامٍ تربويٍّ جديد ، لا يخلو فيه محضنٌ تربويٌّ ناجح من العمل الدؤوب، والتخطيط المبكّر المتروّي، من أجلِ عامٍ تربويٍّ يُزفُّ إلى النجاح، فقبل أيام ألهب مشرفو المحضن عقولهم، يدرسون إيجابيات العام المنصرم طلباً لتعزيزها ، وينقّبون عن سلبياته طلباً لتفاديها ، وفي نهاية المطاف تُرسَمُ الهيكلةُ الجديدة، إذ يسعى من خلالها أهل الشأن إلى وضع الرجل المناسب في المكان المناسب قدرَ المستطاع، دون محاباةٍ لأحد ، فالعملُ عملٌ تطوعيّ لا يحتمل أدنى المجاملات .

ومن تدبير الله – عز وجل – في خلقه ، أن قسّمهم إلى فئات متفاوتة ، فمنهم الذي يُحسن العمل في مجالٍ ما دون المجال الآخر، والعكس بالعكس، ومنهم من فتحَ الله عليه فهو يُحسنُ العمل في هذا وذاك، ومنهم من يقول لك بلسان حاله : أنا سهمك الذي لا يُخطئ فضعني حيثُ شئت، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

أما الذي أنا بصدده هنا .. فهو– كما اعتدتم – الكلام عن الحلقات التربوية / المكتبة / الشباب ، و كما هو معلومٌ فإن المحضن ينقسمُ إلى قسمين – في الغالب – :

١. المرحلة المتوسطة
٢. المرحلة الثانوية

وقد اعتدتُ أن أرى عدداً من المشرفين في غايةِ الحيْرةِ، لا يدري أين يجد نفسه، هل يجدها عند طلابِ المرحلة المتوسطة، أو يجدها عند طلاب المرحلة الثانوية، وبعد دراسةٍ قد تكون سريعة و ناقصة ، و قد تكون مستفيضة واسعة ، يتخذ المشرفُ الحبيبُ القرارَ ، و يختار حليلته ، فإن ناله التوفيق في مسيرته معها عدّ العمل مع الحلقة من أمتع لحظات عمره، ومن ألذّ ذكرياته فيما بعد ، وإن لم ينلهُ صارت حياته منغّصةً معهم، وإذا جلس في مجلسٍ تُدار فيه رحى الذكريات، وجد في نفسه انقباضاً من تلك الأيام !

أنا مِن هنا .. أودّ أن أضع مميزات كلِّ مرحلة، علّها أن تكون إسهاماً يُسهِمُ في ترجيح كفّة الاختيار لدى المشرف الحبيب، مع الإنذار والتنبيه أن هذه المميزات – التي سوف أذكرها – ليست نِتاج تنظير ومحضَ حِبرٍ أسرقه من الآخرين، إنما هي نتاج ما رأيت وجربتُ وسمعت، فلكَ الخيارُ بعد أن تقرأ أيها المُحتار.

- **أولًا** : المرحلةِ المتوسطة

١. الميزة الأولى، وأعتبرها رأس مال المشرف في هذا المحضن، فإن أحسن استثمارها فهو إلى خير، وإلا فلا يلُومنّ إلا نفسه، وهي أن أفراد هذه المرحلة أشبه بسائلٍ يقبل تشكيله في أي قالب، إن أردته مربعاً فمربّع، أو مستطيلاً فمستطيل، أو دائرياً فدائري، بإمكانك أن تصنع الطالب كيفما شئتَ، فهو كالعجينة .. تقبل التقلص والتمدد، يقبل كل الأفكار التي تلقيها عليه، فقليلاً ما يناقش أو يعارض[٧٩].

٢. التفاعلُ مع البرامج - أيّاً كانت قوة الطرح - سمةٌ بارزةٌ من سِماتِ هذه المرحلة، هذه المرحلة ليست بحاجةٍ إلى إعدادٍ وتخطيطٍ دقيق، تكفي خطوطٌ عريضة لصناعة برنامجٍ متكامل لهذه المرحلة، لكن من المؤكد أن الإعداد القوي سيكون أقوى وقعاً ، و أعمق أثرا ، لكن لو افترضنا أن ظروفك لا تسمحُ بقوّة الإعداد، فسترتاح هنا كثيراً، مع التنبيه إلى أن الطرحَ القوي في شتى المجالات سيترك أثراً عميقاً ورائعاً في نفس المتربي لن ينساه مع تقادم السنين !

٣. أيضاً تفاعل الأسرة مع برامج الحلقة في هذه المرحلة سيكون قويّاً، والسبب أن المتربي في هذه المرحلة لا يوجد في قاموسه سوى الحلقة والمشرفين والاستراحة، فكثيرٌ من كلامه مع والديه وأقاربه لن يخرجَ عن هذا الإطار، فمن الحديث عن أحداث آخر رحلة إلى الحديث عن مغامرات أبي ياسر في كثبان (الخرارة)

---

٧٩) قال لي محمد كلامًا رفيعًا .. قال : أعتقد أن التركيز على البناء الفردي في حق طالب المرحلة المتوسطة أوقع بكثيرٍ من البناء الجماعي و أعمقُ أثرًا ا.ه و لا يتنافى هذا مع البناء الجماعي .. إذ يمكن الجمع بينهما .

عبر سيارته ذات الدفع الرباعي، ومن ثم إلى الحديث عن المقلب الساخن الذي ذهب ضحيته أيوب، ولن ينسَى الحديث عن قراءة أبي خالد المؤثرة في صلاة العشاء .

ومصداق كلامي أن تقارن بين طالب متوسط وطالب ثانوي طُلب من كل واحد منهما أن يُقدّم منتوجاً أسريّاً (طبق مثلاً) فانظر أي الفريقين تجد منه تفاعلاً يستحق الإعجاب !

لذا فإنه من الواجب على مشرفي هذه المرحلة أن يراعوا هذا الجانب وينتبهوا له.

٤. المشكلات في هذه المرحلة قليلة جداً، وعلاجها من أسهل ما يكون، بل قد تمر عليك دورةٌ إشرافيّةٌ كاملة دون أن تمرّ عليك مشكلة تستحق العناية وإشغال الفكر، وهذه النقطة يجب أن نستثمرها، فالبعد عن جو المشكلات، يجعل العمل على الارتقاء بالمحضن في شتى الجوانب سهلاً وسريعاً، وهذا ما لا يتوفر بسهولة في جو المرحلةِ الثانوية.

٥. العلاقات – كما شاهدتُ – بين مشرفي المرحلة المتوسطة أقوى وأفضل من العلاقات بين مشرفي المرحلة الثانوية، والسبب يعود – والله أعلم – إلى بُعدِ مشرفي المرحلة المتوسطة عن جو المشكلات والضغط النفسي بل وضغط العمل، مما يوفر جوّاً للتواؤم ربما لا يتوفر لمشرفي المرحلة الثانوية.

٦. بنظرة عامة .. أفراد هذه المرحلة - نظراً للفارق السني بينهم وبين المشرفين – ذوو تعاملٍ راقٍ، نادراً ما تواجه منهم سلاطةً في اللسان أو فظاظةً في الردّ ، لا يسعون إلى إثبات شخصياتهم بمهاترات يُقدِمون عليها، فهم عن مثل هذا بعيدون أشد البعد .

- **ثانيًا** : المرحلة الثانوية

١. تقلُّص الفارق السنّي بين المشرف والطالب، مما يعني وجود آفاق رحبةٍ للتواصل بينهما، وهذا يُسهِمُ في تفهّمِ كلِّ طرفٍ للآخر، بل قد يشتركُ مشرفٌ مع طالبٍ في الهموم والآمال والطموح والتوجهات، مما يعني ولادةَ مشروع ناجح أيّاً كان توجهه، بل قد يعمدُ المشرفُ إلى استشارة بعض الطلاب في بعض الجوانب التي يجيدونها، وهذا يكاد يكون منعدماً عند الأحبّةِ في المرحلة المتوسطة.

٢. قوّة الطرح .. و التي تثري المشرف قبل أن تثري الطالب، سواءً تلك الأطروحات التي يطرحها المشرفون أو التي يطرحها من تستضيفهم الحلقة من الأكاديميين والمثقفين والدعاة أو حتى التي يطرحها الطلاب، فبعض الطلاب يتفوق وبجدارة في طرحه وثقافته على كثيرٍ من المشرفين، وهذا الأمر يجب علينا أن نعتني به، بعيداً عن الرأي الذي يدعو إلى تحجيم الطالب و إخناسه، و الغالب أن دافع هذا الرأي هو الغيْرة والحسد ، يُلبِسُها أصحابها لباساً مزيفاً يدّعون من خلاله أنهم يخافون على الطالب من العُجبِ والتعالي والغرور و اعتداده برأيه .

٣. وجودك بين أفراد هذه المرحلة يعني بالضرورة أنك موجود !! فأنت لن تضطر إلى المجاملات في إظهار الإنصات وحُسن الاستماع، فالكلام الذي ستسمعه في الجلَسَات الجانبية، والخَلَوات العارضة، ستجدُ له مساغاً وقبولاً دون أن تتكلف ذلك، وما أكثر ما أظهرتُ الإنصات أمام طالبٍ المرحلة المتوسطة، وأنا في الحقيقةِ أسبحُ في الخيال بعيداً عما يقول، باختصار : ستجدُ مع أفراد المرحلة الثانوية مجالاً للأخذ والرد دون تكلّف فيما يُطرَحُ من حديث وأسمار.

٤. إمكانية الاتكال على الطالب في بعض المهمات التي لا يقوى عليها طالب المرحلة المتوسطة، وهذا التفويضُ من قِبَلِ المشرف سيخفف من ضغط العمل، ستستطيع أن تكلفه بمرور بعض الطلاب - إن دعت الحاجة - كما أنك

لن تجد حَرَجاً في إناطة مهمةِ استئجار الاستراحةِ إليه، بل حتى إقامة بعض البرامج والمواضيع الثقافية، وهذه ميزة جيّدة ستجدها عند أفراد هذه المرحلة، لاسيما طلاب الصف الثالث الثانوي، وهي فرصةٌ ذهبية أن تعوّدهم على العطاء والبذل بدلاً من الاكتفاء بالتلقي والاستماع.

هذا ما عنّ لي في هذه العجالة، وأرجو من الإخوة الذين جربوا أن يتحفونا بما لديهم من تجارب، فما نحن إلا باللّه ثم بكم، وإن ظهر لي جديد أو مغفول عنه فلن أتردد في إضافته.

اللوحة الثانية و العشرون

هاكها أيها المشرف الجديد

وها قد أصبحتَ في رِكابِ المربّين، وانتظمتَ في سلكِ الباذلين، وغدوتَ مِعطاءً بعد أن كنتَ من المتلقين ..!

حنانيْك ! من ذا الذي كذب عليك ..؟ من ذا الذي أزاغَ قلبكَ .. وأسدل الغشاوة على عينيك ..؟ من قال لك أن مقامَك اليوم مقامُ تشريف ..؟ حسبك حسبك ! لا واللّه .. بل مقامُ تكليف .. بل مقامُ تكليف ! آنَ لك اليوم ألا تنامَ إلا قليلاً .. قد آنَ لكَ اليوم أن تحمل همّاً ثقيلاً طويلا ..

أخي المشرف الجديد .. وهل أقضَّ مضجعي إلا أنت ! وهل أشغل بالي إلا سواك ..! لا مجال للمبالغةِ عندي يا حبيب .. فأنا لا أملكُ إلا عينين ! عينٌ عليك .. وعينٌ على بقيّةِ المشرفين!

تعالَ أيُّها الحبيب، أوصيك وصايا لن تكونَ في غنىً عنها، نعم أقولها وبكلِّ ثقةٍ .. لن تكون في غنىً عنها، عرفتُكَ جيّداً، وعرفتُ الكثير من أخطائك واجتهاداتك، فلا مناصَ من تسطير هذه الكلمات، فأرعِ لها سمعك ، لعلّ اللّه أن يطرح فيها البركة، ويكتب لها القبول .

أخي المشرف الجديد .. لا تتردد في الإشرافِ على القسم المتوسط إن تيسر لك دون مشقّة، ابتعد عن صِحابكَ في المرحلة الثانوية ولا تتولَّ مهمةَ الإشرافِ عليهم، أتدري لمَ ..؟ لأنهم صِحابُك، تأبى عليهم أنفسهم – وقد كنتَ فيما مضى صاحباً لهم – أن ينظروا إليك على أنك مُربٍّ لهم ، هذا أمرٌ يجبُ عليك أن تفهمه وتستوعبه، ستكونُ النظرةُ إليكَ على أنك زميلٌ لهم، وهذا يعني بالضرورةِ عدمَ وجودِ الأثر القويِّ على الطلاب من طرفك، وثِق أنك لن تستشعر أنك قدوةٌ لهم، ويكفي أن تعي أن هذا الاستشعار يربّي فيك الشيءَ الكثير ! بينما طلاّبُ المرحلة المتوسطة على العكس من ذلك ، إذ ينظرونَ إليك كقدوةٍ ومُربٍّ، ينتظرون منك أي شيءٍ ينفّذونه، وهنا يظهرُ الأثرُ العظيم، ومتى ما استشعرتَ هذا وعمِلتَ له بصدق .. فهنيئاً لك بجيلٍ صلْبِ الدين، ثابتِ القدم، نافذ العزم .. واسأل بذاك خبيرا !

أخي المشرف الجديد .. فإن كان ولا بدّ أن تبقى مع رِفاقِ دربك، لظروف حلقتك أو لمحضِ اختيارك، فلعلَّ في الأمر خيراً، وحينها أقول لك .. ابتعدْ عن مُصادمةِ رِفاقِ الماضي، ولا ترفع أنفك عليهم، ولا تتنكر لماضٍ جميلٍ مُشرق، وفي الوقتِ نفسه لا تطمس هويتك الجديدة، ولا تتملص منها، ولا تستغرق في القديم فتبقى بلا أثر ! وليكن جُلُّ توجيهكَ ونقدكَ وأمركَ ونهيكَ مع الفئة الجديدة من طلاب الصفِّ الأول الثانوي، أما البقيّة فأحجِم عن الصِّدامِ معهم واتركهم للكبار، ولتكن حلقةَ الوصْلِ بين الطلاّب وبين المشرفين، اعرف همومهم ومشكلاتهم فأنت أقربُ الناسِ إليهم وانقلها للكبار حتى يُسهِموا في الحل . وعندما أقول : أحجِم عن الصِّدام .. فلستُ أقصدُ بالصدام رفعَ الصوتِ واستعراضَ القوّة .. فهذا مرفوضٌ مع الكلِّ قطعاً، إنما أقصد ألا تُبادِرَ إلى توجيههم حال الخطأ، إنما أوكلْ هذه المهمة لأحد الكبار، طبعاً ليس على الإطلاق، إنما هو الأصل .. ولكل قاعدةٍ شواذ[٨٠] .

أخي المشرفَ الجديد .. وللإشرافِ أسرارٌ ينبغي أن نحفظها عن الطلاّب، يجبُ أن تفصلَ فصلاً تاماً بين علاقتك القوية مع بعضِ الطلاّب وبين ما يدور في اجتماعات المشرفين. ما يدور في الاجتماعات ينبغي ألا يخرج منها، و إياك أن تكونَ مذياعاً يتلقّى ويُرسِل، فـ لسانكَ لسانكَ يا فتى .

أخي المشرف الجديد ..

إذا لم يكن عون من الله للفتى فأول ما يجني عليه اجتهاده

رجائي .. ابتعد عن الاجتهادات الفردية، لستَ مؤهلاً الآن حتى تجتهد، لا تُقدِم على أي عمل إلا بعد أن تُخبِر مسؤول الحلقة، فإن باركه فأقدم، وإن عارضه فأحجم .. إن عليك إلا البلاغ، فـ ربّ اجتهادٍ أورثَ مصيبة، ورُبّ تعجُّلٍ أورثَ ندما، وكم و كم

٨٠) و قد يُقال: التوجيه بالنسبة لك يكون بحسب قبول الطالب من عدمه! إن غلب على ظنك قبوله فافعل و إلا فلا !

وقعت من مصائبَ على حلقةٍ بسببِ اجتهادات فردية من بعض المشرفين الكبار، فكيف بك يا صاحبي ..؟

أخي المشرف الجديد .. قديماً قالوا " ما خاب من استخار وما ندم من استشار " ومجالسةُ أهل التجارب والإفادةُ منهم تختصر عليك الطريق، وتؤمنُّك من مغبةِ الوقوع في الأخطاء، وينبغي أن تدرك أن كثيراً من قضايا التربية لا تحتمل التجربة والدخولَ في دائرة الصواب والخطأ، فعليك قبل أن تُقدِمَ على أيّ أمرٍ أن تستشير أهل الشأن ! و ع أنْ ليسَ كلُّ مشرفٍ أهلاً للاستشارة، وليسَ كلُّ مشرفٍ أهلاً للاستشارةِ في كلِّ شيء، فاختر مُستشارك بعنايةٍ تامة، واعمَد إلى أهل الخبرة مع مراعاة تخصص المُستشار، فمثلاً قد تجدُ مشرفاً متميزاً في مجال الإدارة فشاوره في هذا المجال، والآخرُ متميزٌ في مجال التعامل مع الطلاب ومشكلاتهم فشاوره في هذا المجال، والثالثُ متميزٌ في الإعداد للبرامج الخارجية كالرحلات الطويلة وبرامج آخر الأسبوع ، فلتكن استشارتك لكل مشرف في حدود مجاله الذي امتاز به ، وقد تجدُ مشرفاً يتميّز في عددٍ من المجالات فالزمْ غرزه ولا تتجاوزه .. إني أعظكَ أن تكون من الجاهلين ! وعليك أن تدرك أن بعض المشرفين لا يصلح للإشراف فضلاً عن أن يكون مستشاراً يُرجعُ إليه ! أما كيف تعرفُ الصالح من غيره ؟ فالجواب سهلٌ بحول الله، وذلك أن كلَّ مشرفٍ أبدعَ وتميّزَ في مجالٍ ما وظهر له أثرٌ فيه فهو أهل للاستشارة فيه، والعلم عند الله..

أخي المشرفَ الجديد .. وحتى لا يكون اليأسُ سيّدَ الموقف، فإنني أحذّرك أن تتوارى أو تضمحلّ إذا وقعتَ في خطأٍ ما، فكلُّ ابن آدمَ خطّاء، إنما استفد من هذا الخطأ، واخلق منه عزيمةً نافذة، وروحاً جديدة ! ولعل الله يجعل فيما أخطأت فتحاً لا تدركه إلا بعدَ حين، وربّ محنةٍ أورثت منحة .. لا تيأس أيُّها الغدُ الباسم .. رجوتك .. لا تيأس !

أخي المشرفَ الجديد .. إياك أن تتصدم بواقع المشرفين من حولك، فلربما رأيتَ على أحدهم سمتاً - عندما كنت طالباً- لطالما انبهرت منه، فلما أصبحتَ صاحباً له،

إذ بهذا السمتِ يتلاشى، أو ربما كنتَ ترى في أحدهم قدوةً في شيءٍ ما، ثم تكتشف أنك مخدوعٌ بهذا القدوة .

قبل أن تدخل عالم الإشراف، ضع في حسبانك أن عالم المشرفين كعالم الطلاب، فيهم المُحسن والمسيء، و القويّ والهش ! وتمسّك دوماً بمن ترجو منه الفائدة وصلاح القلب، وتواصل معه، وابتعد عن كلِّ بطال فارغ، لا همّ لهُ سوى أن يملأ فراغه بالقيل والقال وكثرة الضحك .. وفي آخر الأمر : الطيورُ على أشكالها ستقع !

أخي المشرفَ الجديد .. ولا تنسَ لأهل الفضلِ فضلهم، ولا تتنكّر لأهل السابقة سابقتهم، احفظ الفضل والودّ لأهله، وكلما كان الفضل أعظم .. لزِمَ أن يكون الوفاء أكبر وأعظم .. إلا تفعلهُ يكن الكلبُ أوفى منك، وسحقاً لمن سبقهُ الكلبُ إلى خصلةٍ حميدة .. حتى وإن أخطأ ذو السابقة وإن جار وإن تمادى .. اغفر له زلته، وتجاوز عن عثرته، ما لم يتجاوز الحدّ المعقول ، وثِق أنك ستلقى من الطلاب كما لقيَ منك مشرفوك، إن خيراً فخيرا ، وإن شراً فشرا .. سُنّةٌ لا تتغير ولا تتبدل.

أخي المشرف الجديد .. ومع التحرر من قيود الحلقة التي كنت تراها أيامَ كنتَ طالباً ، فإنك الآن على مُفترقِ طُريق ، ولك الاختيار .. إما أن تبني نفسك أو تهدمها ، لن تجدَ توجيهاً ومتابعةً كما كنت تجد ذلك في السابق، فاحرص على العنايةِ بنفسك ودينك وقلبك فإنها رأس المال، ابنِ نفسك في شتى المجالات ، غذِّ عقلك بكلّ ما يفيد ، الزم مجالس العلم والمعرفة ، انهل من معين الحياة ، اصحب من يعينكَ على الخير من المشرفين والأصحاب، ولتكن قدوةً لمن تحتك، هذا واللّه الثبات .. هذا واللّه الثبات .

أخي المشرفَ الجديد .. ابتعد عن مشكلات المشرفين فيما بينهم – إن وُجدَت – إياك أن تقتحم أهوالها ، ولا تحشر أنفك في كلِّ صغيرةٍ وكبيرة، كن عنصراً محايداً ولا تركن إلى جانبٍ يورثك المتاعب و الأضغان فيما بعد ! حاول فقط أن تجمع بين القلوب، وأن توحّد الصف، واسعَ إلى علاقةٍ وطيدةٍ مع الكلّ، قد تميلُ إلى أحدهم

بسبب سابقته تجاهك، أو بسبب حُسنِ تعامله، أو لأي سببٍ آخر .. لكن لا يمنعك هذا أن تقول كلمةَ الحق بأسلوبٍ مهذّبٍ يشي بالاحترام لمن هو أكبرُ سنّاً منك.

أخي المشرفَ الجديد .. لا تتعصّب لرأيٍ تظنه صوابا، فالآراء تتباين، والعقول تتفاوت، وما تظنه صواباً يظنه غيرُك خلاف ذلك، ولا تتربَّ على التعصب للرأي والإصرار عليه، إنما تربَّ على (إن عليكَ إلا البلاغ) وإذا وعينا هذه القاعدةَ جيداً وعملنا بها، فأبشر بسلامةِ الصدور، وصفاء الأرواح .. لكن يا ليت قومي يعلمون.

أخي المشرفَ الجديد .. العيون ترقُبُكَ في وَجَل، فلا تخيّب ظننا فيك ..!!

اللوحة الثالثة و العشرون

المشرف المبارك

يقول ابن القيم - رحمه الله - : (فإن النافع هو المبارك ، وأنفع الأشياء أبركها ، والمبارك من الناس أينما كان، هو الذي يُنتفع به حيث حلَّ)[٨١].

لا تكاد تقفُ على منشطٍ دعوي إلا و أفراده متفاوتون في نشاطهم، مختلفون في أدائهم، منهم السبّاقُ السابق، ومنهم المقتصدُ المجتهد، ومنهم العالةُ الذي لا يسمن ولا يغني من جوع، بل ربما كان وجوده مما يزيد الطين بلّة.

ولا أبهى .. ولا أجمل .. ولا أكثر وقعاً في القلب من أن تكون رجلاً مباركاً أينما حللت نفعت وأفدت، وفي المقابل .. لا أسوأ ولا أتعس من أن تكون رجلاً خامل الهمّة، قعيد العزم، تحُلُّ فلا تنفع، وتُقصَدُ فلا تشفع، وتبتعدُ فلا يبقى لك ذكر، وتذهب فلا تنهضُ ألسنٌ بالدعاء لك، حقّاً .. إنه لخُسرانٌ مبين .. !

ومُصطلحُ البرَكة في المناشط الدعويةِ مُصطلحٌ كبيرٌ وفضفاض، مِن الصعبِ حصرُه في تعريفٍ معيّن، أو في عملٍ معيّن، غير أن ابن القيم – نوّر الله ضريحه – قد كفانا المؤونة، فأوجز التعريف، وأوضح العبارة، وأظهر الخفيّ، وكشف الغامض، وعليه فإن المُشرفَ المبارك هو الذي أينما حلّ نفع ..

في منزله .. في سيارته .. في حلقته .. في علاقاته .. في أعمال لجنته .. كذلك في بيوت طلابه .. وعند أقاربهم .. !!

عجبي لا ينفدُ ولا ينقضي من أمر أولئك المباركين، ترى أحدهم يعملُ في كل اتجاه، ويبذلُ نفسه في كل الأنحاء، لا يتأفف ولا يضجر، ويختم ما أنجزه بابتسامة هادئة. ثم يقول: (كنتُ أريده بشكلٍ أفضل) لا يرضى عما قدّم أبداً، وهذا سرٌّ بديعٌ أو دعه الله فيه؛ لأنه لو رضيَ بما قدم لما أخاله يبذلُ المزيد، فما دام يقلل من إنجازاته فسيستمر في العمل حتى يرضى عن نفسه ولن يرضَ .

---

٨١) زاد المعاد لابن القيّم ٤/ ١٥٧

وهذا هو حالُ المُشرفِ المبارك في منشطه ومع طلابه، له في الحلقةِ بصمةٌ واضحة إما بتشجيع الطلاب وتحفيزهم، أو بتوجيههم حال تقصيرهم، وإما بتصحيح قراءتهم – إن كان ممن يباشر التسميع بنفسه - ..

وله مع طلابه و مريديه وقفاتٌ مباركة، يريد بها وجه ربه، لا يرجو منهم جزاءً ولا شكورا، تراه إما ناصحاً أو موجهاً أو واعظاً أو مُلقياً أو قصّاصاً، إن رأى الجُنحَة وعظ، أو رأى الصوابَ حفّز، أو رأى الملل عمَّ استلَ ذاكرته وشرعَ يقص القصص . إن غاب أحدهم سأل عنه ، أو مرض عاده، أو أتى أحدهم ما يسرّه شاركه الفرحة، أو أتاه ما يحزنه واساه، يواسيه بنفسه .. بكلامه .. بدعائه .. بماله .. بكل ما يستطيع لأنه رجلٌ مبارك ..

أما مع أهل طلاّبه وأقاربهم فعالمٌ آخر لا تسل عنه ! ..

فالأب يستقبلُ رسائله بين الفينة والأخرى، ما بين وعظية، وعلمية، وتذكيرية، ولا ينسى أبداً تهنئة الأب بالعيد، أو بالمنزلِ الجديد، أو بإنجازات ابنه ما دقّ منها و ما جلّ، و بيوت طلابه تستقبل النشرات والمطويات والكتيبات والأشرطة التي يبعثها حيناً بعد حين مع تلميذه ..

أما الصغار من أقاربِ طلابه فهنا المحك، هنا يتقنُ لعبته، ويعرفُ من أين تؤكل الكتف، فهم الأرضُ الخصبة التي تنتظر بذرةً وغيثا، إن رآهم استقبلهم في الأحضان، وداعبهم بعبارات لطيفةٍ خفيفة، تحبب لهم أهل الخير، وتجعلهم يؤمنون بأن مثل هذا هو المبتغى، يُرسل لهم مع أخيهم أو قريبهم قطع الحلوى و السكاكر ، ولا يمانع في هديّةٍ صغيرةٍ تُناسِبُ حالهم ..

إن من أعظم ما ستكسبه إن سرتَ بهذه السيرة أمور :

١. القدوة الحسنة

٢. السيرة الطيبة

٣. الدعاء الصادق

٤. الثناء العاطر

فـ كُن مباركاً .. أينما وقعتَ نفعتَ .

اللوحة الرابعة و العشرون

قواعد ذهبية في التعامل بين مشرفي المحضن الواحد

القاعدة الأولى : أن نستشعر دوماً أننا ما اجتمعنا إلا لنؤدي رسالة، وليستْ أي رسالة، إنما رسالةٌ سامية، هدفُها بناءُ شبابٍ صالحٍ، يعرفُ اللّه حقَّ المعرفة، يصلّي ويتضرع، ينصح ويعظ، ينافحُ ويجاهد، يبني ويقوّم، يتعلّمُ ويعلّم، لا يلتفتُ إلى بُنيّات الطريق، ولا يرتاح إلا عند أول قدمٍ في الجنة، شعاره : سلامٌ عليكم لا نبتغي الجاهلين، هدايةٌ حتى النهاية، ثباتٌ حتى الممات.

أما قوامها : فالإخلاص، والصدق، والنصيحةُ، والمحبة، والتسديد، والتحفيز، وسلامةُ الصدر.

ومتى ما استشعرنا ذلك، فإن الثمار يانعةٌ ولا بد، والنتائجَ مذهلةٌ ولا غرو.

القاعدة الثانية : عندما نفهمُ القاعدة الأولى كما يجب، فإن كثيراً من المشكلات ستتلاشى، وعليه فإن القاعدة الثانية تؤكد علينا أنه من الواجبِ أن نتجاوز المشكلات، وألا تكون مشكلات المشرفين حجر عثرةٍ يعرقل مسيرةَ المحضن، بيان ذلك .. أن انشغال المشرفين بالمشكلات التي تنشأ فيما بينهم، يجعلهم يغضّون الطرف من حيث لا يشعرون عما يقع فيه المحضن وأفراده من أخطاء و يواجهه من المشكلات، فضلاً عن انشغالهم عما يرتقي بالمحضن، إنه من المهم أن نلقي بمشكلاتنا دُبُرَ آذاننا، وعلينا أن نعي أن الخلافَ متى ما كان سائغاً (في شتى المجالات) فإنه من التعقل و الأناة ألا نجعل هذا الخلاف سبباً للتباغض والتهاجر، وعلى كلِّ مشرفٍ أن يسعى لاحتواء الخلاف، وأن يُحسنَ الظنّ بمخالفه، وثق أخي المشرف الكريم أن أيَّ خلافٍ ينشأ بين مشرفي المحضن فإن آثاره السيئة ستظهرُ في طلابك ولو بعد حين، والعكس بالعكس فإن الحبّ والوئام الذي يعيشه مشرفو المحضن الواحد ستنسحب آثاره الطيّبة على طلاب المحضن .

القاعدة الثالثة : تجنّبُ التراشق بالكلام بين المشرفين أمام الطلاّب، وهذا لا يخلو إما أن يكون التراشق تراشقاً ذا طَابعٍ جادّ بسبب خلافٍ في وجهةِ نظرٍ ما، أو بسبب ضغينةٍ في النفوس و نحو ذلك، فظهورُ مثل هذا التراشق أمام الطلاّب يُعَدُّ ثلمةً كبيرةً

في صرْحِ المحضن، فما أسوأ أن يُدرك الطلاب أن العلاقةَ بين المشرفين ليست كما يجب، إذ الواجبُ أن نكون صفّاً واحداً ما أمكن – ولو في الظاهر - .

وإما أن يكون التراشق تراشقاً يهدفُ إلى تلطيفِ الجو، ورسْمِ البسمةِ على شفاه الحضور، فهذا التراشقُ يحتاجُ إلى حكمة، فلا بدّ من مراعاةِ نفسيّةِ المشرفِ لئلا يحصلَ مكروهٌ لا تُحمَدُ عُقباه، كردّةِ فعلٍ غاضبةٍ غير متزنةٍ، ولا بدّ أيضاً من الموازنةِ في ذلك، حتى وإن كانت نفسيّةُ المشرفِ تتقبل ذلك، فإن الإكثار منه أمام الطلاّب يُسقِطُ مكانة المشرف، ويجعلهم يجترئون عليه، وهذا فيه ما فيه من الإعراض عن توجيهاته، والإخلال بأوامره و زواجره، وهذا خللٌ عظيمٌ لمن عقله، و الخلاصةُ أنه لا مانع من الأخذ والرد باللسان - ما دام مفاكهةً - بين المشرف والمشرف، و من المشرفِ تجاه الطالب، بل و من الطالب تجاه المشرف ما دام في حدود الأدب وفي محيط المعقول، وفي حال التجاوز سواءً من المشرفِ أو الطالب فالواجب التوجيه و المناصحة بالأسلوبِ الطيّب الرحيم المشفق، بعيداً عن التشنج والانفعال، أما معيار التجاوز فأمره إلى العقلاء.

القاعدة الرابعة : اقتناصُ الأخطاء على أحد المشرفين .. لا يبرر إذاعتها .. مهما كانت ! ومن فعل ذلك فقد حاد عن السبيل وضل الطريق، فإذا كان السِّتْرُ على المتربّي أمراً ملِحّاً، فمن باب أولى أن يكون كذلك في حق المربّي، ومتى ما كان الخطأُ متعدياً يُعرقِل مسيرةَ التربية، فلا وجهَ للسّكوت، فالواجبُ حينئذٍ أن نُصلحَ بالتي هي أحسن، و لا يكن خطأُ المربّي فاكهةَ المجالس، فتنطلقُ الألسنةُ، وتتلهفُ الأسماع، بل يكفي أن يعلمَ بالخطأ من سيتولى علاجَه، ولو أن الأمرَ يتوقف على علمِ بعضِ المشرفين بخطأ صاحبهم لهان الأمر، لكن الإشكال أن بعضَ المشرفين - وللأسف - لا يملكُ لسانه ! فيتكلم عن خطأ صاحبه عند بعض الطلاب، إما من باب فضول الكلام ! أو من باب التزلّفِ والتقربِ إلى بعض الطلاب فيُظهرُ الأمر على أنه سرٌّ اختصه به !! أو من باب إسقاطِ المشرف من أعين الطلابِ بدافع البُغض والحقد

والحسد !!! وفي كلّ هذه الحالات سينتشرُ الخبرُ انتشار النار في السعَفَة، وهذا يعني بالضرورة سقوط مكانة المشرفِ، وهوان كلمته، وتزعزع الثقةِ فيه، وهذا أمرٌ لا يُحمد .

القاعدةُ الخامسة : عندما تأتيك وجهةُ نظرٍ غاضبة، أو موقفٌ منفعل من قِبَلِ أحد إخوانك المشرفين - أو الطلاّب- ، فعليك بامتصاصِ الموقف، وذلك بالتزام الصمتِ، أو الانسحاب من المكان، أو بتهدئة الطرفِ الآخر، أو بأي وسيلةٍ تراها مناسبة في تحقيق هذا الأمر، ولا تُصعّد الموقفَ وتزيده اشتعالاً، فإذا خيّم الهدوءُ ، وسكَنَ هديرُ صاحبك ، فعُد إليه ، وتفحص معه أسباب الغضبِ، و بواعث الانفعال، فإما أن يكون على صوابٍ فتعتذر أو العكس ، أما ملاقاة النارِ بالنار، و مجابهة الحديدِ بالحديد، فله نهايةٌ مشؤومة لا تؤدي إلى خير ، إنما إلى هجران وقطيعةٍ وضعفِ إنتاج!

القاعدة السادسة : البعد عن كثرة الاعتراض على آراء المسؤول (أكبر المشرفين) خصوصاً إذا كنتَ ذا كلمةٍ مسموعةٍ، ورأيٍ نافذ، فإن هذا الأمر يزرعُ في بقيّةِ المشرفين حُبّ الاعتراض، لا لشيء .. إنما لمجرّد الاعتراض، وقد تؤدي كثرة الاعتراضات إلى اهتزاز علاقتك مع المسؤول، خصوصاً إذا صار اعتراضك محطّ أنظار و ترقّب بقيّةِ المشرفين، وأدّى إلى قلبِ الرأي إلى ما هو خِلاف رأي المسؤول .. قد تقولُ - أخي المشرف - إنني أدينُ اللّه عز وجل باعتراضي على بعض الآراء والقرارات، أقول لك هذا أمرٌ حسن، وشيءٌ طيّب، لكن إذا أدى ذلك إلى حزازات وسخيمةٍ في القلوب فلا تعترض على الرأي أو القرار في محضرٍ من المشرفين، إنما يكفي في إبراء الذمّة أن تخاطبه لوحده وتبيّن له رأيك، وإذا بيّنت له أنك لا ترغب في إظهار رأيك أمام بقيّة المشرفين من باب توحيد القلوب، فستعظمُ في عينه، وهذا الكلام يتأكد في حقِّ المشرفِ ذي الرأي النافذ، والحجّةِ الحاضرة، والغالب أنه هو الذي يصغُرُ المسؤول في السنِّ مباشرةً .

القاعدة السابعة : التفريق بين علاقة الأخوّةِ وعلاقةِ العمل، وفي هذا خلطٌ ظاهر، فتجدُ المشرفَ يختلفُ مع المشرفِ الآخرِ في وجهةِ نظرٍ ما تتعلقُ بالعمل في الحلقةِ، أو بطالبٍ ما في الحلقة، أو ببرنامجٍ ما مرسومٍ في الخطّة، وهذا الاختلاف قد يؤدي إلى تنافرٍ في القلوب، ووغرٍ في الصدور، وهذا من كيْدِ الشيطان، ليتحقق الفشل وتذهب الريح، وينتصر الشيطانُ انتصاراً ساحقاً ومتحققاً، وذلك عندما ينسحبُ هذا التنافر إلى ميدانٍ غير ميدان الحلقة – أو العملِ أياً كان- فتجدُ في وجه أحدهما انقباضاً عند لقائه بالآخر، وتحرُّجاً في الكلام معه .. والواجب أن نَفصِلَ فصلاً تامّاً بين مشكلات العمل، وبين العلاقةِ التي كانت قبل العمل، فلا تؤثرُ هذه في تلك، ولا بارك اللّه في عملٍ فرّقَ شمل الأحبة .. لا بارك اللّه فيه !

القاعدة الثامنة : التواصل مع مشرفي المحضن بعد ترْك العمل، وللأسف يشتكي كثيرٌ من الأحبةِ المشرفين من قطيعة رفاقِ دربه إذا أشغله عنهم شاغل، حتى يظنَّ الظانُّ أن كلّ ما مضى، من أيام التواصلِ والمحبّةِ و الفسحة والسرور والرحلات والسفرات الخاصةِ بالمشرفين، إنما هي محضُ مصلحةٍ فقط، أراد بها المسؤول أن يوثق العلاقةَ ببقية المشرفين، حتى يستمرّ العملُ كما يجب . وليس الأمر كذلك ! لكنه من تزيين الشيطان، ومن تلبيس إبليس، فالواجب على المسؤول ومن معه أن يتواصلوا مع صاحبهم باللقاءات الدورية بين الحين والآخر، ولا أقل من الرسائل النصيّة حيناً بعد حين، والواجب على المشرف الذي ابتعد أن يُحسن الظن برفاقِ دربه، فضغط العمل بالكاد يسمحُ بإنجازِ الأهم، وتقديمه على المهم، فمن الدراسة أو الوظيفة صباحاً إلى العمل التطوعيّ مساءً، ناهيك عن متطلبات الأهل، واختبارات الجامعة، وتنسيق البرامج ... إلخ ! ومن الجميل أن يُدعى المشرف المبتعد إلى بعض برامج الحلقة بشكلٍ دوْري، كبرامجِ نهايةِ الأسبوع في الاستراحات والمخيمات، فهذا حافزٌ عظيم لحفظ الودّ، وطردِ وساوس الشيطان الرجيم ..!

اللوحة الخامسة و العشرون

مشرف المحضن و الخواء العلمي[٨٢]

٨٢) عزمتُ على كتابة هذه اللوحة من جديد ؛ لأنها لا تشفي .. غير أنني وقعتُ على مقالتين شافيتين فـ كفى اللّه المؤمنين القتال ، و هما : (من يكتب للأوساط التربوية) لـ بدر باسعد ، و (البناء المعرفي للمربي) لـ مشاري الشثري ! فقد عبّرا عما في نفسي و زيادة .. فأثبتُّ اللوحة هذه كما هي .. عسى أن يُستفاد منها .

لابد من شرب الدواء وإن كان مرّاً لا يُستساغ، ولا بد دون الشهد من إبر النحل، أعود – هنا - مرّةً أخرى إلى أحبتي المشرفين، الذين حملوا على عاتقهم تربيةَ الشباب، والسعيَ في إصلاحهم، بكلِّ وسيلةٍ مشروعة ممكنة، لهم منّي كل الحبِّ والتقدير، فإنهم إن جانبوا الصوابَ في حينٍ، فقد أصابوا كبده في أحايين كثيرة.

يؤلمني كثيرا أن يأتيَ الطالبُ إلى مشرفهِ ليسأله مسألةً بدهيةً[٨٣] في أحكام السفر، أو في أحكام المسح على الخفين، أو حتى في المجالات والعلومِ الأخرى، ثم يجيبه المشرفُ بكلّ برود : لا أدري .. ثم لا يعمل على الترقي بنفسه في سلم الفقه و العلم .

ولربما تمكّن الخجلُ من المشرفِ فأجاب إجابةً لا تمتُّ للصواب بصلة، خشيةَ سقوط مكانته عند الطالب فيكون قد وقع في شرّ الشرّين.

ويظهرُ الضعفُ العلميّ جليّاً في المشرف عند سفرِ المجموعة أو في المواسم و الأحوال العارضة، فتطفو الأسئلة على السطح، وتنهمر من الطلاّبِ الأسئلةُ الكثيرة عما يعرضُ لهم من الإشكالات، فيقفُ المشرفُ مشدوهاً حييّاً عييّاً لا يملك جوابا .. وما أبأسه من موقف..

---

٨٣) لاحظ أنها بدهيّة ، فأنا لا أريد من المربي أن يكون فقيهاً مفتيا في كل العلوم فهذا يشقّ ! إنما أريده أن يكون كذلك في البدهيّات .. فإن قيل : ما معيار البدهيّات ؟ أقول : هناك مواسم و برامج تتكرر عليك و أنت في منشطك التربوي ، و هي مظنّة السؤال و طلب الفتيا فتفقّه فيها . و من أفضل الوسائل لتحقيق ذلك وسيلتان مجربتان :

١.إذا سألك الطالب فلم تعرف الجواب فلا تقل لا أعلم ، إنما قل له : سأبحث عن المسألة و أفيدك و افعل ذلك . فإن كان الأمر يحتاج إلى جوابٍ سريع فاتصل بطالب علم يفتيك ، و بإذن الله إذا تكرر عليك السؤال مرةً أخرى – و سيحصل – فسوف تتمكن من الإجابة مباشرة.

٢.ثوّر المسائل - ممكنة الوقوع مع محضنك - في ذهنك ثم ابحث عن جوابٍ لها ، مثلا قل : إذا عزمنا السفر مع الحلقة فدخل علينا وقت الظهر ونحن في الحافلة لم نخرج من بنيان البلد بعد .. فهل إذا خرجنا من البنيان نصلي الظهر تامة أم نقصرها ؟ مثال آخر : إذا لعبنا كرة القدم في الاستراحة ثم قذف أحد الأفراد الكرة بقوة فأتلف إحدى مكونات الاستراحة (أنوار الإضاءة مثلاً) فهل يضمن ؟ و غير ذلك من المسائل .. و لا تكتفِ بالتثوير بل ابحث عن الإجابة كي تستفيد و تفيد .

إنني و بباعث من الحرص أطالبُ كلّ مشرفٍ – حتى يكون مؤهلاً تأهيلاً جيدا – أن يكون نهِم الاطّلاعِ، غزير القراءةِ، ليس في المجال الشرعيّ فحسب ، بل في كل المجالات ما استطاع إلى ذلك سبيلا .. في القرآن والسنةِ والفقه والعقيدة و التربية واللغة والتاريخِ والسيرِ والتقنية، وفي شتى العلومِ الحديثة فإن ضاق الوقتُ فلا أقلّ من الالتفات للعلم الشرعيّ لأن الدين لا يقوم إلا به ، و لا أقل من الإلمام بقضايا التربية لأنها ضرورة المرحلة .

لا أريد من المشرفِ أن يكون شافعيّ زمانه، وحنبل عصره ، بل أريدُ منه حدّ الكفاف، الذي يقيم به دينه، ودين طلاّبه، وأصدقكم القول - ومن خلال مشاهدة – أن الطلابَ يبحثون عمن يفيدهم، ويرفعُ حصيلتهم، ويحفظون له قدره ويجلّونه، ويرون فيه القدوةَ الذي لا يضاهى..

وحتى تكتمل الفائدة، ويتحقق الهدف، فإنني سأدلفُ الآن إلى الوسائل التي تحقق في المشرف حدّ الكفاف من العلم والتحصيل، الذي يرفعُ به درجته وحصيلةَ طلاّبه[٨٤].

وسائل ومنهجية التحصيل لمشرفي المحاضن:

١. الاقتناع بأهمية العلم، ومعرفةِ فضله وفضل العالم على غيره .
٢. اختيار شيخٍ موثوقٍ في دينه وعلمه، يقرأ المشرفُ عليه بعض المتون التأصيلية، ويكون ذلك وفق خطة يرسمها له الشيخ، وليكن من المعلومِ عند الشيخ أن المشرفَ لا يريد أن يكون عالماً متبحراً، وعلى المشرفِ أن يختار الشيخ الذي له نَفَسٌ شبابيّ، وسبق له أن خاض تجربةَ الحلقات والأنشطة الشبابية حتى يتمكن من إفادةِ المشرفِ بأكبر قدرٍ ممكن، ومن المهم أن يبحثَ المشرفُ عن شيخ مغمور، أما المشهور فليبتعد عنه، فإن الانقطاعات ستكثر معه،

---

٨٤) قبل الخوض في الوسائل فإنه من الواجب على المشرفِ أن يُلزم نفسه على القراءة، ولتكن بدايته - إن كان متعثراً في القراءة - بقراءة السيَر و القصص والروايات لخفّتها وقربها إلى النفس.

وقلّما تحصلُ منه الفائدة المرجوّة حتى وإن كان أقوى حصيلة من المغمور ، فاحرص على الاسم النافع لا اللامع !

٣. على المشرف قبل حلول المواسمِ و المناشط أن يقرأ في أحكامها ، ويسأل أهل العلم عن كلّ ما يستشكله ، كأحكام الصيامِ والحجِّ وما يكثر في الشتاء ، وقل مثل ذلك في البرامج والرحلات كأحكام السفر ، و الأحكام المتعلقة بالرحلات البرّية. ولتكن القراءةُ من كتب متخصصة لتكون الفائدة أعمق ، وعلى المشرفِ في بدايةِ هذا التحصيل أن يبتعد عن الكتب الخلافية حتى لا يتشتت ، وعند تعمقه فلا مانع من ذلك ، وما رأيتُ أكثرَ فائدةً من المطويّاتِ التي يهملها كثيرٌ من الناس ، وقد تكلمتْ عن أحكامٍ كثيرة ، فعلى المشرفِ أن يقتني ما يناسبه منها ، ولتكن في متناوله قريبةً منه (درج السيارة مثلاً) وليتعاهد قراءتها بين الحين والآخر سواءً لوحده أو مع طلابه .

٤. إدمان قراءة كتب الفتاوى ، وهي طريقةٌ فعالةٌ لاكتساب العلم الشرعي ، خصوصاً أنها نتاج سؤال عمليّ بعيداً عن التنظير العلمي ، وغايةُ ما ستحتاجه – أيها المشرف – من كتب الفتاوى لن يتجاوز أبواب العبادات (الطهارة – الصلاة – الصوم – الحج) عدا الزكاة ، بالإضافة إلى بعض مباحث العقيدة . و الاطلاع على كتب الفتاوى أمرٌ ميسّر ، عظيم النفعِ ، جميل العاقبة .

٥. ليكن لك - أيها المشرف- مجموعة من الكتب تتعاهدها بالقراءة والاطّلاع بين الفينة والأخرى ، و أقترح عليك كتباً في عدد من المجالات ، وهي - في نظري – أسسٌ يجب على المشرفِ ألا ينحطّ دونها ، و هي كما يلي :

أ. **في التفسير :**

- التفسير الميسّر ، الصادر من مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف .
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، لابن سعدي .
- زبدة التفسير ، للأشقر .

ب. **في العقيدة :**

- الأصول الثلاثة للإمام المجدد مع شرحها لابن عثيمين، أو حاشيتها لابن قاسم .
- كتاب التوحيد للإمام المجدد مع شرحه لابن سعدي أو لابن عثيمين .
- العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام مع شرحها لمحمد خليل هرّاس .
- أعلام السنة المنشورة لحافظ الحكمي .
- الإيمان : أركانه – حقيقته – نواقضه ، لمحمد نعيم ياسين .

ج. **في الفقه :**

- موسوعة الأحكام الشرعية ، لرياض الأحمد ، وهي عبارة عن موسوعة فتاوى منتقاة من فتاوى بعض العلماء المعاصرين بترتيبٍ رائع ، وإخراجٍ محكم ، أو أي كتاب فتاوى لعالمٍ معتبر أو جهة شرعية معتبرة .
- كتبِ المواسم و الحالات الطارئة ! التي لا ينفك عنها محضنٌ من المحاضن .. كأحكام الصيام و الحج و السفر و النزهة و الشتاء .. إلخ ، و يُرجَعُ في انتقائها إلى أهل التخصص الشرعي .

د. **في التاريخ والسيَر:**

- في السيرة النبوية : الرحيق المختوم ، للمباركفوري . أو مختصره روضة الأنوار للمؤلف نفسه . و كذا السيرة النبوية دروس و عبر ، لمصطفى السباعي . و أيضا .. السيرة النبوية قراءة جديدة ، لمحمد الصوياني .
- و في تاريخ الدول و سير الصحابة و الأعلام : عموم مؤلفات علي الصلابي ، و وشوقي أبو خليل ، و سلسلة (أعلام المسلمين) التي تصدرها (دار القلم) و هي ثمينةٌ جدا ، و بلغ عدد شخصياتها قرابة المائة .. كل شخصية في كتاب مستقل ، و من الكتب التي تطرح السيَر طرحاً أدبياً قصصياً : (صور من حياة

الصحابة) لعبدالرحمن رأفت الباشا ، و (رجال حول الرسول) لخالد محمد خالد ، و (رجال من التاريخ) للطنطاوي .

وبالمناسبة فإن الطلاب يحبون سماع أحداث التاريخ والسيَر، ويطربون لذلك، شريطةَ أن يكون ذلك بشكل عفوي ليتحقق القبول، وأنصحُ المشرفَ أن يثوّر المسائل التي ألمّ بها عند الطلاب، ويثير النقاشَ فيها، لترسخ المسألة في ذهنه، وتتحقق الفائدة للطلاب، كما أذكر بأهميّة افتراض المسائل ممكنة الوقوع، والبحثِ عن جوابها، إما في بطون الكتب أو من شفاه أهل العلم.

اللوحة السادسة و العشرون

صَغَار مشرف

سأكون قاسياً بعض الشيء على أحبتي المشرفين..

ليسَ سرًّا أن المشرفَ يشكّل جزءً كبيراً من روافد الحلقة، وكل محضنٍ تربوي لا يعتني بانتقاء مشرفيه فهو إلى ضعفٍ و ربما أفول .. و هذا واقعٌ مُشَاهد ..

دعاني طول التأمل إلى الحديثِ عن قضية مهمة ربما تلجئنا قلةُ ذات اليد إليها، فنتخذ القرار ونحن نسترجعُ ونقول: (شيء أفضل من لا شيء) .. ونتفق معاً – حينها - على متابعة المشرف الجديد الذي لتوه تخرج من القسم الثانوي ونتواصى فيما بيننا على تقويمه وتكثيف البناء التربوي في حقّه، ونحن نعلم علم اليقين أنه ضعيف الأساس ، لكن ألجأتنا إليه الحاجة ، فالمحضن يفتقر إلى الكادر الإشرافي ، و لا مخرج إلا أن نستعين بالأقل كفاءةً ..

ويبدأ المشرف الجديد مسيرته مع المجموعةِ بشيءٍ من وجع الرأس، والإحراج مع الطلاب، والتنفير من المحضن، بتصرفاتٍ لا تصدر عن طالب فضلاً عن مشرفٍ يشار إليه بالبنان، والإشكال أن خطأه محسوبٌ على طاقم الإشراف بكامله؛ لأن كثيراً من الطلاب لا يفرّق بين خطأ الفرد وخطأ المجموعة ..

لا أخفيكم أن ثمة أخطاء قاتلة نمر بها، تكاد تعصف بالمحضن، شعرنا بذلك أو لم نشعر ..!

والسبب مشرفٌ لا يفقه أصول ومبادئ التربية، وغالبُ هؤلاء هم من المشرفين الجدد، الذين تولوا زمام الأمور ولمّا ينضج حسّهم التربوي بعد .

أستأذنكم الآن لأدلف إلى بعض التصرفات التي وقفتُ عليها سواءً من قريبٍ أو بعيد، وكانت سبباً في نفور الطالب أو أهل الطالب من المحضن .

١. "عبد العزيز" شابٌ لتوّه تخرج من المرحلة الثانوية، ونظراً لشحِّ المحضن وحاجته إلى طاقمٍ إشرافي ليقود سفينة المحضن، كان لا بد من الاستعانة به ليُسهم في العملية الإشرافية التربوية ، كان اختياراً غير موفق، لكنها الحاجة ..

ليس جديداً على الطاقم الإشرافي أن "عبد العزيز" لا تروق له تصرفات "محمد" و لا يحفل به و لا يلتفت إليه – منذ أن كانا طالبيْن في المحضن – "محمد" الآن في الصف الثالث الثانوي، استغل "عبد العزيز" منصبه بكل حقارة، ليملي أوامره على "محمد" ، بل ويهدده بالفصل إن لم يكن كما يريد (المشرف) "عبد العزيز" .. و قد لا يملك "عبدالعزيز" قراراً كهذا .. إلا أنه من الواجب أن ننأى بكادرنا الإشرافي عن مثل هذه التصرفات و السلوكيات حتى يبقى الجوّ نظيفا .. إنه صَغَار مشرف[٨٥] !!

٢. "مساعد" شخصٌ غريب الأطوار، سريع التقلب، هذه السنة وقع الاختيار عليه ليكون مشرفاً في القسم الثانوي، مع أنه حديث عهدٍ بالتربية ، قد خرج لتوه ساخنا من القسم الثانوي، لكنها الحاجة، والحاجة هُنا .. أم الضياع، بدأ "مساعد" مشواره مع المجموعة يمرّ ثلاثة من الشباب، أحدهم "سامي" والآخر "عبد اللّه" والثالث "إبراهيم" ، بقي أن تعرف – عزيزي القارئ – أن "سامي" انسحب من الحلقة، وعندما سئل عن السبب، أخبر المسؤول أن المشرف "مساعد" ذا قيادة متهورة، وأن أباه - أبا سامي - ما فتئ يتضايق مما يراه من قيادة "مساعد" المتهورة داخل الحيّ فكيف بخارجه ...؟ إنه صغار مشرف !!

٣. "سلمان" الفتى الوديع، الذي كان يحبّه الشباب، لظرافته وجميل سجاياه، سينضم إلى قافلة الإشراف، كان عددٌ من المشرفين الكبار يعقدون عليه الآمال نظراً لقوّة علاقته بالطلابِ ومحبتهم له، ونسوا أن التربية لا يكفي فيها قوة العلاقة، بل لا بد من وجود الحكمة و نبل الرسالة مع وضوح الرسالة ، الهدف و الغاية .. بدأ "سلمان" مسيرته، وفرح كثير من الطلاب بوجوده مشرفاً

---

٨٥) على المربين الكبار في المحضن أن يتفطنوا لمثل هذه الحالات ، و ألا يقبلوا على الإطلاق كلامَ مشرفٍ في طالب كان بينهما شحناء فيما مضى أو سوء تفاهم ، و على المربي الحاذق حين يسمع شكايةً من طرفٍ على آخر أن يستصحب أحداث الماضي بينهما و لا ينظر إلى الشكاية نظرة مجردة من البُعد التاريخي بين الخصمين فهذا قصور في التصوّر و الفهم .

بعد أن تذمروا من رحيله طالباً، وبدت مسيرة "سلمان" ناصعة البياض، مشرقة الطلعة.

"أحمد" – مسؤول الحلقة – تلقى اتصالاً من رقم غريب في وقتٍ متأخرٍ من الليل يومَ الجمعة، تردد في الإجابة من عدمها، ثم قرر الإجابة، كان الصوتُ أجشّاً جهورياً، إنه والد "فهد" يسأل عن ابنه الذي خرج مع (الشباب) ولم يعد حتى هذه اللحظة، ظهرت على "أحمد" علامات الشَّدَه و التعجب فليس من عادة الشباب تنظيم رحلة يوم الجمعة، بل إنه هو مسؤول الحلقة فكيف يكون ذلك دون علمه أو الرجوع إليه، تصرف "أحمد" بحكمة، ثم تبين له فيما بعد أن "فهد" كان مع "سلمان" في برنامجٍ خاص ! مما يوحي بولادةِ حالةِ تعلّقٍ جديدة .. إنه صغار مشرف !! .

أتوقف هنا عن ذكر بعض المآسي الأخرى من قبل المشرفين الجدد أو حتى المشرفين غير المؤهلين، لأقف قليلاً عند ما أظنه علاجاً لتلك المظاهر والسلوكيات الخاطئة لأقول :

١. لا بد من التوعية التربوية منذ الصغر، وتوعية الناشئ بالأساليب الصحيحة في التعامل مع الأخطاء سواءً كان التعليم بشكلٍ وتوجيهٍ مباشر، أو بشكلٍ غير مباشر، على الأب والأم توعية الابن بكيفية التعامل مع إخوته وأقاربه الصغار، وعلى المشرف في المحضن توعية الطالب - سواءً كان في المرحلة المتوسطة أو الثانوية - بكيفية التعامل مع من هو أصغر منه حالَ خطئه، و على المشرف ألا يباشر توجيه المخطئ، بل عليه أن يوجه كبار الطلاب في المحضن (٣م أو ٣ث) إلى الطريقة السوية في توجيه المخطئين - فمثلاً إذا أخطأ محمد (٢م) فأسبل ثوبه، فعلى المشرف أن يتجه إلى عبد العزيز (٣م) ويخبره بخطأ محمد وأنه أخٌ عزيز لعبد العزيز، وأن أفضل أسلوب لمناصحة محمد – مثلاً – هو أن ترسل له رسالةً يا عبدالعزيز بأسلوب رقيق لطيف من

هاتفك فتخبره بمغبّةِ الإسبال، وتؤيد عبد العزيز –أيها المشرف– بشيءٍ من الأدلة والأحاديث في حرمةِ الإسبال، بل حتى لو قمتَ – أيها المشرف / المربي - بصياغة الرسالة لعبد العزيز ثم أمرته أن يتولى هو إرسالها فإنها ستترك أثراً قوياً في نفس الطالب.

٢. من المهم جداً – وكثيراً ما كررتُ هذا الكلام على أسماع كثيرٍ من المشرفين - أن يُفتَح للطالبِ مجالٌ في إبداء الرأي واتخاذ القرار وإن ضاقت مساحته ، و ذلك حتى نُشبع هذه الرغبةَ فيه، فمن فطرة الإنسان أنه يحبُّ أن يكون له رأي مسموع، وقرار يُعمل به، فلماذا نجعل هذه الرغبة تتراكم في نفسه ، وتشغل حيّزاً من تفكيره ، حتى إذا سنحت له الفرصة، فجّرها بغير تعقّلٍ ولا رويّة[٨٦] .

وأحقُّ من يُطبَّقُ عليه هذا الكلام هم طلاب المرحلة الثانوية، خصوصاً من هم في الصف الثالث الثانوي، الذين باتوا قريبين من دفّةِ العطاء والتوجيه، يجبُ أن نعطيهم مزيداً من الاهتمام والمتابعة، بالإضافة إلى مزيدٍ من الصلاحيات، ليتم من خلالها إشباع غريزته في حبِّ الأمارةِ والسلطة، فإذا بدأ في مزاولةِ التربية إذ به مُشبَع الرغبةِ لا يلتفت إلى (افعل ولا تفعل) .

٣. من الخطأ – في نظري - أن يبدأ المربي الجديد عطاءه التربوي مع القسم الثانوي، علينا أن نعي أن الطلابَ لا يستمرئون أن يستحيل صالح –وقد كان قبل فترة بسيطة طالباً مثلهم له ما لهم وعليه ما عليهم– إلى مشرفٍ له سلطةٌ عليهم[٨٧]، يأتمرون بأمره وينتهون عند نهيه (مع عدم إيماني التام بسياسة الأمر والنهي بين المشرف والطالب على كل حال) والأشد نفوراً أن يغدو صالح متمتعاً بصلاحياتٍ لم تكن لهُ من قبل، فالويل كل الويل لمن أسقط هيبته بكلمةٍ أو بتصرف، مع أنه قبل فترة قريبة – و عندما كان طالبا - كان

---

٨٦) لا يلزم أن يكون هذا مع جميع الطلاب .. ! بعضهم لا تلمس منه هذا ، و البعض الآخر تجد فيه ذلك فأعطه فرصةً مناسبة قبل أن تكون بيده الفرصة غير المناسبة .

٨٧) و لِشخصية المشرف الجديد و نوع علاقته بالطلاب يوم أن كان منهم دورٌ في هذا .. فارعَ هذا .

قد خرّ صريعاً على الأرض بسببِ مطارحةٍ غير متكافئة مع قُصيّ الذي يصغره سناً ويكبره جسماً، بل حتى المشاكسات اللسانية التي كان صالح يفتعلها مع غيره، لم يعد صالح ليرضى بها، بل من سوّلتْ له نفسه بافتعالها فليحتمل نظرات صالح المحرقة.

من المفترض أن يوجَّه المشرفُ إلى الإشراف على القسم المتوسط في البداية، فإن كان ولا بد، فليكن مع القسم الثانوي شريطةَ أن يُنبّه على علاقته مع الطالب، وأن الواجب عليه ألا يترفع عنهم ولا يوغل معهم، بل الوسط هو الحل، و عليه أن يفهم أن مركزه في الحلقة يُعَدُّ مركزاً جوهرياً إن وظّفه بشكلٍ جيّد ، إذ بالإمكان أن يكون الأقرب إلى قلوب الطلاب بحكم ضآلة الفارق السنّي بينه و بينهم ، فليكن همزة وصل بين المشرفين و الطلاب لا همزة قطع ، وعلى المشرفين أن يكونوا شديدي الرقابة سريعي التقويم لهذا الكائن الجديد.

اللوحة السابعة و العشرون

على رسلك يا قدوة

١. كانوا ملتفّين حول بعضهم على شكل حلقة ينتظرون حضور الضيْفِ الذي سيُلقي عليهم ما في جعبته، وما إن أقبل الضيْفُ حتى تأهّب الجميع، منهم من قوّم جلسته، ومنهم من أخرج قلمه، ومنهم من فتحّ كناشته، فلما أخذ الضيْفُ مكانه، وانطلق في الحديث، والكلُّ منصِتٌ متابع يتفنّن في تقييد الفوائد، وإذ بأبي حُسام يُخرجُ من جيبه مسبحته العتيقة، ويضعها رهينة أصبعيْه، ويقذفُ بها في الهواء يمنةً ويسرة، في مشهدٍ يدلُّك على اللامبالاة، وضعفِ الجدّية .

٢. يحوطُ به الطلاّب من كل الجوانب، وهو يرتكزُ في رأس الحلقة، يسمعُ منهم ما تيسّر لهم حفظه في هذا اليوم، ليسَ جديداً على الطلاّب أن مشرفهم يفتحُ المصحفَ أثناء سماعه تلاوة الطالب، والسبب أنه ليس بحافظٍ للقرآن، ليستْ المشكلةُ هنا ..هذا قد يكونُ أمراً معتاداً .. المشكلة أن عبدالعزيز - وهو طالب في الصف الثالث المتوسط - لما شرعَ في تسميع سورةِ القصص، وبالتحديد لما وصل إلى قوله تعالى (.. ولكنا أنشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر وما كنت ثاويا في أهل مدين تتلو عليهم آياتنا ولكنا كنا مرسِلِين)[٨٨] قرأها عبدالعزيز بفتح السين وهي مكسورةٌ أصلاً، لكن .. مع الأسف لم يتحرّك المشرفُ الفاضل لتصحيح هذا الخطأ، في دلالةٍ واضحةٍ على ضعف المشرفِ في أمرٍ لا يُعذَرُ فيه . بل الأنكى والأمرّ ..أن يقرأ الطالبُ قراءةً صحيحة ثم يأتي المشرفُ ليصوّبها له خطأً، يا له من أمرٍ مُخجل !

٣. احتدم النقاش بينهم، وعلت الأصوات، ذاك يقول بثقة : " أنا متأكدٌ أنه حرام، وقد قرأتُ فتوى لأحد الثقات في هذا الشأن "، ثم يردُّ عليه الآخر بثقةٍ مفرطة : " وأنا أؤكدُ لك أنه حلالٌ كما الماء، وأنا على يقينٍ بصحّة مصدري " وهكذا يستمرُّ السِّجال بين اثنين من خيرة أفراد الحلقة، وفي النهاية يقرران التحاكم إلى مشرفهم لفضِّ النزاع، وإرساء الودّ، وهو حال كثيرٍ من الطلاّبِ

---

٨٨) سورة القصص : ٤٥

إذ يرتضون المشرفَ حكماً بينهم، فيقصدونه حال التنازع ! العجيب في الأمر أن المشرفَ بضاعته في العلم الشرعيّ مُزجاة، ومع ذلك لا يتورّعُ في إطلاقِ الأحكام، والترجيح بين الأقوال، خوفاً من أن يُرمى بالجهلِ من قِبلِ طلابه، ورحم اللّٰه الإمامَ مالك إذ يقول عنه الهيثم بن جميل : شهدت مالك بن أنس - رضي اللّٰه عنه - سُئل عن ثمانٍ وأربعين مسألة، فقال في اثنتين وثلاثين منها : لا أدري[٨٩].

فهلاّ وسعكَ ما وسعه ..؟

٤. اكتمل عقدهم في سيّارة مشرفهم، الذي يتولى مرورهم عصرَ كلِّ يوم، ولم يبقَ غيرَ سالم .. إنه شابٌّ في الصف الثالث المتوسط، هادئ الطباع، مُطرِقَ الرأس، يخفي في نبرة صوته أكواماً من الحياء الفطريّ، قلّما يخطئ على أصحابه، وهذا شيءٌ بدهي بالنسبةِ لشابٍّ تُعدُّ كلماته على أصابع اليد الواحدة .. المأساة .. أن سماحة المشرفِ كان متنرفزاً هذه المرة، وعلى غير العادة تأخَّرَ صاحبنا سالم ولم يخرج من بيته إلا بعد خمسِ دقائق من حضور المشرف .. هذه المرة لم تكن حكمة المشرف الفاضل حاضرة، ما إن ركِبَ سالم حتى ناله من مشرفه سيلٌ من التوبيخ والتجريح، وما هذا السيل في الحقيقة إلا تفريغٌ لشحنةِ غضبٍ لا علاقة لها بسالم، لكنه كان الضحيّة ! إن كان ولا بد .. فـ ليتها كانت من نصيب آخرٍ غير سالم الوديع !

٥. يتكلمان معاً .. يضحكان معاً .. يمشيان معاً .. قلما يفترقان، يجمعُ بينهما توافقِ الطِّباع، وتداخلِ الهموم، واتحادِ الأهداف، وقبل ذلك كله .. جمع بينهم الحبُّ في اللّٰه ! استعجلَ المشرفُ المبارك، ونظرَ للأمرِ على أنه تعلق مذموم أو شلليّةٌ مقيتة، فحاول بشتى الطرقِ والوسائل أن يقوم بعمليةِ فصلٍ لهذا التوأم السياميّ، كانت المحاولات في بادئ الأمر تتسمُ باللطف واللباقة، وتميلُ إلى التلميحِ دون التصريح، ومع مرور الوقت لم يتغير الحال . حينها قرر المشرفُ أن

٨٩) انظر : التمهيد لابن عبدالبر ١ / ٧٤ ، مكتبة ابن تيمية .

يتخذَ إجراءً صارماً لإيقاف هذا الخطأ – كما يرى – فصارح الاثنين بما رأى وبما يريد ، فهو يريدُ باختصار أن تكون علاقتهما ببعضهما كعلاقتهما بغيرهما - وهذا ما لا يكون - كانت صدمةً لهما ، لم يتوقعا هذا الأمر ، ولم يخطر ببالهما هذا التفكير.. خصوصاً أن قوة هذه العلاقة كان من القديم وقبل الانخراط في هذه الحلقة.

كان لهذا الكلام أثره السيئ على نفسيةِ الاثنين، مما ولّد لديهما حنقاً مكتوماً على هذا المشرف، ربما تترجمه الأفعال فيما بعد ! ونسيَ المشرفُ الموقر أن الأرواح جنودٌ مجنّدة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف، كما نسي أن بين الشللية والتعلق وبين هذا الحديث النبويّ شعرةٌ لا يستبينها إلا حُذّاقُ التربية ، فليس صوابًا أن نحكم على كلّ علاقةٍ قوية بأنها من ضروب التعلق المذموم، أومن أمارات التحزّبِ المقيت، نعم قد تؤدي إلى أحدهما إن لم نحسن التوجيه و هذا وارد ، فأحسن التوجيه قبل أن ينحرف مسار العلاقة أو ينتج عنها ما يخالف سياسة المحضن ، و الأمر يحتاج إلى حِسٍّ عالٍ، ومربٍّ حاذقٍ خبير .

اللوحة الثامنة و العشرون

شروخٌ في صرح التربية

لا بدّ لكلّ صرحٍ مهما علا بنيانه، واستقامتْ أركانه، من وجودِ شروخٍ وإن تناهت في الصِغر، عزّ الكمال إلا للّه، وأشدّ الشروخِ تأثيراً في البنيان، وأعظمها توهيناً للصرحِ، ما كان متعلقاً بتنشئة الجيل وتربيته، ولذا قال الشاعر[٩٠] :

مَشَى الطاووسُ يوماً باعْوجاجٍ فقلدَ شكلَ مَشيتهِ بنوهُ

فقالَ علامَ تختالونَ ؟ قالوا بدأْتَ به ونحنُ مقلِدوهُ

فخالِفْ سيركَ المعوجَّ واعدلْ فإنا إن عدلْتَ معدلوه

أمَا تدري أبانا كلّ فرعٍ يجاري بالخُطى من أدّبوه

وينشَأُ ناشئُ الفتيانِ منا على ما كان عوَّدَه أبوه

وفي خضمّ هذا الكمّ الكبير المتدفق من الوعي التربوي، تظلُ بعضُ الشروخ نافذةً في صرحِ التربية، خصوصاً في مجتمعِ الحلقِ والأنشطة الشبابية ، ولعلي - هنا- أقفُ على شيءٍ من تلك الشروخ، سواءً كانت من طرفِ المربّي أو من الطرف الآخر (المتربّي)، وأنا هنا أكتبها بعفو الخاطر ، دون ترتيب معيّن أو تقسيم متعيّن :

١. من الشروخِ الواسعة في صرحِ التربية، أن يسعى المشرفُ إلى أن يكون الطالبُ نسخةً كربونيةً منه، فلا هو يراعي المواهب والميول، ولا هو يراعي الفروق الذهنية و القدرات، وهذا واللّه مما يقتل المتربي ليعيشَ حياته بعيداً عن الإنتاج والبذل .

ومن أمثلة ذلك : أن يكونَ المشرفُ طالبَ علمٍ، يميل إلى العلم الشرعي، فيقيم خطةَ برامج الحلقةِ على هذا الأساس ، فيجعل الخطةَ مملوءةً باللقاءات والدروس العلمية والمحاضرات، دون أدنى اعتبارٍ لميول من معه، زاعماً بذلك أنه يريد المصلحةَ لهم، وهو كذلك، غير أنه أخطأ الطريق، وما أفلحَ في الوسيلة، ولا أخاله مفلحاً في النتيجةِ والعاقبة، ونحن مطالبون

٩٠) لم أعثر على قائل الأبيات، عدا البيت الأخير فإن صاحب الأبيات ضمّنه في قصيدته و هو لأبي العلاء المعري .

أن نوجد الأكفَاء في كل تخصص، وأن لا نُجبر المتربين قسراً - بشعور أو بدون شعور- على الأخذ بما نريده نحن، فهذه حيْدةٌ لا تُغتَفَر !

٢. أن تكون مربيًا مَرِحاً .. شيءٌ جميل، أما أن تكون مربّيًا هازلاً حدّ التهريج فهذا ما لا يستساغ ولا يُطاق، وبين المرح والتهريج شعرة فحذارِ أن تنقطع، ومن المؤسفِ أن ينظر صغار المتربين - وأحياناً صغار المربين - إلى الطالب الهزليّ أو المشرف المسفّ في الهزل، على أنه مثالٌ يُحتذى في سلوكه ؛ وسببُ إعجابهم بهذه الشاكلة أن كلّ من حوله يقهقهون لأجل تصرفاته وحكاياته وأفعاله ، فيعمدُ المربي أو المتربي المخدوع إلى تقمّصِ تلك الشخصية، ومحاكاتها بكلّ وجه ممكن، فقط لأجل إضحاك الحضور، و لفتِ الأنظار بأسلوبٍ رخيص ! خطأٌ تربويٌ مؤذٍ أن تكون تلك العيّنات هي غايةُ المتربين والمربين.

وحتى لا يجنح البعض، فإنني لا أقصدُ المرحَ المشروع الذي يُرفّهُ به عن المجموعة، إنما أقصدُ الهزلَ الذي صار سمة بارزة لبعض أفراد المحضن يُعرفُ بهم ويُعرفُون به، وإذا طلبوك حيثُ الضحك .. فراجع نفسك !!

٣. إحكامُ العلاقةِ مع المتربي.. لا يعني أن أعرفَ كلَّ أسراره، بعضُ الإخوة يظن - ولفرط جهله أو اجتهاده - أن علامة قوة العلاقة بينه وبين الطرف الآخر، أن يبوح المتربي بأسراره للمربي، وقد ذكرتُ سابقاً أن قوّة العلاقةِ مطلبٌ مهمٌ للتأثير على المتربي، لكن الخطأ أن تصلَ العلاقة إلى تسليم العقل، والتفوّه بكلِّ ما في داخل المتربي، لستُ أقصدُ - هنا - تلك الأسرار التي يتفوّه بها المتربي ليعالجها له المربّي ، إنما أقصدُ تلك الأسرار التي لا جدوى من إيداعها للمربي، كأحداث الماضي الأسود للمتربي مثلاً . والعكس بالعكس، فلا يعني قوة العلاقة أن أفشي للمتربي أسرار الحلقة ، وأمورها الخاصة، التي لا ينبغي أن يطلع عليها إلا أهل الاختصاص.

٤. من الخطأ أن تحاربَ كلّ جديد، وما أكثر ما نلاحظ عند ظهور أمرٍ جديد (تقنية - موضة - ....) إلا وتبدأ الألحاظ في تتبع أصحابها، ومحاربة ما تلبسوا به من طارئٍ جديد، وأعتقدُ أن المحاربةَ بهذا الشكل لن تجدِ كثيرا ، علينا أولاً أن نتمعّن في هذا الجديد وننظر إليه من ناحية شرعية، ثم من ناحيةٍ تربوية، إن اجتازهما فقد اجتاز القنطرة فلا إشكال فيه حينئذٍ وإلا فلا .

فكل جديدٍ يستجد فإنه بحاجةٍ إلى تأصيلٍ شرعي وتربوي قبل الحكم عليه .

٥. أتذكّر قديماً أنه عندما يتم استبعاد طالبٍ من المحضن، إما لسوءٍ في دينه، أو في خُلُقه، أو لأي أمرٍ آخر، فإن التوصيات تنهال علينا من كلّ جانب، وتتدفق من كلّ صوب، بضرورةِ مقاطعة هذا العضو المبتور، وعدم مجالسته بل والتقليل من شأنه وأهميته، وما هكذا – والله – ربانا الإسلام، كنتُ أكرهُ مثل هذا التصرف، ولم أكن أقوى على مجابهةِ المشرفين بالاعتراض على مثل هذا، إلى أن أصبحتُ في ركاب الإشراف، فثُرتُ على هذا الهراء .

ما الذي يمنع – أحبتي – أن أجعل طلابي يتواصلون مع العضو المبتور، لعل الله أن يكتب على يدِ أحدهم هدايته وأوبته، سواءً كان ذلك باتصال أو رسالة أو حتى زيارة، إن هذا التصرّفَ يربّي في الأفراد حبّ الخير للغير، وينمّي فيهم جانب الدعوةِ الفردية، التي لا يتقنها كثيرٌ من شباب الدعوة، فها هي الفرصةُ سانحة، فلمَ التفريط ..؟

نعم .. هناك حالات يتحتم علينا فيها أن نمنع عضو المحضن أن يتواصل مع العضو المبتور، كأن يكون المبتورُ ذا ضررٍ متعدٍّ، أو أن يكون ممن يُفسد بنقلِ الكلام والتحريش بين الإخوة فمثل هذا لا مرحباً به، والله يتولاه.

أما من فساده على نفسه .. فهو قابلٌ للعلاجِ، لكن ربما لم يجدِ الطبيب، وما يدريك .. لعل الطبيب تلميذك ..!

٦. التفوّقُ في التحصيل الدراسي الأكاديمي لونٌ من ألوان التفوّق في الحياة، ومن الملفتِ أني رأيت أكثرَ شباب الحلقات من المتفوقين في التحصيل الأكاديمي ، لكني لمستُ إهمالاً واضحاً مِن قِبلِ مُشرفي هذه المحاضن لهذا الأمر، الضعيف المهمل لا يجدُ من يقوّمه ، والمتفوق المجتهد لا يجد من يحفزه ويشجعه، وأقل القليل أن نكرّم المتفوقين نهاية كل فصل من باب المؤازرة، ولا تسل عن فرحةِ الأهل حينذاك، إذ يجدون من يشجّع ابنهم على تفوقه، خصوصاً إذا علمتَ أن عدداً من الأهالي يرفضون انخراط ابنهم في هذه النشاطات أو يضيّقون عليه في الحضور أو المشاركةِ في الأنشطة و الرحلات – وهذا ملموس - خوفاً عليه من تضييع دراسته، أضف إلى ذلك .. أن هؤلاء الفتية هم صناع القرار في الغد فما أجمل أن يصنع القرار شابٌّ عرف الله.

من المبهج - والله - أن أرى شباب الحلق والمكتبات في طليعة المتفوقين دراسياً، عملتُ في عدد من المحاضن، لا أتذكر أن نسبة عدد المتفوقين قلّت عن ٧٥٪ من الطلاب ، غالبُ الطلاب متفوقون .. ما أجمل هذا !

٧. الفِصامُ النكد الذي تعيشهُ بعضُ الحِلقِ والمكتبات أمرٌ لا يسرّ، تجدهم في منتهى العناية بأفرادهم في محضنهم الصغير، أما في المحضن الكبير (المدرسة) تعجبُ منهم .. حيث تركوا الحبل على الغارب، وأسلموا الضحيّة للجلاّد، فهم يبنون من هُنا وغيرهم يهدمُ من هناك، كثيرٌ من الشباب حاد عن الطريق بسبب ذلك، لا يجد من يحتويه في المدرسة، فهو يفقد اليد الحانية التي تُرَبِّت على كتفه عصر كل يوم، تراه يمشي كالحمل الوديع في الأرض المسبعة دون أنيس و لا صاحب ، واجبُنا أن نجدَ لهؤلاء من يرعاهم ويحفظهم، كجماعات النشاط المدرسي - إن كانت لا تزال - وإلا

فصحبةٌ طيبة تحثه على الخير ينخرطُ معها مفيدا ومستفيدا ، ولا أجد ما يمنع من تواصل مشرفي المحضن مع من يثقون به من الأساتذة لحفظ هؤلاء الشباب، و الشدِّ من أزرهم .

٨. التواصل السلبي .. أقصد .. أن عدداً من الأحبةِ المشرفين يرفضون رفضاً قاطعاً أن يتدخل الطالب في شؤون الحلقة، بل كنا نعدها – و نحن طلاب - من الكبائر التي لا تُغتفر، ولا أدري ما السرّ ..؟

بعضُ المشرفين يظن أن في ذلك تجاوزٌ للخطوط الحمراء وانقضاضٌ على صلاحياتٍ لم تُخلق للطالب، وبعضهم يرى أنها من تفيهق الطالب ومن فضول كلامه الذي يستعرض به عقله، وبعضهم يحقّر رأي الطالب وإن لم يسمعه؛ لأن الطالب لا يزال صغيراً على مثل هذه الأمور ..

عشنا شيئاً من تلك الحياة، وأدركنا أن بعض الطلبة يملك عقلاً جباراً، وأفكاراً مهولة، بل إن بعضَ من عرفناه ممن شارَكَنا عقله خرجنا منه بنفائس الأفكار، وثمين المقترحات، فاسمع من تلميذك .. فلا ضير إن لم تخرج منه بشيء ، يكفيه منك أن أعطيته ثقتك ، وعززت ثقته ..

اللوحة التاسعة و العشرون

مفاهيم خاطئة حول الإشراف

مدخل :

قال الله تعالى على لسان ابنة شُعيب : (يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ)[٩١] ، و قال تعالى على لسان عفريت سليمان – عليه السلام - : (قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ)[٩٢]، و قال تعالى واصفاً جبريل – عليه السلام - : (إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (١٩) ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ (٢٠) مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ)[٩٣]

يقول شيخُ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله - : " وينبغي أن يعرف الأصلح في كل منصب، فإن الولاية لها ركنان: القوة والأمانة كما قال تعالى: (إن خير من استأجرت القوي الأمين) ... والقوة في كل ولاية بحسبها : فالقوة في إمارة الحرب ترجع إلى شجاعة القلب وإلى الخبرة بالحروب والمخادعة فيها، فإن الحرب خَدْعَةٌ، وإلى القدرة على أنواع القتال : من رمي وطعن وضرب وركوب وكر وفر ... والقوة في الحكم بين الناس ترجع إلى العلم بالعدل الذي دل عليه الكتاب والسنة، وإلى القدرة على تنفيذ الأحكام.

والأمانة ترجع إلى خشية الله، وألا يشتري بآياته ثمناً قليلاً، وتركِ خشية الناس، وهذه الخصال الثلاث التي اتخذها الله على كل من حَكم على الناس في قوله تعالى: (فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ) [المائدة: ٤٤] "[٩٤] ا.هـ

و قال في موضعٍ آخر : " فإن عَدَل عن الأحق الأصلح إلى غيره لأجل قرابة بينهما أو ولاء أو عتاقة أو صداقة أو مرافقة في بلد أو مذهب أو لِرشوة يأخذها منه من مال أو منفعة أو غير ذلك من الأسباب أو لضَغَن في قلبه على الأحق أو عداوة بينهما فقد خان

---

٩١) سورة القصص : ٢٦

٩٢) سورة النمل : ٣٩

٩٣) سورة التكوير : ١٩ - ٢١

٩٤) السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية ، شيخ الإسلام ابن تيمية ، مكتبة ابن تيمية ، ص ٢٥ .

الله ورسوله والمؤمنين ودخل فيما نهي عنه في قوله تعالى : (يا أيها الذين امنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون) "[٩٥] ا.هـ

هذا هو الواجبُ علينا تجاه حلقاتنا ، أن نولّي عليها من جمع الله له بين القوّة و الأمانة ، أما القوّة فهي القُدرَةُ على القيام بالمهمات و الواجبات من البرامج و الأنشطة و أدائها على وجهٍ يُقاربُ الكمال ، و أما الأمانةُ فهي النّصْحُ الصادق و التوجيه المُصَفّى من تَبِعاتِ الهوى و علائق العادات البالية ، و التي تتمسك بمقالةِ المشركين الأوائل : (إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ)[٩٦] ، و إن كانوا لا يصرّحون بذلك لكنها الحقيقة المرّة .

بيْدَ أنني تكلمتُ كثيراً عن حقيقةٍ لا تخفى على الجميع ، وهي أننا نرى عزوفاً ظاهراً من الثِّقاتِ الذين جَمَع الله لهم بين القوّةِ و الأمانة ، فنضطر آسفين أن نلتفتَ إلى آخرين قد لا نثق في قوّتهم و في أمانتهم تمام الثقة ، و نحن نردد دعاء عمر : " اللهم إني أعوذ بك من جلد الفاجر و عجز الثقة " و ما أشدّ وطأة الثّقة إذا عجِز ! و البديل و إن لم يكن فاجرًا إلا أنه موغلٌ في الضعف و القصور ..

يا تُرى .. لماذا الحديثُ عن هذا الموضوع ؟

سؤالٌ مشروع .. جوابه : لمّا كان الثقاتُ عاجزين عن القيامِ بالمهمة ، إما لاهتمامات أعلى و إما لخوفٍ لا مبرر له و إما لظروفٍ خارجةٍ عن الإرادة ، كان من الواجب علينا أن نختار للمهمة من تقلُّ أمانتهم و قوّتهم عن الثقات ، و ذلك من باب : " الميسور لا يسقط بالمعسور " ، و من باب : " ما لا يدرك جله لا يترك كله " .

و مع هذا الاختيار تتجلّى لنا بعض المشكلات و المفاهيم الخاطئة بسببِ ضعف الخبرة أو بسبب سوء الفهم أو بسبب سوء التأسيس و التأهيل أو بسبب ضياع الهدف و عدم وضوح الرؤية ، فكان الحديثُ عن هذا الموضوع فيه تجليةٌ – كما أحسب – لبعض المفاهيم و السلوكياتِ الخاطئة التي يقع في حمأتها عددٌ من المشرفين ، إنه لو كان الضررُ منها على المشرفِ وحده لهان الخطب . لكن الإشكال أن وقوعهم فيها له ضررٌ متعدٍ يتجاوزهم إلى مَن تحتهم من الطلاب ، و يمضي هذا الضرر حتى يصل إلى

---

٩٥) السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية ، شيخ الإسلام ابن تيمية ، مكتبة ابن تيمية ، ص ١٨ .

٩٦) سورة الزخرف : ٢٣

سمعة المحضن و الحلقة ، فيؤدي إلى نفور الطلاب و إعراضهم عن الانخراط في هذه المجامع الخيّرة ..

لذا .. أردتُ أن أحصرَ في هذا الموضوع و ما بعده أكثرَ المفاهيم و السلوكيات الخاطئة التي يقع فيها أحبابي المشرفين ، سائلاً اللّه – عز وجل – أن يمنحنا الحق ، و أن يلهمنا الرشد و الصواب .

- **المفهوم الأول : الإشراف تشريف !**

أيُها الموّفق .. إن المتأمل في حال السلف مع ما يُناطُ بهم من المهام التي تستدعي توجيه الناس و تربيتهم و كثرةَ احتكاكهم بهم - كالإفتاء و القضاء و تصدر مجالس العلم – لَيَجِدُ فيها البلسم الشافي ، و الترياق الكافي . فما نقل لنا التاريخُ أن أحداً منهم استبشرَ و تهلل وجهه و أشرَقِ جَذِلاً من أجل منصب حازه و توصّل إليه فضلاً عن أن يطلبه – إلا في حالات مستثناة ليست هي الأصل - إنما جُلُّ ما نقرؤهُ عنهم هو الهروبُ من ذلك و الخوف منه و من تبعاته !

يقول عمر بن الخطاب – رضي اللّه عنه – مستشعراً ما هو فيه من البلاء : "لو ماتت شاة على شط الفرات ضائعة، لظننت أن اللّه عز وجل سائلي عنها يوم القيامة"[٩٧] .

و يقول ابنه عبداللّه – رضي اللّه عنه - : كان عمر بن الخطّاب رضي اللّه عنه يقول: " لو مات جدي بطف الفرات لخشيت أن يحاسب اللّه به عمر" .

إن عمر بن الخطاب – رضي اللّه عنه – لا يتكلمُ هُنا عن أنفسٍ كرّمها اللّه بالعقل ، و زيّنها بالتمييز ، إنما يتكلمُ عن بهائم لا تفقه و لا تنقه ! فأين المُدرِكون المتأملون ؟..

و ما أكثرَ ما تكلّم أهلُ السيَرِ عن إحجام السلفِ عن التصدّي لمثل هذه المناصب مع ما يتعرضون له من تنكيل و تعذيب و ابتلاء من أجلِ أطرِهم عليها أطرا ! وهم

٩٧) حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني ، حديث (١٣٧) .

يرفضون غير آبهين بفداحةِ البلاء ، كل هذا لأنهم يُدركون حجم المسؤولية و عِظَمَ التبِعة ..

بيْدَ أن المفاهيم تغيّرتْ ، و الأحوال تبدّلت .. !

إن الاستغراق في الغبطةِ و السرور الذي يحصل من بعضِ الأحبة المشرفين نظيرَ تكليفهم بالإشراف على حلقةٍ ما .. لهو نذير شؤم ! قد لا تكون عاقبته إلى خير ! و أخوف ما يُخافُ على هؤلاء أن يكِلَهُم الله إلى أنفسهم و لا يمدّهم بعونه و تسديده ، و هذه و الله خسارة جسيمة و خِذلان كبير !

أيُّها الموفّق .. إن قيامك اليوم في مقام التوجيه و الإرشاد ، لهو مقامٌ عظيم قلّ من يستحقه ، و ما كلُّ من تبوأه كان أهلاً له ، فنحن المقصّرون المذنبون الخطاؤون أولى بالبحثِ عمّن يوجّهنا و يرشدنا و ينتشلنا من أوحال الخطايا ، لكنّ قدرَ اللهِ نافذ ، و لولا قِلّةُ الباذلين مع شدّةِ الحاجة ، لما كان هذا هو المقام الأصلح ! فلنتقِ الله .. و لْنستشعر أننا مفتقرون إلى تسديده و توفيقه و معونته ، و لنردد دوماً :

إن لم يكن عونٌ من الله للفتى فأول ما يجني عليه اجتهاده

فاسأل الله العون و السداد و الرشاد على كلِّ حال ، و لا تفتر عن الاستخارة ، و تمسّك بأصحاب التجارب ، و أكثر من استشارتهم و سؤالهم .

أيُّها الموفق .. و هذا لا يتنافى مع طلبِ العملِ في هذه المحاضن شريطةَ استشعار المسؤولية و الإحساس بثقلِ تبعتها ، و عليك أن تحيط نفسك بخنادق سحيقة ، فتستشعر مع كل خطوةٍ أنك على مشارف السقوطِ إن لم يُقيّضِ الله لك جِسراً من التوفيق ! و عند كلِّ إصابةٍ للهدف ردّد : " و ما رميتَ إذ رميتَ و لكنّ الله رمى " فاكفر بحولك و جهدك و قوتك ، و آمِن بالله وحده ، الذي منحك هذا التوفيق و السداد .

و على الأحبّةِ المشرفين الكبار ، أن يزرعوا هذه المعاني فيمن تحتهم من المشرفين الصغار و من الطلاب ، عليهم أن يُفهِموهم أنه تكليفٌ شديد الوطأة ، و في نفس الوقت .. و حتى يحصل التوازن .. عليهم أن يُفهِموهم أنه من عمل و صبر و احتسب و

تضرّع إلى الله طالباً التوفيق و الإعانة فإن عاقبته محمودة و نهايته إلى خيرٍ بإذن الله و الأجر عظيم .

و أقترحُ أن يُصار في تعزيز هذه المعاني إلى الجانب التطبيقي ، فهو أرسخُ في النفوس و أوقر في القلوب ! و من ذلك – لا على سبيل الحصر - :

١. أن يُرهَق الطالب – خصوصاً طلاب الصف الثالث الثانوي - ببعض المهام التي من عادتها إرهاقُ المشرفين ، كأن تكلف مجموعةً من طلاب الصف الثالث الثانوي بالإعداد لرحلة مبيت ، من حيث الوجهة و السكن و البرامج و أعمال اللجان و تنظيم العمل و متابعة سير الرحلة ، على أن يكون التوجيه من المشرفين – لأن الطلاب سيحتاجونه – على شكلِ عناوين كبيرة دون خوضٍ في التفاصيل ، حتى و إن حصل بعضُ الإخفاق ، فإن المقابل - الذي هو تعزيز معنى كون الإشراف تكليفاً ثقيلا - سيكون مقابلاً ذا ثمرةٍ عظيمة ! و عليهم أن يتحملوا هم تبعة الإخفاق أمام الطلاب ، و إن لم يحصل إخفاق فإن التعب و النصب الذي سينالهم أظنه سيكون كافيا في تعزيز هذا المعنى في نفوسهم .[٩٨]

٢. كذلك .. فكّر في أن تجعل أحد الطلاب – ممن تودّ أن تزرع فيه هذا الأمر – يواجه إحدى المشكلات المتعلقة بالحلقة ، اجعله يواجهها لوحده أو اجعل أحد أقرانه يشاركه ، فإذا تأزّم الأمر و أعيته الحيلة و أحسّ أن صبره قد نفد فتدخّل أنت و أنقذ الموقف ، و احذر أن تكون هذه المشكلة من النوع الذي لا يقبل الاجتهادات ! إني أعظك أن تكون من الجاهلين .

إنما ستجدُ مشكلاتٍ تقبل مثل هذه التجارب و مثل هذه المغامرات ، على سبيل المثال كلّفه أن يبحث يوم الاثنين عن استراحةٍ لبرنامج الأربعاء ، و إذا أردت أن تُصعّب المهمة من أجل تربيته فاشترط في الاستراحةِ شروطاً معيّنة لا تتوفر بشكلٍ سريع ، و عندما لا يجد البُغية اجعله يُتبع الاثنين بالثلاثاء ، و

---

٩٨) من المهم ألا يكون التكليف في وقتٍ لا يناسب ، كقرب موعد الاختبارات مثلاً ، ومن المهم أن تكون الرحلةُ ليست بتلك الأهمية ، و أن تكون مدتها تناسب حال من سيقوم بأمرها (يومان – ثلاثة أيام) .

عندما لا تتيسر الاستراحةِ فلا مانع من إلغاء البرنامج ، و إن خشيتَ أن تحصل مفسدةٌ جرّاء ذلك (سواءً على نفسية الطالب أو على برنامجك) ، فبالإمكان أن يكون البرنامج نزهةً برّيةً كبديلٍ مثلاً .

٣. كلّف الطالب بإعداد أحد البرامج ، على أن يكون البرنامج ثقيلاً .. بحيث يحتاج إلى إعداد متأنٍّ و مُسبق ، و اترك له الحبل على الغارب ، اجعله – و من معه – يتكفّل بكل شيء من بداية البرنامج حتى نهايته ، حتى مسألة ضبط الطلاب ، لا تتدخل أبداً !

٤. اجعله يشارك في مرور الطلاب - إن كنتم تعتمدون نظام المرور - لمدة أسبوع مثلاً (أو ما تراه مناسبا) و ليتخلل ذلك بعض المشكلات التي تستوجب شدّة التكليف عليه ، اجعله مرّةً يمرّ طلاباً متباعدين في السكن ، و اجعله مرّةً أخرى يمرّ الطلاب على دفعتين نظراً لنقص المشرفين ، و اجعله ثالثةً يقوم بمهمة توزيع الطلاب على السيارات بعد إحدى الرحلات مراعياً – هو – في ذلك مساكن الطلاب !

من النماذج الأربعة أعلاه ، يتّضحُ أن المراد هو إرهاق الطالب بمهام المشرفين حتى يُدرِكَ حجم المسؤولية ، فلا يخوض هذا الخضمّ إلا و قد صارع أمواجه ، فصرعها مرة و صرعته مرات ، و كل ما يتحقق به هذا الهدف فعليك به ، مع الإحاطة بالنتائج و العواقب واستحضارها حتى لا يحصل مكروه . ومثل هذا كثيرٌ في السيرة لمن تأمل .

و هل تخبره بعد أداء مهمته أنك فعلت ذلك ليستشعر المسؤولية و صعوبة التكليف ؟ الجواب عليه راجعٌ إليك ، و هو يختلف من طالبٍ إلى آخر، و أنت أدرى بحال طلابك .

- **المفهوم الثاني : الإشراف نهاية التحصيل و بداية العطاء .**

و هذا مفهومٌ واهٍ ، يظن بعضُ من يصلُ إلى هذه المرحلة أن التحصيل و الارتقاء بالذات – في شتى المجالات – ليس من سماتِ هذه المرحلة ، إنما هو متعلقٌ – كما يظن – بالمرحلتين السابقتين (المتوسط و الثانوي) فتجده يُهمِلُ حفظ كتاب اللّه إن لم يكن أتمّه ، أو يهمل مراجعته إن كان قد أتم حفظه ، و فوق ذلك يربأ بنفسه أن يحضر

مجالس العلم أو المحاضرات العامة ، و غايةُ ما يفعله هو أن يملأ سيارته بأشرطةِ الأناشيد و القصائد الشعبية ، و هذا مؤداه إلى السقوط ! و الأشدُّ من ذلك و الأنكى – وهو إفراز لمثل هذه الحالة – أن يُحاربَ من يتميّز من الطلاب خشيةَ أن يتفوق عليه ، فهو لا يريدُ أحداً من الطلاب أعلى منه منزلةً و فهماً و ثقافةً ، بل يريدهم كلهم عالةً عليه ، فباللّه عليك كيف يستقيمُ هذا ..؟ لا يرغب في التحصيل و لا يرغبُ في الوقتِ نفسه أن يأتي من يتفوق عليه ! مُنتهى الدناءة و الظلم و اللّه ..!

من المهم أن نفهم أنّ مرحلة المتوسط و مرحلة الثانوي يغلب فيها جانب التحصيل و التلقي على جانب العطاء بل لا وجود فيها للعطاء من قِبلِ الطلاب إلا ما ندر ، أما مرحلة الإشراف فهي مرحلةٌ يجتمع فيها التحصيل مع العطاء ، فأنت تبحث و تطلب و تحصّل من جهة ، و تعطي و تنتج و تبُثُّ من جهةٍ أخرى ، و المُفترضُ أن يكون منسوبُ التحصيل و التلقّي و التنمية الذاتية أعلى من منسوب العطاء و التوجيه ، لكن قد يتعذّر هذا لضيق الوقت !

و من ظنّ أن المرحلة الجامعية هي للعطاء فقط دون التحصيل و التلقي فقد أساء الفهم و حاد عن الطريق . و كم رأينا من شابٍّ جامعيٍّ ألقى المعرفةَ خلفه ظهريا ، فلما اشتدّ الطلبُ عليه و أردنا منه كلمةً أو درساً أو موعظةً ، أخذ يتلفّتُ ذات اليمين و ذات الشمال و هو يقول بلسان الحال : لستُ بصاحبكم !

بل في إحدى المرات كنّا على كثبان "الثمامة" مع طلاب المرحلة المتوسطة ، و كان البرنامج عبارة عن مظاريف توزّع على الجميع ، و كل مشاركٍ يلبّي ما يُطلَبُ منه في هذا المظروف .. تفاجأتُ بأحد المشرفين أخذ بيدي و قال : لا أستطيعُ تلبيةَ ما طُلِبَ مني و لا أريد أن أحرجكم مع الطلاب ! ظننتُ لأول وهلةٍ أن قَدَرَهُ كان نشيداً و أنه يرى أن صوته نشازٌ كما يحدث مع الكثير حين يُطلَبُ منه هذا الطلب .. فقلتُ له : و ما المطلوب منك ..؟ قال مكتوب داخل المظروف : تكلم عن أحد العشرة المبشرين بالجنة ! !هـ

يا لَخيبةِ الأمل ..!

و لا أبو بكر ..؟! و لا حتى عمر ..؟؟!

يحزنني أن يصل حال بعضِ المشرفين من الضعف إلى هذه الدرجة ، و السبب هو ضعف التأسيس أولاً فيما قبل الجامعة ، و ثانياً الالتفات إلى العطاء دون التحصيل في المرحلة الجامعية ، و أعني العطاء بمعناه الواسع (المرور – إعداد البرامج – إقامة الرحلات ....إلخ) و إلا فبعض أنواع العطاء قد لا يقوى عليها المشرف كإلقاء الدروس و استغلال بعض الأحداث للتعليق عليها و ما إلى ذلك ! بل وجدنا بعض المشرفين و منهم مشرفون كبار لا تستقيم ألسنتهم على قراءة القرآن ، و لا يستطيعون إقامة حروفه – إي و الله – و هذا حدٌّ من المفترض أن نتفق جميعاً على عدم النزول عنه ، و الله المستعان .

و أوصيك - حتى نخرج من هذا المفهوم الخاطئ – ببعض الأمور :

١. أن نزرع في الطلاب أن المعرفة و التحصيل لا تتوقف بحال ، إنما من المحبرة إلى المقبرة ، و من المهد إلى اللحد .

٢. أن نكون قدوةً لهم في ذلك ، إن كنت ممن يقرأ فأحضر معك كتبك في الرحلة أو حتى وقت الحلقة و انشغل بها (ولو بوقتٍ يسير) ، و اقرأ عليهم منها ، و أخبرهم ما جنيته من فوائد ذلك الكتاب ، وكذلك ما جنيته من الكتاب الآخر .

٣. أن نحفّزهم على القراءة و التحصيل و حضور مجالس العلم ، و أن نرشدهم إلى الكتب التي تناسبهم أو على الأقل نربطهم بمن يستطيع إفادتهم ، و لا حرج في أن تكون البدايات بالقصص القصيرة و الروايات الهادفة حتى نحبب إليهم القراءة ، فالقراءة من أهم ركائز التحصيل ، بل هي أهمها .

٤. من أجمل الأفكار التي طبقناها ، أننا جعلنا وقتاً في الرحلةِ للقراءة (نصف ساعة – ساعة) دفعةً واحدة أو موزعة ، نُحضر معنا حقيبة مملوءةً بالكتبِ من شتى الفنون ، و يختار كل طالبٍ ما يميل إليه ، و من ثم ينجزه في الرحلة .. بل أذكر أننا في إحدى الرحلات الطويلة وضعنا تقييماً خاصاً بقراءة الكتب ، فمن قرأ أكثر يحصل على درجاتٍ أكثر دون أن نستقطع وقتاً للقراءة ! لقد كان شيئاً مذهلاً و رائعاً و إن كان بعض المشرفين تأذى لأنه رأى أن جوّ "الباص" أصبح جادًّا بسبب انهماك الطلاب في القراءة و انشغالهم عن الصيحات و الأهازيج ، و المفترض أن يكون جوّاً مرحاً لطيفا ..

في نظري .. كانت تجربةً رائدة تحتاج فقط إلى تنظيمٍ و ترشيد .

- **المفهوم الثالث : الإشرافُ نضوجٌ في العقل و تعالٍ على الغير**[٩٩]

و لا و اللّه ما هو بذاك ! فكم من مشرفٍ خرَّ عقله صريعاً أمام عقول طلابه ، إن تحاورَ هو و أحدُ طلابه في ميدان من ميادين العلم أو الفكر أو التربية أو الأدب أو غيرها وجَدَ أنه مخدوعٌ بعقله ، ظنّهُ ناضجاً يفيض بالفهم و الحنكة فإذا هو خلاف ذلك !

و أشدّ منه .. مَن تعامى عن هذه الحقيقة ، و عاند و استكبر ، و أصرّ على أنه فريد عصره و وحيد دهره و نسيج وحده ! و لا تأتي المصائب إلا من هؤلاء ، منهم الغالي و منهم المقتصد ، لكن ليثق الجميع أن العقل كلما نضج فإنه يربي في صاحبه خلق التواضع و يزيده منه ، و من أظهر علامات ضمور العقل التعالي و الكِبر .

و أدهى من ذلك و أمرّ .. أن يكون التعالي على شخصٍ من أقرانه ، بل زاد بعضهم الجُرعة فتعدى أقرانه إلى من هو أكبر منه ! و هذا مكرٌ مِن مكر الشيطان ، و تلبيسٌ من تلبيسِ إبليس ، فقد يُستساغ أن تتعالى على صغير ، أما أن تتعالى على كبير .. فأيّ شيءٍ هذا ..؟

و ما زلتُ أقِفُ على صورٍ مستعظمةٍ من هذا المفهوم الخاطئ ، بعضها يُكدّر الخاطر ، و بعضها الآخر دليلٌ صارخٌ على المغالاة في رسوخ هذا المبدأ الخاطئ عند صاحبه ، مما يعني صعوبةً شديدةً في استئصاله ، و مما يعني نفوراً شديداً من المشرفين و الطلاب .

و إليكم بعض هذه الصوَر حتى يتضح القصد :

---

٩٩) قد يجتمعان و قد ينفصلان ، و المعنى : أن أحدهم قد يرى أنه لما صار مشرفاً أصبح ذو عقلٍ ناضج فيلزمه – كما يظن – أن يتعالى على الطلاب ! فهذا قد جمع بين السوءتين ، و قد يظنّ أحدهم أن عقله قد نضج دون أن يتعالى و له علامات من أظهرها كثرة الاقتراحات و كثرة النقد و كثرة الاعتراض على قرارات المسؤول ، و الهدف من ذلك كله لفتُ الأنظار إليه .. لا يريد بذلك وجه اللّه !! وقد يتعالى أحدهم دون أن يصاب بحمى النضوج ، و هذا نادر جدا .

الصورة الأولى : أحدهم انتقل إلى المرحلة الجامعية و أضحى مشرفاً في حلقته التي نشأ فيها ، فما كان منه في أول أمره إلا أن طلب من بقيّة المشرفين أن لا يُمازحوه بكلامٍ أو أفعالٍ تُسقط هيبته أمام الطلاب ، و كلما همّ أحد أصحابه القدامى من الطلاب بمداعبته أو المزاح معه نظرَ إليه شزراً ، و لسان حاله : إياك أن تُسقط هيبتي ! وهو بالأمس يئن من العقاب الرياضي ، و يُرمى بثيابه في المسبح ، و يوبّخه مشرفه أمام الطلاب لأنه قذف بالكرة خارج أسوار الاستراحة .. فما الذي غيّره ..؟ إنّها حُمّى النضوج !

الصورة الثانية : أحدهم – الآخر – انتقل إلى المرحلة الجامعية ، و لحِق بقوافل المشرفين ، وهو لا يستحق ..! لكن قدر الله نافذ ! حلّت الرحلة الأولى يوم الأربعاء ، في أول الفصل الدراسي[١٠٠] ، و طلبَ – هو - من مسؤول الحلقةِ أن يكون مسؤولاً عن البرنامج الرياضي ، فوافق المسؤول و أعطاه كامل الثقة ، لكنّه خيّبَ الآمال .. أمر الطلاب بالاصطفاف ، و أخرج ثلاثةً منهم زاعماً أنهم خالفوا التعليمات و الأنظمة ، و بدأ يُنزِل عليهم العقوبات وهو يُظهر الشدّة و قوّةَ البأس في مشهدٍ لا تملك معه إلا أن تقول : قبّح الله صنيعك ! يا رجُل .. ما كنّا لنعاقب إلا في أضيق الحالات ، و ما كان العقاب بهذه الصورة القبيحة المقززة .

بقيَ أن تعلم أن أحد الطلاب الثلاثةِ كان مستجداً ..! حينها تتساءل و الأسى يلُفُّك .. ما الذي جرّأك أيّها الصّفيق !!؟ إنها حُمّى النضوج !

الصورةُ الثالثة : أحدهم – الثالث – دخل إلى المسجد منتصف العصر و خلفه عددٌ من الطلاب كانوا معه في سيارته ، لتوّه دخل المسجد .. اتجه مباشرةً إلى المكتب الأمامي حيث تحلو الأحاديث و يطيب النقاش ، وجد "صاحبنا" على المكتب "محمداً" المسؤول عن الحلقات العامة ، لا رابط بين الاثنين في العمل الإداري ، كلٌ منهما يتبع إدارةً مستقلة ، بدأ صاحبنا يتضجّر من أمرٍ ما يتعلق بالحلقة .. رقّ "محمدٌ" لحال صاحبنا فالتفت إليه و قال : أقترح عليكم من أجل علاج هذه المشكلة أن تعملوا كذا و كذا

---

١٠٠) و مثل هذه الرحلات و غيرها من الرحلات تجعل مثل هذا المشرف على المحكّ ، فمن خلالها يستبين لنا من هو على الحقيقة ، و معرفتنا لطباعه الجيدة يوم أن كان طالباً يجبُ ألا تجعلنا نستعجل في الحكم عليه مشرفاً.

. التفت صاحبنا إلى "محمد" و أخذ يرمقه بنظراتٍ لُغتها الازدراء و التحقير .. ثم قال : مثلُك يؤخذ منه ..؟

شُدِه "محمدٌ" بما سمع ، فطلب من صاحبنا أن يعي ما يقول ، فبادره صاحبنا : أتظنّ أنك ستعمل يوماً ما مشرفاً مع "الشباب" ..؟ إنّك أقلُّ من ذلك !

عجِب "محمد" من كلام صاحبنا ، و ضاق به ذرعا ، و بادره وهو يخفي غضبه : كيف لك أن تقول مثل هذا ..؟ فكان جوابُ صاحبنا حاضراً سريعا : إنني أفهمُ جيّداً و أعرفُ من يصلح و من لا يصلح ، و علاقتي الجيدة بالمسؤول الأول عن نشاطات الجامع ، أفادتني في ذلك .

بقيَ أن تعلم أن صاحبنا كان أصغر من "محمد" ! بل كان في سنته الإشرافية الأولى !!

ما الذي جرّك إلى هذا أيّها الرّقيع ..؟ إنها حمّى النضوج !!

الصورة الرابعة : أحدهم – الرابع – لا يتورّع من نقد الطلاب و بعضِ تصرفاتهم دون سببٍ مُقنع ، بل لا يحضرُ اجتماعاً لمشرفي الحلقة إلا و يرفع لواء الاعتراض ، يتشبّثُ برأيه بشكلٍ عجيب ، حتى لو خالفه كل من أمامه ، ينافح عن رأيه بلا هوادة ، جهِل المسكين أن النبي ﷺ قال : (المؤمن يألف ويُؤلف، ولا خير فيمن لا يَألف ولا يؤلف، وخير الناس أنفعهم للناس)[١٠١] ، فما أجمل السماحةَ و اللّه ، تنازل عن رأيك من أجل وداد القلوب و صفاء النفوس .. قد تقول : و لم لا يتنازل المسؤول عن رأيه هو ..؟ أقول لك : المسؤول أكبر منك سناً و أرسخ تجربةً أوّلا ، و ثانيا ما سيحصل من تبعاتٍ جراء القرار المُتّخذ سوف يتحملها المسؤول و لن تتحملها أنت لأنه هو واجهةُ الحلقة من دون الجميع ، فمن الظلم أن يتحمل تبعات قرارٍ تمسّكت أنت بتنفيذه ! فإن أصررت على المخالفة فما أراك إلا مُصاباً بلوثةِ النضوج ! فاترك عنك هذا التعالي ..!

و بعد هذه الصور القاتمة ، ماذا يجب علينا حتى نحاصر هذه الحمّى ..؟ و ما السبيل إلى علاجها ..؟

أجمل الجواب في الآتي :

---

١٠١) صحيح الجامع ، حديث (٦٦٦٢) .

١. ذكرتُ في موضعٍ سبق ، أنه من المهم أن نجعل للطلاب –خصوصاً طلاب الصف الثالث الثانوي – يداً في صناعة القرار ، أو على الأقل صناعة بعض القرارات ، فهذا سيخفف كثيراً من حرارة هذه الحمى ، ذلك أن الطالب ما إن يلتحق بركاب المشرفين حتى يبحث عن إثبات شخصيته حتى يعلم الجميع أنه مشرفٌ قد نضج عقله و استوى حبّه ! فتخرج لنا الصور أعلاه ، فلو جعلناه يشارك في صناعة القرار لساهم ذلك في تخفيف هذه الحمى ؛ لأنه شعر بشيء من التشبّع ، و أنا لا أزعم أنها ستزول ، إنما أؤكد أنها ستخفف وطأتها .

٢. أن يكون المشرفون قدوةً حسنة ، و ذلك بنزولهم إلى الطلاب ، و التواصل معهم دون رسميّة أو مثالية ، و عليهم تقبّل المزاح منهم حتى و إن قسوا أو تجاوزوا ، فليس من الصواب أن نرفض المزاح[١٠٢] ، بل علينا أن نوجهه و نرشّده ، و من المهم الاعتراف بقدراتهم ، و كذا الاعتراف بالمجالات التي يتفوقون فيها علينا ، و الاستفادة منهم في ذلك ، و الواجب أن يكون الاعتراف بقدراتهم واضحاً أمام الجميع ، و كذا الاستفادة مما يتفوقون به علينا ، و لا يكن ذلك على سبيل الحياء و التخفي ، و تأمل قول موسى – عليه السلام – عن أخيه هارون معترفًا و منصفًا : (وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا)[١٠٣] فمن المؤسف أن يرغب المشرف أن يستفيد من تلميذه في أمر ما و لا يقوى على ذلك لحيائه أو استعلائه أو لغير ذلك ، فهذا شعورٌ بالنقص ، فباللّه عليكم أي شيء يمنع تفوق الصغير على الكبير في بعض المجالات ؟ أيها الأحبة .. إننا إذا عملنا بهذه النقطة نكون قد ألغينا الصورة النمطية للمشرف عند بعض الطلاب ، فبعضهم يرسم في ذهنه أن المشرف شخص رسمي لا يقبل الضحك ، و لا يقبل المزاح ، ينظر إلى الطالب بطرف عينه ، متعالٍ يرى أن الحق دوماً معه ، و سبب هذه الصورة هو فعلاً وجود بعض المشرفين الذين يتعاملون بهذه الطريقة ، فإذا تعاملنا مع الطلاب بخلاف ذلك نكون قد قضينا على هذه الصورة ، و بالتالي يأخذون و يعملون بالصورة الصحيحة .

---

١٠٢) المزاح باللفظ ، أما المزاح باليد فابتعدوا عنه ما استطعتم .

١٠٣) سورة القصص : ٣٤

٣. إذا أخطأت أمام الجميع فاعتذر أمام الجميع ، بل إن لم تخطئ فتعمّد الخطأ و اعتذر ! قد تعجب ..! و اللّه يا أخي إن الاعتذار يصنع الأعاجيب .. يربّيك أنت أولاً على الرجوع إلى الحق ، و يربّي طلابك ثانياً فيزرع فيهم أموراً و اللّه لا يزرعها غير الاعتذار ، بل و تعظم أنت في أعينهم و في نفوسهم ، و تمسحُ بلحظةٍ اعتذارٍ واحدة ما في عقول طلابك من الصور السيئة عن الإشراف و المشرفين ، و تكسر بهذا كل صور التعالي التي قد تهيمن على بعض المشرفين معك . فـ اللّه اللّه في هذا الصنيع !

٤. ازرع – و بكثافة – في المشرفين الجدد قضية النزول للطلاب و عدم التعالي عليهم ، و ذكّرهم بين الحين و الآخر أن التعالي بكل مظاهره و نتائجه يسيء لسمعة الحلقات و مجامع الخير ، و هذا يؤدي بالضرورة إلى الإعراض و النفور من قِبل الطلاب ! و هذا نوعٌ من الصدّ عن سبيل اللّه لمن فقهه ، و كلّما رأيت مظهراً من مظاهر التعالي – أيها المسؤول – من قِبل أحد المشرفين فعالجه بشكلٍ سريع ، عالجه عند الطرفين كي لا تخسر أحدا ، انصح المشرف أوّلاً فإن أقرّ بالخطأ فاجعله يتواصل مع ضحيته و يعتذر له ، و إلا فاحتسب الأجر من اللّه و بادر أنت بالاعتذار للطالب من هذا التصرف الذي صدر من المشرف ، و أبشر بالأجر !

- **المفهوم الرابع : غاية الإشراف أن تتملّق قلوب الطلاب و تكسبَ ودّهم**[١٠٤] .

و هكذا بعض الأحبّة المشرفين .. يقضي وقته في استمالة قلوب الطلاب و يزرع في دواخلهم حُبّه بالإحسان إليهم و حسن التعامل معهم ، و هذا أمرٌ حَسَنٌ في الجملة لولا بعض آفاته ، و مِن آفاته :

١. أنه يتحاشى مواجهةَ الطالبِ بخطأ اقترفه[١٠٥] ، فلا هو يقوى على الإنكار و لا على التوجيه ولو بشكلٍ غير مباشر ؛ لأنه يخشى – إن هو فعل ذلك – أن

---

١٠٤) على النقيض من بعض الصور السيئة أعلاه .

١٠٥) أي خطأ كان ! ليس بالضرورة أن يكون خطأً شرعيًّا يطاله الإثم باقترافه ، بل هناك أخطاء كثيرة يمر بها الطالب في حلقته كضعف التفاعل و الحضور و إهمال الحفظ و غير ذلك .

يخسر محبة الطالب له ، فبعضُ الطلاب يتبرّم من التوجيه و النصح و إن كان على خطأ ، و قد جاء عن أبي ذرّ – رضي اللّه عنه – أنه قال : " ما زال بي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى ما ترك الحق لي صديقا " ! و هكذا فليكن حال المشرف حين يرى الخطأ .. يدفعه بالتي هي أحسن ، و ذلك بحسب حجم الخطأ و حال المخطئ و الظروف المحيطة بالخطأ ، و كمالُ المحبّةِ أن يوجّه المشرفُ تلميذَه إن أخطأ و أن يعظه إذا حاد عن الصراط السويّ ! حتى و إن أدى ذلك إلى استياء المتربي ، فرضا اللّه هو الغاية .. !

٢. أنه يؤدي به إلى التبسط المذموم .. و الذي بدوره يؤدي إلى التجاوز في حقّ المشرف سواء بالكلام أو بالفعال ، و المؤلم أن يكون هذا التجاوز على مرأى من الجميع دون نكيرٍ من المشرف المُتجَاوَز في حقّه أو من بقية المشرفين ، و بهذا .. تسقط قيمة المشرف عند البعض .. و تسقط توجيهاته .. فـ لوموا أنفسكم حينها ..

٣. أنه لا يوظّف هذه المحبة في حلّ مشكلاتهم و استنطاق همومهم و الارتقاء بأهدافهم و رعاية مواهبهم ، و على هذا .. يكون وجود المشرفِ حينها بلا هدف واضح ! إنما غايته الأُنس و الترويح و الخلطة ، هذا إذا لم يوغل في الحبّ بلا هدايةٍ فيخرج به إلى دائرة الخطأ ..

٤. أن هذه المحبّة قد تكون وبالًا على المشرفين .. فيحصل بينهم التحاسد من أجل هذا ، فتجدُ بعضهم يسيء الظنّ بالمشرف المحبوب إساءةً لا تُحتمَل و ربمّا لفّق عليه جمعًا من المواقف و التُّهَم مع أن الواقع خلاف كلّ هذه التهم و الظنون[١٠٦] ، و هذا التحاسد آفةٌ قد تدمّر المحضن و ترمي به في الهاوية ، فيجب التعامل معه بحذرٍ و حكمة و سعة بال ، خصوصًا .. إذا طفا على السطحِ تنافسٌ بين مُشرِفَيْن فأكثر على كسب ودّ الطلاب .

---

١٠٦) كلامي هنا يتناول العلاقات النقيّة .. و المُنصِف لن يتعب في تمييزها عن غيرها من العلاقات الملدوغة ، و المشرف المحبوب صاحب العلاقات النقيّة يمكنك تمييزه بعدّة أمور ، منها : أن الطلاب في الجملة متفقون على محبّته ، و أيضًا تجده يوزّع اهتمامه بهم توزيعًا عادلا .

٥. و من آفات هذه المحبّة أنها قد تؤثر على طلاب المحضن حين ينسحب هذا المشرف المحبوب و يقرر الابتعاد[١٠٧] ، و المأمول .. أن يراعي المشرف المحبوب هذا الأمر .. و أن يراعي بقية المشرفين ذلك ، و أن يسعوا في تجاوز هذه الأزمة بإيجاد الحلول المناسبة ، و ليس هذا مقام تفصيل ذلك .

و اعلم أيّها المشرفُ الكريم .. أنه بقدْرِ محبّةِ الطلاب لك يجب أن يكون أثرك و توجيهك ، و لا ترضَ لنفسكَ دون هذا ، فإن فعلتَ و نزلت فقد قصّرتَ كثيرا .. فاعْلُ يا أخي .. اُعْلُ !

١٠٧) تكلمتُ في (اللّمع) عن هذا الموضوع بشيء من الإسهاب ، تحديدا في الخاطرة ٦٩ فلتُراجع (تجدها في موقع "حلقات").

اللوحة الثلاثون

عقابيل[١٠٨]

١٠٨) كتب لي محمد ورقةً تحوي أسئلةً و إشكالات تتعلق بحلقته ، فألهمني هذه !

يكون المرء أقربَ للحمى و المرض حين يتعرّضُ لأسباب ذلك ، و كلما احتاط لنفسه و جسده كان أدنى للسلامة و العافيةِ ! و كذا المحضن ..

و المحاضن كغيرها .. تنالُ منها المصائب و الشدائد ، و تبلغ منها ما تبلغُ من غيرها ، و أحيانًا يكون لهذه المصائب أثرٌ ممتدٌّ يطولُ علاجه بحسبِ طولِ امتداد الأثر !

و من هُنا .. كانت هذه العقابيل !

أخطاءٌ و مصائب يقع فيها المحضن قد كان بالإمكان تجاوزها و تجاوز آثارها لو أننا أدركنا خطورتها قبل أن نقع في حمأتها ! و هذه العقابيل ليست على نظامٍ معيّن ، إنما أكتبها من عفو الخاطر و إملاء البديهة ، وليست هي كلّ شيء .. إنما هي أشياء مِن أشياء و أشياء !

- **عُقْبُول** : حين تكثر القرابات بين طلاب محضنك فأعِد النّظر ! فالقرابات بين الطلّاب مدعاةٌ للتبسّط المذموم بينهم في المحضن وقد ينسحبُ هذا على بقيّة الطلاب ممن هم ليسوا من القرابات ، ثم قد يؤدي غيابهم الجماعي – بسبب المناسبات – إلى ضعف التفاعل مع البرنامج بسبب قلّة العدد ، و أيضًا .. استبعاد أحدهم بسبب سوئه قد يربك الوضع داخل المحضن و في المحيط العائلي ، و أخيرًا .. و بسبب سقوط الحواجز بينهم قد يكون بينهم من الهمس و الكلام ما يؤذن بولادة بؤرةٍ فاسدةٍ في حلقتك ! فارْعَ ..![109]

لا حرج في قبول القرابات لكن على نطاقٍ ضيّق و محدود .

---

١٠٩) حلقةٌ أشرفتُ عليها .. كان فيها خمسةُ طلاب بينهم رحِم ! يعني قرابة ربع العدد .. لو انسحبوا لاختلّ نظام الحلقة ..

- **عُقْبُول** : قِلّةُ أفراد المحضن تجعله على شفا الانهيار !

و هل المطلوب أن نحشرَ في المحضن من هبّ و دبّ ..؟ لا .. أبدًا ! إنما المطلوب أن نبلغ العدد الذي يتماشى مع إمكاناتنا و قدراتنا مع العناية بالانتقاء و اختيار العيّنات التي تتوافق مع معايير المحضن .

و من واقع تجربة .. وجدتُ أن في كثرة العدد حياةٌ للمحضن و برامجه ، و بالكثرة مع قوّة الطرح يكون المحضن في طريقه للنجاح !

و هل هناك تحديدٌ للعدد المناسب !؟ لا ! الأمر يختلف باختلاف القدرات و الإمكانات .. لكن في الأحوال الطبيعية لا يقلّ عدد الدفعةِ الواحدة عن سبعة طلاب و لا يزد على عشرة طلاب ، فيكون عدد أفرد المحضن من ٢١ – ٣٠ طالبًا .

و هنا نقطةٌ مهمة .. احرص على الموازنة بين المراحل في عدد الأفراد ، فهذا خيرٌ لك من أن تحقن مرحلةً بثلاثةَ عشر طالبًا و في الأخرى خمسة طلاب و في الثالثة طالبان أو ثلاثة !! فهذا الأمر سيصيب حلقتك بالربكة إن عاجلًا و إلا آجلا .

- **عُقْبُول** : تمييز الطالبِ بلا سببٍ وجيه يورثك المتاعب ! لمَ أهديته هديّةً دون غيره ؟ لمَ تهشّ و تبشّ له أكثر من غيره ..؟ لمَ تُكثِرُ من ذكره و مدحه ؟ لمَ تطلبه أن يكون بالقرب منك ..؟ لمَ تكلفه بالمهمات وتجعله في الصدارة مع وجود من هو أقدر و أجدر منه ؟ لمَ .. و لمَ .. و لمَ ..؟! هكذا تدور الأسئلةِ في أذهان الطلاب .. ثم تتحول إلى سوء ظن و كلامٍ فيه دَخَنٌ .. ثم إحنٍ و عداوات و أحزابٍ و شللية أنتَ موقدها و نافخها ! ثم تحاسدٍ و تقاطعٍ و تدابر ! و أخيرًا .. كلامٌ يدور عنك في الخفاء لو علمتَه لمادت بك الدنيا !

و على افتراض أن الطالب أهلٌ لهذا التمييز لما يحمله من قدرات و مواهب ، فاعلم – حينها – أن للتمييز حدودًا و ضوابطَ لا ينبغي للمربي أن يتعداها ، فإن فعلَ فقد برئت منه الذمة ، و مِن حدوده و ضوابطه :

١. أن يكون التمييز بقدرِ تميّز الطالب ، فلا غلوّ و لا جفاء .
٢. ألا يؤدي هذا التمييز إلى إهمال طالبٍ يحمل ذات القدرات و المواهب أو أكثر منها أو أقل منها بقليل .. و هنا المحكّ و الاختبار الحقيقي لتمييزك ![110]
٣. ألا يكون في التمييز تهمةً للمربّي كالقرابةِ و التعلّق و نحوهما .
٤. ألا يجرّ هذا التمييز – و إن كان حقا – إلى تحاسد الأقران أو حتى تحاسد طلاب المحضن، فإن أدّى إلى ذلك فالكفُّ أوْلى ، إذ مصلحةُ ائتلاف الأقران والمجموعة أكبر وأهم من مصلحةِ تمييز الطالب المتميّز .[111]

و اعلم أيها المربّي الكريم أن تصدير الطالب في المناسبات و المهمات و البرامج و تمييزه بهذا عن أصحابه يجعله يتشبّع بهذا ، و ليس بعد التشبّع إلا الملل و الفتور .. و قد يؤدي هذا إلى التراجع و الانسحاب ، فتكون قد أسأت إليه من حيث لا تشعر . و المربي الحصيف هو الذي يملك القدرة على أن يجعل الطالبَ يعيشُ أجواءً مختلفة و يمارسُ مهامًا متعددة تجدد عليه الأجواء و تبعث فيه النشاط !

و من أمارات نجاح المربي في قضايا التمييز .. أن يُشعِر المربي كلّ طالبٍ بأنه هو المتميز من بين الطلاب في المجال الذي يتميّز فيه حقًا (ما وجدت مثلك يا أحمد في الإلقاء – ما مرّ عليّ مثلك يا مهند في جمال الصوت – ما رأيت أشدّ

---

١١٠) خبرت حلقةً سافروا في رحلة و قسموا الطلاب على مجموعات ، و قام المسؤول بتعيين طالبٍ في الصف الأول الثانوي قائدًا لمجموعةٍ فيها طلاب يكبرونه سنًا .. و يفوقونه قدرةً !! صدمة !! و الغريب المريب .. أن الطالب جديدٌ على المجموعة ! ويلتاه !

١١١) و لا يعني هذا بحال إهمال الطالب المتميز و الإعراض عنه ، فللمربي الحاذق طريقته في الحفاظ على تميّز الطالب و تنميته .

منك إتقانا يا عليّ ..) و هكذا ! و تذكّر أنك - بهذه الطريقة - لن تعدم متميّزًا في محضنك إن رُمتَ الحق و العدل .. مع تذكير المتربي أن هذه الميزة و الموهبة هبةٌ من الله لو شاء لحرمه منها كما حرم غيره .. و هذا يقتضي شكر الله عليها و عدم التعالي على إخوانه .

- **عُقبول** : إن لم يسكن محضنك روحًا و جسدًا في الحاضنة .. فلمَ الإصرار ..؟

و أعني بالحاضنة هنا .. المسجد الذي ترتاده الحلقة عصر كلّ يوم ، و فيه يكون لقاؤهم و تُقام أنشطتهم .. هذا المسجد لم تختاره الحلقة إلا عن رضا من خلال معايير معيّنة ، و قد تختلّ إحدى هذه المعايير مع مرور الوقت .. و هذا الخلل يتعدى أثره إلى المحضن فيضعفه أو يقيّده[١١٢] ، و مع ذلك .. يصرّ المسؤولون عن المحضن على البقاء و الاستمرار في هذه الحاضنة رغم أن البقاء له مردودٌ سلبيّ .

و هذا الخلل قد يتمثّل في الإمام أو في المؤذن أو في جماعة المسجد أو في مرافق المسجد أو غير ذلك ! فإذا لم يعد للروح سكون فاختر الرحيل ، و ابحث عن مسجدٍ تسكنُ إليه نفسك ، و يسكن إليه من معك ، و لا تتأخر ! فالعمل في محيطٍ نظيفٍ خالٍ من المؤثرات له عاقبةٌ حميدة .

- **عقبول** : أحد المشرفين يكرهه بقيّة المشرفين و كلهم في ميدان واحد !

و هذا واقع .. تجدُ مجموعةً من المشرفين يتولّون أمور مجموعةٍ ما و معهم مشرفٌ لا يطمئنون إليه و لا تسكن نفوسهم إليه ، و ربما دار هذا الكلام بينهم أو بلغَ صاحبَ الشأن الذي يرجع إليه المشرفون في حلّ مشكلاتهم !

و هذا النفور من المشرف لا يخلو .. إما أن يكون بحقّ و إما أن يكون بباطل ، و إليك بيان الموقف في كل ذلك :

---

١١٢) لابد من التفريق بين خلل مؤقت و خلل يطول أمده .

١. فإن كان النفور بحقّ .. كأن يكون المشرفُ غير ناضجٍ أو يقوم بتصرّفات تسبّب الحرج للمشرفين أو تسيء إلى سمعة المحضن[١١٣] ، ففي هذه الحالة لا مناص من إبعاده حتى يصلح حاله و يعتدل أمره !

٢. و إن كان النفور بباطل ، فلا يخلو :

أ. أن يكون نفور المشرفين منه لأنه يقوم مقام الحق و يقفُ سدًّا منيعًا أمام أخطائهم و تجاوزاتهم و اجتهاداتهم ، ففي هذه الحالة يجبُ الإبقاء على المشرف و عدم تحييده عن العمل ؛ لأن في وجوده مصلحةٌ كبرى .

ب. أن يكون نفور المشرفين منه لأمرٍ آخر دافعه الحسد أو مواقف شخصية قديمة أو ما يشبه هذا .. فالأمر هنا محلّ اجتهادٍ و نظر ، إن شاء صاحبُ الشأن حيّده إن رأى في بقائه مفسدةً كبرى كالتقاطع و التهاجر و تحزيب الطلاب و همود الحلقة ، و إن شاء أبقى عليه إن رأى أنه بالإمكان علاجُ هذه المشكلة أو رأى أن في إبقائه مصلحةً أكبر ، و لنا في عزْلِ عمر بن الخطاب – رضي اللّه عنه – لسعد بن أبي وقّاص – رضي اللّه عنه – عن الكوفةِ على جلالة قدره و علوّ كعبه أسوة حسنة لمن رأى العزل[١١٤] ، فإن عمر – رضي اللّه عنه – قد عزل سعدًا رغم أن الذي اشتكى منه قليل ، و لم تكن شكايتهم حقًّا إنما كانت ظلمًا و جورا ، و أكّد عمر – رضي اللّه عنه – هذا الأمر في وصيته عند موته بقوله عن سعد : (فإني لم أعزله عن عجزٍ و لا خيانة)[١١٥]

و كذلك لنا في كلام عبداللّه بن عمر – رضي اللّه عنهما – لعثمانَ بن عفان – رضي اللّه عنه – الذي رواه ابن أبي شيبة أسوة حسنة لمن اجتهد فلم يرَ العزل ، قال ابن أبي شيبة في المصنّف :

---

١١٣) على سبيل التكرار .

١١٤) تجد سبب عزله في صحيح البخاري ، حديث رقم (٧٥٥) عن جابر بن سمرة .

١١٥) رواه البخاري ، حديث رقم (٣٧٠٠) .

عن عبد الله بن عمر قال : قال لي عثمان وهو محصور في الدار : ما تقول فيما أشار به عليّ المغيرة بن الأخنس ؟ قال : قلت : وما أشار به عليك ؟ قال : إن هؤلاء القوم يريدون خلعي ، فإن خلعت تركوني ، وإن لم أخلع قتلوني . قال : قلت : أرأيت إن خلعت أتراك مخلدا في الدنيا ؟ قال : لا . قلت : فهل يملكون الجنة والنار ؟ قال : لا . قلت : أرأيت إن لم تخلع ، أيزيدون على قتلك ؟ قال : لا . قلت : أرأيت تسن هذه السنة في الإسلام كلما سخط قوم على أمير خلعوه ، ولا تخلع قميصا قمصكه الله .[١١٦]

و هذا التوجيه مني على افتراض أن ابن عمر – رضي الله عنهما – لم يكن يعلم أن رسول الله ﷺ قد نهى عثمان أن يخلع هذا القميص – يعني الخلافة - فابن عمر رأى أن في بقاء عثمان و امتناعه عن الخلع مصلحةً كبرى ، و لا شكّ أن دعاوى الخارجين عليه باطلةٌ في الجملة . فعلى صاحبِ الشأن حين يجد شكايةً على أحد المشرفين يكون دافعها الباطل أن ينظر في الأمر و يجتهد في إصابةِ الحق ، و لله الأمر من قبل و من بعد .

١١٦) رواه ابن أبي شيبة في المصنف ٨ / ٦٨١ ، طبعة دار الفكر .

اللوحة الحادية و الثلاثون

وداعًا للاجتهادات المُرتجَلة

عندما تكون راعياً تسوسُ تحتك عشرين طالباً، يزيدون قليلاً أو ينقصون، فأعيذكَ أن تكون ممن يُهملُ أفراد حلقته، فلا يضعُ نصب عينيه هدفاً يوصلهم إليه، إنما يتركهم كـ ريشةٍ في مهبّ الريح .

إن المحضن و الحلقةَ التي تسير بلا خططٍ ولا أهداف، سينتهي بها الأمر إلى لا شيء، وجودٌ كالعدم .. لا قيمة له .

إنك عندما تتأملُ في مخرجات الحلقات، تجدُ التباين الكبير، والبون الشاسع بين هذه المخرجات و تلك ، فمنها القويُّ المبارك، ومنها الضعيف المتضعضع، فإذا تأملت الأسباب وجدت أن من أهمها وجود خطةٍ متكاملة لبناء الطالب في شتى الجوانب عند حلقة، وانعدامها أو ضعفها عند الحلقة أخرى.

لا يخفى عليك – أخي المبارك – أن عدداً من الحلقات والمكتبات هي في الحقيقةِ خاضعةٌ لعقلِ مشرفها وآرائه، فإن كان راجحَ العقل، مُظفَّرَ الهمّة، ثاقب الرأي، كان وجوده بالنسبةِ لهم كالنعيمِ المقيمِ، وقد يطول النعيمُ وقد يزول، وبزواله تتردى الهموم، وتتهاوى الهمم، والسبب .. أن العقلَ المدبّر قد رحل .

وعندما يحلُّ محلّهُ مشرفٌ ضامرُ العقل، بليدُ الهمة، بادي الرأي، فإنه يهدمُ باجتهاده القاصر كلَّ ما مضى، ويدعو إلى هجران كثيرٍ من أفكار الماضي، بحجّةِ الرؤيةِ البعيدة، والنظرة النافذة، حينئذٍ تظهر علاماتُ التذمّر، وتصبحُ الحلقةُ كابوساً شاحباً مرعباً للطلاب، بعد أن كانت حلماً جميلاً هادئا . وربما قادَ هذا التذمّر إلى التسرّب والانسحاب، أو إلى ظهورِ أمارات السخطِ والغضب على القيادةِ الجديدة، وحينها لا تسل عن الضعْفِ والبرود في مناشط الحلقة، فكلُّ حلقةٍ لا تقوم على الثقةِ والوئام والود بين المشرف والطالب، هي إلى الأفول أقربَ منها إلى الوصول، وإلى التلاشي والضمور أقربَ منها إلى البروز والظهور .

إن هذه الاجتهادات من قبل المشرفين في أمورٍ لا تقبل الاجتهاد ، والارتجالية في اتخاذ بعض القرارات الخاطئة بسبب قصور الخبرات، لن تؤدي إلى خير، بل سيعيش المحضنُ بين شدٍّ وجذب، وبناءٍ وهدم، فذاك المشرف يضعُ هدفاً معيّناً ثم إذا انتصف في الطريقِ إليه وأوشك على قطع المفازة، تصدّى للحلقة مشرفٌ آخر وأمسك بزمام الأمور وثنى عِنان المسيرةِ و أعرض عن الهدف المنشود فتركه واتجه إلى هدفٍ آخر، حتى إذا أوشك على الوصول، تغيّب هذا المشرف وجاء مشرفٌ ثالث فألغى كل ما مضى في جلسةٍ عابرةٍ قاصرةٍ خائرة، و لربما كانت هذه الجلسةُ في نقدها للماضي وتقويمها له واستشرافها للمستقبل أوهنَ من بيت العنكبوت .

والمطلوب أيُّها القوم حتى نخرج من غيِّ هذه المتاهة، أن نتوقف قليلاً .. أن نتريّث .. أن نحرك عقولنا .. أن ندرك أننا مؤتمنون .. مسؤولون .. محاسبون .. موقوفون !

نحن مطالبون بعمل الأصلح لمن ولاّنا الله أمره، وليس من أداء الأمانة أن نجعل منهم حقول تجارب، و لنعلم أن الذمّةَ لا تبرأ بمثل هذا .

الواجب .. أن ترسمَ الحلقةُ خطوطاً عريضة، تجعلها كأهدافٍ رئيسة ومسلّمات لا تقبلُ المساس والنقد إلا من أهل الخبرةِ والتجربة من كبار المربين وأساطين التربية .

ولا يكن وضع هذه الأهداف والخطوط محض اجتهاد فرديّ، إنما توضعُ من قِبَلِ المربّين الذين طرقوا هذا المجال وسبروا أغواره، وذلك أدعى للوصول إليها وتحقيقها بشكلٍ ميسور، بعيداً عن المثاليّةِ الناعمة .

وعلى كلِّ مشرّفٍ أو مدرّسٍ تولى أمر الحلقة ألا يخرجَ عن هذه الخطوط العريضة والأهداف الرئيسة، إنما يبدأ من حيث انتهى صاحبه، دون تغيير ولا تبديل ولا جدال ولا مماحكة، وله أن يجتهد في الفرعيات التي لا تعرقل الوصول إلى الهدف، وله أن يجتهد في الوسائل والطرق، مع أنني أؤكدُ دوماً ألا يُقدِمَ المشرفُ على خطوةٍ إلا بعدَ أن يستشيرَ من يثق برأيه من أهل الشأن فذلك أدعى لبراءة الذمة، وسلامة العاقبة،

وعند حصول الخطأ في اتخاذ القرار فإن الحسرة والندامة أهون بكثير ما دمت قد استشرت من تثق برأيه .

ولستُ هنا بصددِ ذكر الطريقةِ المناسبة لصياغة الخطة ورسم الأهداف، إنما أقرر من خلال هذه اللوحة أهميّة التخطيط ووجود الأهداف، ويمكن لك أخي المبارك أن تستفيد من خطط الحِلَقِ والمحاضن الناجحة، فكثيرٌ منها ذات أهدافٍ رفيعة وخططٍ بعيدةِ المدى، مع الاستفادة من الوسائل المنتهجة في سبيل ذلك، والتي لابد من أن تكون مدرجةً ضمن الخطة ..

وحتى تدرك حجم التخبط الذي تعيشه بعض الحلقات ممن ارتضت الارتجاليةَ منهجاً لها، فسأذكر لك قصةً في جانبٍ واحد حدثت مع إحدى الحِلَق ..

تناقش المشرفون في اجتماعهم عن الدرس العلمي الذي سيشارك فيه طلاب الحلقة، طال النقاش في هذا الأمر، وانقسم المشرفون إلى قسمين : قسمٌ يرى أن الأفضل تنسيق درسٍ مع أحد طلبةِ العلم الذين يعرفون واقع الحلقات حتى تكون الاستفادة أعظم وأكبر، وحتى يكون التواصل معه أسهل خصوصاً في ظلِّ الخصوصية التي سيحظى بها الدرس، أما القسمُ الآخر .. فأراد أن يكون الدرسُ عند أحد العلماء الكبار .. حتى يستفيد الطلاب من سمت الكبار، ويعتادوا ثنيَ الرُّكبِ بين أيديهم، وبين هذين الرأيين ضاع المشرفون، ثم مالت الكفّةُ إلى الرأي الثاني .. خصوصاً أن عالماً كبيراً شهيراً سيشرعُ في درسٍ قرب المسجد الذي تقطنه هذه الحلقة . أحد المشرفين كان يعترضُ على هذا الشيء خصوصاً أن سبب ميلان الكفّةِ ورجحانها هو العاطفة .. وذلك عندما ضرب أحدهم على أوتارها مستشهداً بواقعِ بعضِ الحِلَقِ التي لا تنفكُّ عن دروس الكبار .. وضرب أمثلةً كثيرة.

وبعد مرورِ فصلٍ كامل .. أصبح الذين ينادون لهذا الدرسِ بالأمس يقولون : فلنترك هذا الدرس، فهو أكبرُ من طاقتنا، والطلاب صاروا يتهربون، لصعوبةِ الأسلوب،

وتعذّر الاستيعاب والفهم ! وضاع فصلٌ كامل بسبب الارتجالية المقيتة، وما ضرهم لو استشاروا وسألوا .. فـ إنما شفاء العيّ السؤال.

اللوحةُ الثانية و الثلاثون

خواطر في الاستقامةُ

- الاستقامةُ على صراط اللّه هي الغاية من الخلق و الإيجاد (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)[١١٧] و هي السؤال اللحوح و الدعاء المكرور في كلّ يومٍ و ليلة (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ)[١١٨] ، و هي أمر اللّه - عز وجل - للأولين و الآخرين (فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ)[١١٩]

و المعنى المراد : أن يلزم الإنسان فعل الطاعات ، و أن يترك المعاصي و الآثام !

و لزومها هو الفلاحُ في الدنيا و الآخرة ، و هي السعادة الأبديّة السمرديّة ، فهي جِماعُ الخير كلّه ، و لا قيمةَ للمرء في حياته و أخراه إلا بها !

يقول شيخ الإسلام - رحمه اللّه - : (أعظم الكرامة لزوم الاستقامة)[١٢٠]

و بعد .. هذا مطلعٌ مختصر ، و استهلالٌ قاصر .. و في بقيّة الخواطر أتناول شيئا من المفاهيم الخاطئة ، و الصور المغلوطة في مفهوم الاستقامة !

فهناك عددٌ من المفاهيم المغلوطة ، و الصوَر الخاطئة التي يتبنّاها عددٌ من الشباب تجاه مفهوم الاستقامة ، تحتاج إلى طول تأمل و نظر ، و السداد من اللّه وحده !

- من تلك المفاهيم الوبيئة : مفهوم (الأبيض و الأسود) إذ إن البعض يرى أنه لا سبيل إلى الاستقامة إلا بالتشكّل في قالبها دون زيادة أو نقصان ، فإذا حصل من الفرد جنوحٌ أو خطأ يعكّر صفو هذه الاستقامة .. فإنه يراه - بمنظوره القاصر - هدماً للاستقامةِ كلّها !

و هذا مفهومٌ قاصر ، و حيلةٌ إبليسيّة .. الهدفُ منها هدمُ الدين في داخلة الشابّ المؤمن !

---

١١٧) سورة الذاريات : ٥٦

١١٨) سورة الفاتحة : ٤ ، ٥

١١٩) سورة فصلت : ٦

١٢٠) نقلها ابن القيم – رحمه اللّه – عن شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية ، انظر : مدارج السالكين ، منزلة الاستقامة .

فترى الشاب - من هذه الشاكلة - حين يزيغ أو يقع في وحل الخطأ .. تراه يتحسّر على نفسه و يرميها بكلّ نقيصةٍ و مثلبة ، و يتهمها بالخديعة و النفاق ، و يردد في نفسه أنه ليس أهلاً للتديّن و الاستقامة ! ثم يرمي الدينَ خلفه ظهريّا .. متذرّعًا بتلك الحجة الواهية المتهافتة !

أرأيتَ ..؟

أرأيتَ لو أن كلّ رجلٍ تمسكَ بهذه الحجّة الخُداج المشوّهة .. أيبقى مسلمٌ على دينه و ملّته ؟! أبداً و اللّه .. و لا حتى أبو بكر - رضي اللّه عنه - !

فاعقل و تأمل أيُها الحصيف الفطِن !! ألم يقلِ اللّه (فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ)[١٢١] ..؟ ألا ترى أن الاستغفار هنا سببه هو ما اعترى الاستقامة من القصور !!؟ و هل يكون الاستغفار - يا حبيبي - إلا من الذنوب و الأوزار !!؟

فلو كان المستقيم لا يذنب .. فلمَ يرشده اللّهُ إلى الاستغفار ..؟

عبثاً ..؟

حاشاه سبحانه !

يقول ابن سعدي - رحمه اللّه - : (ولما كان العبد - ولو حرص على الاستقامة- لا بد أن يحصل منه خلل بتقصير بمأمور، أو ارتكاب منهي، أمره بدواء ذلك بالاستغفار المتضمن للتوبة)[١٢٢]

- و من المفاهيم التي يمتطيها بعض الشباب فترديهم في الهاوية ، هو المفهوم المهلهل المريض (الاستقامة استقامة الظاهر) و يا للحسرة ! فالبعض يُهَمهِم بهذا المفهوم بلسان حاله و إن لم يتفوّه به بلسان مقاله !

---

١٢١) سورة فصلت : ٦

١٢٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، ص٧١١ ، دار ابن حزم .

و الناس في ذلك - أعني في حالهم مع الظاهر - طرفان و وسط !

الطرفُ الأول : يجعل من الظاهر كلّ شيء ! فإذا رأى مَن أمامه يعفي لحيته و يرفع ثوبه ، فذاك هو الناسك العابد حقّا ! يرى فيه وليّ اللّه التقيّ ، و عبدَ اللّهِ النقيّ ، و حبيبَ اللّه الخفيّ ، و هذه سذاجةٌ عريضة ، و حُسنُ ظنٍّ بارد .. عالجه الفاروق أبو حفص عمر .. و ذلك حين سمع رجلاً يثني على رجل .. فقال له عمر على الفور : أسافرت معه ؟ قال : لا . قال : أخالطته ؟ قال : لا . فقال عمر - رضي اللّه عنه- : والذي لا إله إلّا هو ما تعرفه.[١٢٣]

و عن عبد اللّه العمري قال : قال رجلٌ لعمر بن الخطاب : إن فلان رجلُ صدق . فقال له عمر : هل سافرت معه ؟ قال: لا . قال: فهل كان بينك وبينه معاملة ؟ قال: لا . قال: فهل ائتمنته على شيء ؟ قال: لا . قال : فأنت الذي لا علم لك به، أراك رأيته يرفع رأسه ويخفضه في المسجد.[١٢٤]

فكأن الرجل – في الموقفين - أثنى على صاحبه من خلال ما ظهر له من القَسَماتِ و الملامح ! فحسَم عُمرُ الداء و عجّل بالدواء .. و بيّن أن العبرة ليست بالمظهر فحسب ! إنما الخلطة و السفر يصدّقان المظهر أو يكذبانه !

و ما أقبح أن يقتنع الشابّ في داخلة نفسه أن المظهر هو كلّ شيء ، و أن ما سواه قيمةٌ صغيرة ! فيطلق لحيته و يرفع ثوبه .. ثم لا يبالي ما فعل ! فهو كذابٌ حقودٌ أفّاكٌ يأكل لحوم الناس بالغيبة و البُهتان .. و لسان حاله : لحيتي تمحو أوزاري !

و يا لفرحة إبليس !

أما الطرفُ الثاني : فعلى العكس تماما ! و ما هم إلا ردّةُ فعلٍ لأولئك الذين ارتضوا بالظاهر دليلاً على الاستقامة ! فالطرفُ الثاني عندما رأى الطرف الأول يقدّس

---

١٢٣) الصمت لابن أبي الدنيا .

١٢٤) المجالسة وجواهر العلم للدينوري ، حديث (٧١٩)

الظاهر على حساب الباطن و رأى من تصرفاته ما يغيظ القلوب و يقرّح الأكباد من معاصٍ و آثام و خطل و ازورارٍ لا يعبّر عما يراه من ظاهرٍ جميل .. آثر أن يكفُرَ بهذا الغلوّ في المظاهر .. فوقَع هذا الطرف - أعني الثاني - في غلوّ مضادّ من حيث لا يشعر !! فاستبعد الشعائر الظاهرة من حسابات الاستقامة ، و قال ليس لنا إلا ما تخفيه النفوس ، أو ما ترمقه الألحاظ من طرفٍ خفيّ ، أما اللحية و رفع الثوب فهيَ للزمان الأول !

و كلا الطرفين على نقيضٍ غير مرْضيّ !

و الصّواب هو الوسط .. و الوسطُ هو عدم الميل إلى طرف دون الآخر ، فمن رأينا في ظاهره خيرا فهو على خير و نكلُ أمره إلى الله .. فإذا احتاج منا إلى تزكية أو تقريظ فليسَ قبل أن نعرفَ حاله في الخفاء و حاله مع أصحابه و أقرانه فليس الظاهر كلّ شيء .

و من رأينا في ظاهره قصورًا و نقَصا فلا نقصيه ، نقول أخطأ فيما قصّر فيه فقط ! و ما يدريك ..؟ هل رأيتَ صلاته ..؟ هل فقهتَ عبادته ..؟ هل أدركتَ حقيقته و سبرتَ غوْره ..؟ حنانيك حنانيك .. فما أكثر مَن رأينا و مَن نرى من عِبادٍ نحسبهم من أولياء الله الذين لا يفارقون المساجد و لا يفترون عن الذكر و هم في مجال الخير سبّاقون ، بل و يُختم لهم بخاتمةٍ حسنة يتمناها كل مؤمن تقيّ ! و مع ذلك يقعون في قصور الظاهر !

- و بعض الأحباب يؤدي به إخفاقه في اختبار الظاهر إلى حالةٍ من الفتور تمنعه من المسابقةِ في الخيرات ، و المسارعةِ في الأعمال الصالحات !

عزيزي !!

هذا المفهوم يجني عليك أوّلًا و آخرًا !!

إنّك اليوم أحوج ما تكون إلى أعمالٍ صالحة تسدُّ بها فقرك الظاهر ، و جوعك المستبين ! أعني فقر روحك و جوعَ إيمانك ..

لا أدري في الحقيقة كيف احتال إبليس على أولئك الأحباب الذين قصّروا في مظاهرهم فجعلهم يبخسون أنفسهم و يرونها وضيعةً لا ترتقي إلى أداء العمل الصالح .. و كأن الدين يقوم على معادلة رياضية : صلاح ظاهر + صلاح باطن = عمل صالح !

كلا و الله !

بل أنتَ أهلٌ لكلّ عملٍ صالح ، علم الله أني لا أخاتلك و لا أخادعك ، إنما هي الحقيقة الساطعة الناصعة ، لو كنتَ تعلم !

اغتنم أوقاتك في عمل الخير .. و لا يكن أفقك ضيّقا في مفهوم الخير ، ليس الخير صلاة و صياماً و دعاءً فحسب ! و إن كانت هذه الأمور من الخير الجليل ! لكن ربما لا تقوى على مثلها (أعني النافلة منها) و كلّ إنسان ميسر لما خُلقَ له .. فاطرق أبواب الخير كلّها من تقديم العون للناس و الصدقة و إغاثة الملهوف و الذكر وغير ذلك ! و ما مالت نفسك إليه فالزمه و احرص عليه ، فهذا فتحٌ من الله قلّما يُفتَحُ لغيرك ! وقد روي عن الفاروق أنه قال : (من بورك له في شيء فليلزمه)

و من يدري لربما سبقت إلى الجنة بهذا العمل ، فلا تحتقرنّ شيئا ، و تذكّر قصة المرأة البغيّ التي سقت الكلب !

- كنتُ قد ابتعدتُ عنه لفترةٍ لا بأس بها ، و كانت المبادرة منه في طلب اللقاء !

فاتعدّنا و قابلته ذات مساء ..!

أدركتُ أنه يريد أن يطرح عدداً من المواضيع و الإشكالات التي تتعلق بمفهوم الاستقامة ؛ لأنه الآن يعيش بعض التناقضات التي لا يجدُ لها تفسيراً شافيا ! و للأمانة كان هو الباعث الأول على هذه الخواطر ، لا حرمه الله أجرها !

قال لي : أنا أتابع المباريات و أشجّع ! و بعضُ الأقارب يطالبونني أن أكون أهلاً لهذه اللحية و أن أرتقي بها عن مثل هذه الأمور و إلا فليكن مصيرها "الموس" !

قلتُ له : أخطئوا ..! هذا مفهومٌ سيء رديء لا يقوم على أصلٍ صحيح ! فالخطأ لا يُعالج بخطأ .

التشجيع من حيث الأصل مباحٌ لا إشكال فيه ، و يأتي التحريم تبعاً لما يترتب على هذا التشجيع من مخالفات شرعية كالغيبة و السبّ و التباغض و التشاحن و ما إلى ذلك .

و من ثم ..

قاطعني فقال : و أنا أشاهد الأفلام أيضاً ..

قلتُ : المفترض أن يفرق الناس بين مظاهر الاستقامة و بين أفعال الشخص الذي ظاهره الاستقامة ! لمَ الخلط ..؟

أنت يا (فلان) تجهد جهدك في الحفاظ على كل ما يمكن الحفاظ عليه من مظاهر و بواطن الاستقامة ، و أحيانا يصدر منك شيء من القصور .. فهل يعني أن تهدم كل مظاهر الاستقامة عندك و أن تُغِيرَ على كل بواطنها ..؟

قطعاً لا ..

لا يقول بهذا عاقل !

و من ثمّ واجبٌ عليك أن تستر على نفسك و لا تجاهر بمعصيتك إذا وقعت في حبائل الشيطان ، فمن حيل إبليس أنه يقول للعبد : لا تنافق .. لا تكن منافقا .. تصرف أمام الناس كما تتصرف من خلفهم !

يا أخي الكريم .. رسول الله ﷺ أحب إلينا و أكرم وهو يقول : (كل أمتي معافى إلا المجاهرين)[١٢٥] فلا تجاهر بمعصيتك .. استر على نفسك !

و الخلاصة :

١.على المسلم أن يحافظ على كل أعمال الاستقامة ظاهرها و باطنها ما أمكن ! و إذا قصّر في شيءٍ ما ، فإيّاه و أزّ إبليس : (خربانة خربانة)

٢.على الناس أن يفرقوا بين الاستقامة و بين أعمال مَن ظاهرُه الاستقامة مما يخالف الاستقامة ، فالخلطُ بينهما يجني على الاستقامة !

٣.على الشخص - أيًّا كان - أن يستر على نفسه إذا وقع في معصية ، مع المجاهدة على تركها و البعد عنها ، و القيام بعمل المعروف (وأتبع السيئة الحسنة تمحها) .

٤.بالنسبة للمباحات و الإغراق فيها (التشجيع و غيره) .. على المرء أن يرتقي بهمته دوما ، و على الشخص المقابل أن يدرك أن مقامات الناس و هممهم تتفاوت من شخصٍ إلى آخر ، فالله - عز وجل - لم يخلق الناس على رتبة واحدة ! و له في ذلك حكمة - سبحانه - ! هذا مع مراعاة أنها مباحة .. أما إذا داخَلَتها الحُرمة فلا نقاش إطلاقا !

- (يا أخي فلان فيه خير .. رغم أنه غير مستقيم إلا أنه يحافظ على الوتر و يصلي كل السنن) !!

اللغة هذه أمقتها كثيراً كثيراً !

طبعاً هو حكم على استقامته من عدمها من خلال المظهر ! صدقوني المظهر فقط !

و أنزعجُ أيضاً عندما يتحدث أحدهم فيقول :

---

١٢٥) متفق عليه

(يا أخي .. فلان - المستقيم - رأيته بعيني يفعل كذا "من المعاصي")

أيضاً حكم على استقامته من خلال المظهر .. المظهر فقط !

حتى الآن - و للأسف - لا يوجد وعيٌ مجتمعيّ بشكلٍ كافٍ يمكن للمجتمع من خلاله أن يصحح بعض المفاهيم المغلوطة !

لمَ ينظر البعض للبعض الآخر الذي لا يحمل مظاهر الاستقامة على أنه فريق متوغّل في الخطيئة !؟ لم ينظر إليه بإكبار و إجلال - و باستغراب أحيانا - حين يُقدم على عمل الخير و كأنه خُلِقَ من ضلع إبليس !؟

نعم .. لا أنكر أن هذه النظرة تغيّرت إلى حدٍ ما في الآونة الأخيرة ، لكن لا تزال بعض الآثار باقية ..!

أيضاً .. لمَ ينظر البعضُ إلى من ظاهره الاستقامة على أنه ملاك مطوّقٌ بالعصمة !؟

لم نرمي به أرضاً و ندهسه بالأقدام حينما يقع في الخطأ ..؟

ثم .. إذا رأيت الخطأ ممن ظاهره الاستقامة فلا تخلط بينه و بين الاستقامة النقيّة ، كل ما في الأمر أن هواه غلبَ على دينه ، فالدينُ بريء من تصرفه !

و من الخلط أيضاً .. الخلطُ بين الطبع و الدين ! تجد أحدهم يظهر بمظهرِ المستقيم وهو ينفعل بشدّة (طبعه اللّه على ذلك) ثم يظن البعض أن هذه الشدّة هي ثمرة دينه ! معاذ اللّه ..!

كل ما في الأمر أن طبعه غلب دينه !

- من الأمور التي سببتْ بعض الإشكالات عند المربين و المتربين ..

أننا تلقينا بعض المسائل و الأحكام الشرعية على أنّها مسلّماتٌ لا تقبل النقاش و الأخذ و الردّ !

خذ عندك مثلاً :

١.مسألة إسبال الثياب .. كان الشائع عند عموم الناس أن الحكم فيها هو التحريم قولاً واحداً بلا خلاف معتبر !

ثم تبيّن لهم أن المسألة خلافية و أجاز جمعٌ من أهل العلم المعتبرين الإسبال شريطة عدم الخيلاء و الكبر ، بل هو قول الجمهور (الأكثر) و ترجيح شيخ الإسلام - رحمه الله - .

خذ أيضا :

٢.مسألة الأخذ من اللحية ، أيضاً كان الشائع أن تحريم الأخذ منها هو القول الصحيح الذي لا خلاف معه !

ثم تبيّن أن من الصحابة من كان يأخذ بقدر القبضة ، بل و ذهب بعض أهل العلم المعتبرين إلى أن حدّ اللحية هو ما تعارف عليه الناس أنه لحية .

و غيرها من المسائل التي تربينا فيها على القول الواحد دون أن نعي أن المسألة فيها خلاف معتبر !

لستُ هنا لأبيح لنفسي أو لغيري الانتقال من قول إلى آخر بحجّة وجود الخلاف ، فهذا و الله شرٌ مستطير ، يرقق الإيمان في قلب المرء ؛ لأنه سيختار من الأقوال ما تشتهيه نفسه لا ما يتحرى صوابه ، فيكون عبداً لهواه لا عبداً لربّه ! و هذه آفةٌ تقتل دين المرء لو كان يعلم ![١٢٦]

و يظهر لي أن من أهم أسباب هذه التربية التي تلقيناها (التربية على قول واحد) أن الناس في بلادنا تعودوا على أن يسمعوا لمُفتٍ واحد و لا يتجاوزونه ! و المشكلة الأخرى

---

١٢٦) طبعاً كلامي هنا في المسائل الخلافية المعتبرة ، التي ارتفع فيها صوت الخلاف من أئمة معتبرين فتجاذبتها الأدلة و تنازعتها النصوص ! أما المسائل الشاذة التي لم تقم على دليل أو أصل صحيح فليست محلاً لكلامي هذا ، و يكفينا في هذا قول الأوزاعي - رحمه الله - : (من أخذ بنوادر العلماء خرج من الإسلام) [سنن البيهقي الكبرى رقم (٢٠٧٠٧)] ، وقال الشاطبي : (فإذا صار المكلف في كل مسألة عنّت له يتبع رخص المذاهب وكل قول وافق فيها هواه فقد خلع ربقة التقوى وتمادى في متابعة الهوى ونقض ما أبرمه الشارع وأخر ما قدمه) [الموافقات للشاطبي ٢ / ٣٨٦ – ٣٨٧] .

أن كل المفتين (من كبار العلماء) هم أبناء مدرسة واحدة في التلقي و الاستنباط و الاستدلال و الترجيح ، فتخرج أقوالهم متشابهة تماما ، و قلما يختلفون (ابن ابراهيم ، ابن باز ، ابن عثيمين ، ابن جبرين ، الفوزان)[١٢٧] و إن كان ابن عثيمين - رحمه الله - يتفرّد بنمطٍ خاص في بعض اجتهاداته !

هذا الأمر اعتاد عليه الناس فترةً من الزمن - أعني الأخذ بأقوال هؤلاء دون غيرهم - لا يكادون يختلفون عليهم ، عززّ ذلك عظمةُ هؤلاء الأئمة في عيون سواد الأمة و جلالة قدرهم و رسوخهم في العلم ، و كان الإعلام كذلك لا يعرف غيرهم ، أضف إلى ذلك قوّة الأئمة الثلاثة (ابن إبراهيم ، ابن باز ، ابن عثيمين) من حيث المنصب و من حيث الوجاهة و العلم ، فكان صوتُ مخالفيهم ضعيفاً جدا أمام أصواتهم ، بل لا تكاد تجد من يردّ عليهم و يخالفهم ، و إن حصل فهو مردود غير مقبول عند الناس ؛ لأنهم يدركون رسوخ هؤلاء الأئمة !

ثم لما كسفت شمس الأئمة الثلاثة ، و ظهرت بعد ذلك طفرة الإعلام الإسلامي المرئي و قبلها الشبكة العنكبوتية .. اختلفت قنوات التلقي عند المتلقي ، و ظهرت أسماءٌ جديدة فتصدرت للفتيا - و هي في الغالب أهل للتصدر - و أصبحت تخالف ما اعتاده الناس من الفتاوى في بعض المسائل .. فأورث ذلك لدى البعضِ ارتباكا و ترددا ! و البعضُ الآخر رأى في تنوع الآراء فرصةً ليتخلص من بعض التكاليف التي كان يرى فيها ثقلاً و عبئاً عليه ! و البعض الثالث انتقل من قول معتبر إلى قول معتبر آخر تقليداً (متابعة) لعالم جليل ، أو أنه - إن كان يملك حظا من العلم - تبيّن له صواب القول الذي اختاره آخِراً فعمل به !

بينما البعض الرابع .. رفض هذا التنوع و الاختلاف بحجّة أنه تشويش على الناس و أحيانا يرى أنه قنطرةٌ للخروج من الاستقامة الحقيقية و أنه يؤدي إلى ترهّل الإيمان الصادق من خلال التنقّل من قولٍ إلى آخر !

---

١٢٧) برنامج (نور على الدرب) أنموذجًا .

و هذا الصنف الرابع - وهو ما يهمني - أصبح لا يقبل انتقال الفرد من قولٍ إلى قولٍ آخر مُعتبر (قوي) مطلقا ، و لا يعذر في ذلك ، و يرى أن هذا الانتقال ضربٌ من ضروب الانتكاسة و ضعف الإيمان و الاستقامة ، فإذا كان فلان يرفع ثوبَه ، ثم انتقل إلى قول آخر و هو الإسبال بلا خيلاء .. فإن صاحبنا في الصنف الرابع يمقتُ هذا و يراه تراجعاً لا مبرر له ! ولو وقف الأمر هنا لهان ! لكن البعض - اجتهادا منه - يرتّبُ على هذا الأمرِ أحكاما تزيد الأمر تعقيدا ! فيقوم بهجر صاحبه و قطيعته دون اكتراث ، بل .. و لا يقابله بالبشاشة و البشر كما كان !

و نسيَ المسكين أن الهجر منوطٌ بالمصلحة أولاً ، ثم إنه - و كما تقرر القاعدة الشرعية الشهيرة - (لا إنكار في مسائل الإجتهاد) ، و ثالثاً أن صاحبنا الذي انتقل من قول إلى قولٍ آخر ، هو في الحقيقة أخذ بقول عالمٍ مُعتَبَر فلا وجه لنكيره !

ثم .. إن هذا الهجر و هذه القطيعة مرفوضةٌ في حقّ العاصي المذنب ؛ لأنها - في الغالب - لا تزيده إلا استنكافا و استكبارا و عنادا ، إلا أن تكون أنت لصاحبك كالنبي ﷺ لكعب بن مالك - رضي الله عنه - .

قد يقول قائل : الكلام أعلاه خطير ؛ لأنه لربما تذرّع البعض عند فساد قلبه باختلاف العلماء ، فيختار من الأقوال ما يوافق هواه ، و لا يتحرى الحقّ !

أقول : هنا مسألة مهمة ، وهي أن نملأ قلوبنا أولا و قلوب من نعول و نربّي من خشية الله - عز وجل - و أن نربّي أنفسنا على مراقبة الله و أنه - سبحانه - مطلعٌ على ما في النفوس ! فهذه المرحلة لابدّ منها قبل الخوض في خلافات المسائل الشرعية ؛ لأنها لا شيء يدلّك على الله مثل الخوف منه ، و لا شيءَ يزيدك خوفاً منه و استشعاراً لعظمته مثل العلم به - سبحانه - فإذا تحقق الخوف و تحققت الخشية لن نبالي ؛ لأننا سنبحث عما يرضي الله !

قد يقول قائل : و كيف ندري ؟ لربما انتقل الشخص من قولٍ إلى قولٍ آخر لشهوة في نفسه لا يريد بذلك وجه الله !

أقول : لسنا مكلفين بالفحص عن القلوب و امتحان النفوس ، ليس لنا إلا إحسان الظن !

و قبل الختام .. ضوابط و قيود :

١.كلامي أعلاه عن المسائل الشرعية ذات الخلاف المعتبر و تقدير هذا راجع لأهل العلم ، و لستُ أقصد المسائل الشاذة التي لا تنهض بدليل .
و كلام الأوزاعي فيْصلٌ في القضية .

٢.على المرء أن يتقي الله في اختيار من يأخذ بفتواه ، و عليه أن يتحرى رأي من يثق في دينه و علمه فبه تبرأ الذمة ، و أن لا يختار من الأقوال ما تشتهيه نفسه و تميل إليه ، فالدين ليس ألعوبةً تمتطيها متى شئت و تتركها متى شئت !
فكما أنك لا تختار للمرض إلا الطبيب الحاذق و لا ترتضي إلا من تثق بطبه ، فالدين من باب أولى !

٣. من الخطأ الكبير تنزيل مسائل الهجر و الإعراض التي طبقها النبي ﷺ مع الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك على من اختار قولاً معتبراً للأسباب الثلاثة أعلاه ، بل هي في حق العاصي مرفوضة إلا في حال المصلحة ، و المصلحة هي صلاح حال العاصي ، و الله أعلم .

إيماضة :

وثب النبي ﷺ بعد الأحزاب فزعا ، فعزم على الناس ألا يصلوا صلاة العصر إلا في بني قريظة (أمرهم بالتوجه لقتال يهود بني قريظة و أن يكون ذلك على عجالة) ، قال الراوي : فلبس الناس السلاح، فلم يأتوا بني قريظة حتى غربت الشمس (اقتربت

الشمس من المغيب وهو آخر وقت العصر و لم يصلوا بعد إلى بني قريظة) ، فاختصم الناس عند غروب الشمس.

فقال بعضهم : إن رسول اللّه ﷺ عزم علينا ألا نصلي حتى نأتي بني قريظة ، فإنما نحن في عزيمة رسول اللّه ، فليس علينا إثم (غربت الشمس و لم يصلوها ، و قالوا لن نصلي حتى نصل إلى اليهود و لو غربت الشمس ؛ لأنهم هكذا فهموا الأمر).

وصلى طائفة من الناس احتسابا (صلوها قبل الغروب و قبل الوصول إلى اليهود ؛ لأنهم فهموا أن الأمر للتعجيل) ، وتركت طائفة منهم الصلاة حتى غربت الشمس، فصلوها حين جاؤوا بني قريظة احتسابا ، فلم يعنف رسول اللّه ﷺ أحدا من الفريقين ا.هـ

لأن كلا الفريقين مجتهد !

اللوحة الثالثة و الثلاثون

حزمة أفكار لمشرفي المحاضن

١- لا أجدُ مانعاً من أن يتم تحصيلُ رسمٍ فصلي (٣٠٠ ريال) مثلاً، من كلِّ طالبٍ في المحضن، نظير ما تحتاجه الحلقةُ من مبالغ لإقامةِ البرامج، ولا يشملُ هذا المبلغ رحلاتِ المبيت نظراً لكُلفتها العالية، ويجب مراعاة ذوي الدخل المحدود بطريقةٍ لا تُشعرهم بالنقص، فبهذه الطريقة يمكننا أن نستغني – وبشكلٍ كبير – عن الاستغاثات التي قد يطلقها المشرفون بين الفيْنةِ والأخرى مذكّرينَ بنقص الموارد المالية.

أو بالإمكان تكليفُ كلِّ طالبيْن أو ثلاثة – بحسب العدد - بالتكفّل بقيمة كل استراحةٍ بكامل مُلحقاتها من عشاء ونحوه، وفي الواقع أن رحلاتِ نهايةِ الأسبوع هي التي تثقل كاهل الحلقة.

٢- من الجميل أن يعتاد الطالبُ في الصف الثالث الثانوي على تحمّل المسؤولية، ومن هذا المُنطَلق، يتم تكليفه ببعض المهام التي تعزز فيه هذا الجانب، كالمساهمة في مرور الطلاب – إن كان مؤهلاً - ، وكاستئجار الاستراحات، وكانضوائه تحت اللجنةِ كنائبٍ مساعدٍ للمشرف، وإذا كان عددُ طلاب هذه المرحلة كبير، فلا مانع من توزيعهم على المهام الآنفة الذكر، كلٌّ بحسب ما يناسبه، نريدُ أن يدخل الطالبُ مرحلة الإشراف وهو– على الأقل – يملكُ شيئاً من الأساسيات، ويتمتعُ بحسٍّ المسؤولية.

٣- خطأٌ مشين أن يتنصّل المشرفُ أمام الطلاّبِ من قرارٍ معيّن، ويلقي اللائمة – بشكلٍ مباشر أو غير مباشر - على بقيّة المشرفين، ويعظُمُ الخطأ عندما يُخبِرُ المشرفُ الطلاّبَ أنه لم يرض بمثل هذا وأنه معترض عليه ! وبالمثال يتضحُ المقال : كُنّا في رحلةٍ إلى إحدى المرافق الترفيهية، اجتمع بنا المشرفُ المسؤول قبل الدخول إلى المرفق، واستشارنا في قضيّة التصوير بالجوال بين الطلاب، الأغلبية كان رأيهم الرفض والمنع، ثم صدر الأمر من قبل المسؤول بمنع هذا الشيء .. الطُّلاب مع فورةِ الحماس واللعب، كانوا يبدون امتعاضاً من هذا القرار، كلُّ طالبٍ يودُّ تصوير

صاحبه، وكانت التوجيهات تقتضي منعهم بأسلوبٍ لطيف يتناسب مع أسنانهم، الإشكال الذي حصل أن أحد المشرفين عندما سأله أحد الطلاّبِ عن أسباب المنع، كان جوابهُ أنانياً لئيماً، حيث قال : اسألوا بقيّة المشرفين أنا لا علاقةَ لي بالموضوع !

إن هذه الأنانيّةَ المقيتةَ في الرد على الطالب، تجعلُ العلاقةَ بين المشرفينَ يشوبها شيءٌ من التوتر، والواجب علينا أن تكون كلمتنا أمام الطلاّبِ في كلِّ قرارٍ نتخذه كلمةً واحدة، حتى وإن خالفَ البعض، وعلى هذا المخالف أن لا يُظهر اعتراضه أمام الطلاب، فلو أن المشرفين صوّتوا بين قراريْن أحدهما (أ) والآخر (ب)، وصارت الأغلبية على القرار (أ)، فإنه من الخطأ أن يتكلم أحد المشرفين المعترضين مع أحد الطلاب على أنه كان يرفض القرار (أ)، بل ربما جاء أحد الطلاب المتعضين من القرار ليتكلم مع مشرفٍ كان يرفض القرار أيضاً، فمن الخطأ أن يبيّن المشرفُ أنه هو أيضاً معترض، بل عليه أن يكون في صفِّ القرار وإن لم يوافق عليه، وعليه أن يدافع عنه، ويبيّن محاسنه، وذلك حتى لا تكون فتنة، وحتى لا تتزعزع العلاقةُ بين المشرفين، فوحدة الصفّ بينهم أهم من أي شيء، وعليها يكون نتاجهم ونشاطهم، أما عند حصول الخلاف والفُرقة، فلا تسل عن الضعفِ الذي سيحلُّ بالجميع.

٤- العبادات التي تؤدى بشكلٍ جماعي، تُعين الفردَ على القيامِ بها، فالذي يصوم الاثنين مع شباب الحلقةِ ليس كالذي يصومه وهو في بيته، فهو على الثاني أشقُّ وأصعب بلا شك، لكن أحياناً يحصل بعض الإشكالات على المدى البعيد في هذه الجماعية في العبادات، وهذا الإشكال لا يظهر إلا عندما يبتعد الشابُّ (مشرفاً أو طالباً) عن المحضن، فتراه ينسلخُ عن كثيرٍ من العبادات التي كان يؤديها لأنه لا يجدُ من يعينه.

إنني أعتقد أن الإكثار من العبادات الجماعية يؤثر بشكلٍ مخيف على تديُّن الشاب مستقبلاً، فبالإضافةِ إلى صيام الاثنين.

تجدُ بعض الحلقات يمرُّون طلاّبهم صباح الجمعة من أجل التبكير للصلاة، ويصلون التراويحَ معاً، وهذا شيءٌ طيّب، لكن ينبغي علينا أن نعوّد الشباب على القيام بهذه العبادات وحدهم، فهم في يومٍ من الأيام سيودّعون المحضن، ولا بدّ لهم من ذلك، فإن تركوه ولم يعتادوا ذلك، فإن البعض منهم سيلبِّس عليه إبليس، وسيشعره أنه في أول طريقِ الانتكاسة إما لأنه سيقذف في قلبه أنه كان يفعل ذلك من أجل الشباب، وإما لأنه سيوسوس له أنك قد تركتَ بعضَ الطاعات لأنك لا تقوى على الالتزام وحدك، ثم ينهار تديّنه، ومع الوقت لربما انسلخ من كثيرٍ من أمور دينه، واللّه المستعان.

٥- إذا كانت الحلقةُ ممن يعتمدُ نظامَ مرور المشرفِ للطلاّب، فليحرص المشرفُ – إن تيسر له دون مشقة – ألا يستمرّ على خطّةِ سيرٍ واحدة، بمعنى لا يُعيد فلاناً إلى بيته آخر واحد بشكل مستمرّ، فالتنويع مطلوب، والسيارةُ محضنٌ خصب لمن أحسنَ التعامل معه، فعددٌ من الطلاّبِ يودُّ أن يبوحَ لك بشيءٍ ما، ولا يتيسر له ذلك، لأنه يصلُ إلى بيته وعددٌ من الطلاب معك في السيارة، فيصعب عليه الحديث في ظل وجودهم ، وعلى فرضِ عدمِ وجودِ ما يدعو لذلك، فإن في تغيير خطّةِ السيْرِ في كلِّ مرةٍ ما يدعو إلى إقامةِ علاقةٍ متينةٍ مع كلِّ فردٍ من أفراد سيارتك، وهذا بحدِّ ذاته مكسب .

اللوحة الرابعة و الثلاثون

رحلات المبيت و الدور المفقود

في البداية .. لو قلنا إن عدد رحلات المبيت في السنة الواحدة أربع رحلات، ثم افترضنا أن الطالب انخرط مع المحضن في بداية المرحلة الثانوية، فإن الحسابات الرياضية في هذه الحالة تتكلم لتقول: ٤×٣ = ١٢رحلة مبيت خلال ثلاث سنوات، هذا إذا لم يكن الطالب له حضور في المحضن منذ المرحلة المتوسطة، وإذا قلنا إن معدّل مدة الرحلة الواحدة ٣ أيام، فإن المجموع سيكون ٣٦ يوما، لا شك أنه مقدارٌ كبيرٌ وضخم ، يجعلُ المسؤولية تتضاعف على المشرفين .

أستطيعُ أن أقول إن رحلات المبيت – في حقيقتها – ما هي إلا دورةٌ مكثفة، نستطيع من خلالها أن نكشف ونعرف سلوك كثير من الشباب، كما يمكننا أن نعالج كثيراً من الهفوات و الأخطاء التي يقع فيها الطالب ، بالإضافة إلى أنه بالإمكان أن نغرس من خلالها سلوكيات حميدة وقيَماً رفيعة، تصعد بالشابِّ إلى مدارج الكمال ..

هذا كله إذا اجتمع في الرحلة عناصر :

١. الإعداد المسبق المتقن، ونصيحتي لكل محضنٍ لا يعتني بالإعداد لرحلات المبيت أن يصحح مساره وأن يعلم أنها فرصةٌ للتقويم و التوجيه و التخلية و التحلية .

أذكر أن قريباً لي اتصل بي يوم الاثنين، فقال بلهجةٍ سريعةٍ مرتبكة (أحتاج مسابقة ورقية في أسرع وقت) استغربت هذا الطلب بهذه الصورة، فاستفصلتُ منه أكثر، فأجابني بأن (الحلقة) عندهم رحلة للمنطقة الشرقية يوم الأربعاء، فاستنكرتُ هذا التأخّر الذي يدل على عدمِ وعيٍ بأهميةِ الإعداد والتخطيط المسبق ، وعندما سألته عن سبب هذا التأخر .. أجاب : (الآن تم تكليفي !!!) قبل الرحلة بيومين !! ..

أما الوجه المشرق .. فإنني أعرف بعض الحلقات تقوم بالإعداد لرحلة المبيت قبل حلولها بشهرٍ كامل ، بل ويسافر بعض المشرفين لتنسيق المكان وإعداد اللقاءات والزيارات، ولا تسل بعد ذلك عن مشاعر الطلاب و أحاسيسهم .

٢. المكان المهيأ والذي من خلاله تستطيع الإرسال والاستقبال من وإلى الطلاب سواءً كان في استراحة أو نزهة برية ربيعية، والمكان إن لم يكن بالمستوى اللائق ومستوى الدعاية فإن الإشراف سيواجه امتعاضاً من الطلاب، خصوصاً إذا علمتَ أن المكان سيكون عليه مدار الرحلة، وأفضل الطرق لاختيار المكان المناسب التحرك المسبق في تحديده، ينطلق اثنان من المشرفين قبل الرحلة بمدّة كافية إلى الجهة المقصودة ليتم اختيار المكان .

صدقوني إن قلتُ إن الأمر يستحق كل هذا التعب و العناء ، وكل شيء في الرحلة ينسحب على مكان الإقامة، بل حتى بعد انتهاء الرحلة، سيظلّ للمكان تأثيره، فمتى ما سُئل الطالب عن رأيه في الرحلة، سيتبادر إلى ذهنه مكان الإقامة مباشرة، وسيكون للمكان ٥٠٪ من رأيه ، خصوصاً أن كثيراً من الوقتِ يُقضى في مكان الإقامة .

٣. وسيلة النقل المريحة ، و يتأكد هذا العنصر كلما كانت الوجهة بعيدة ! خصوصاً أن التنقل سيكون كلّه عبر هذه الوسيلة ، فلا تعكّر أجواء الرحلة بسوء الاختيار ، و احرص على تجربة الوسيلة قبل اعتمادها ، و تأكد من سلامتها و راحة مركبها و جودة تكييفها ، ثم اختر السائق الذي يزيد الرحلةَ ألقاً و جمالا ![١٢٨]

٤. الأهداف العامة الواضحة (ولا مانع من الخاصة لكن في نطاق ضيق) وهنا المحك، وهو المهمل وللأسف الشديد، رحلةُ مبيت ٣- ٤ أيام، ولا نضع نصب أعيننا هدفاً نحققه ؟!

---

١٢٨) لا تزال ذكرى رحلة الطائف تلقي بظلالها عليّ ! كان سائق الحافلة (أبو نورة) أحد أهم عوامل نجاحها .. بلا مبالغة كنتُ أعتبره مشرفاً سادساً معنا ، كان يفهم أنظمة الحلقات القرآنية و تعليمات مشرفيها – ربما لكثرة احتكاكه بهم – فساهم معنا في ضبط سير الرحلة فأضاف إلى النجاح نجاحا .. شكراً أبا نورة .. شكراً يا ابن جيزان .

دعوني أسترسل في الكلام قليلاً عن هذا العنصر المهم الذي قلما التُفِتَ إليه .. إنني عندما أتكلم عن الأهداف العامة، فإنني أقصدُ بها تلك الأهداف التي تستهدف كُلّ الطلاب / المتربين، أو غالبهم على الأقل.

مثال: رحلة الأربعاء ستكون إلى استراحة في (العفجة) ولمدة ثلاثة أيام، أنا - بصفتي مشرفا- مع بقيّةِ الإخوة المشرفين، نرى وجودَ التقصيرِ في السنن الرواتب – مثلاً- من قبل كثير من الشباب، فنضع الهدف العام الذي يستهدفُ غالبية الشباب وهو : (توجيه المجموعة إلى الاهتمام بالسنن الرواتب والإلزام بها إلزاماً تربوياً) ولتكن هناك كلمةٌ عن فضلها، ودرسٌ في أحكامها.

أيضاً وجدنا أن كلّ الشبابِ منهمكون في ملاحقةِ السيارات، ومعرفةِ آخر الموديلات .. حينها نضعُ هدفاً عاماً يستهدفُ كلّ الشباب وهو : (إرشاد المجموعة إلى الإعراض عن فضول المباحات والاهتمام بمعالي الأمور) ، وما ذكرته سابقاً في السنن من تضمين الكلمة والدرس في تحقيق الهدف، ما هي إلا وسائل، والوسائل أمرها واسعٌ جداً، كلّ محضنٍ وما يملكه من مقومات، ولا مانع من استشارة التربويين في كيفية صياغةِ وتحقيق الأهداف، وكلما كانت الوسيلةُ أسرع في تحقيق الهدف كانت أولى من غيرها.

أما ما يتعلقُ بالأهداف الخاصّة، فإنني ذكرتُ أنها يجبُ أن تكون على نطاقٍ ضيّق، حتى لا ننشغل بالقليل عن الكثير، وهذا ظلمٌ وأي ظلم !!

مثلاً : خالد شابٌ مستقيمٌ متميّز، حباه اللّه عدداً من الصفاتِ التي تؤهله إلى أن يكون مربياً بارعاً، غيرَ أن عيباً لم يزل ملازماً له منذ عرفه الشباب، خالد في وقت البرنامج الرياضي، يستحيلُ وحشاً كاسراً، سريع الانفعال والغضب، يرمي هذا بالأنانية، ويرمي ذاك بالضعف والبلادة، ويرمي الآخر بالعمى لأنه أضاع الفرصةَ أمام الهدف !!

بإمكانك الآن أن تضع هدفاً خاصاً في رحلة المبيت، يستهدف خالد، فتضع: (تنبيه خالد إلى مغبة التعصب في الملعب والتقليل من حدته) والوسائل أنت من يملك زمامها، أنت وما تبدع.

وحذار أن يطغى الهدفُ الخاص على الهدف العام، فننشغلَ بواحد عن عشرة أو عن عشرين، فهذا من أعظم الظلم، إن استطعت التوفيق فبها ونعمت، وإلا فالكثير مقدّمٌ ولا شك..

وبالإمكان توزيع الأهداف بين المشرفين، حتى تحصل الفائدة بأكبر قدرٍ ممكن، وإياك - أخي المشرف- من الإكثار من وضع الأهداف حتى لا تتشتت، فعدد الأهداف يحكمه نوع الهدف ومدة الرحلة، وأعتقد أن ٣ – ٥ أهداف، عددٌ معقول..

مُلحة : حدثني أحمد – وهو عندي ثقةٌ ثبت – أن قريبه شاركَ في رحلة النماص في سنين مضت، لم يكن لقريبه باعٌ في الحلقات والأنشطة الشبابية ، إنما جاء عن طريق المركز الصيفي، وكان المشرفون يوقظون الطلاب قبل الفجر بنصف ساعة – أو تزيد - لقيام الليل والوتر[١٢٩]، ولم يكن قريبه يفعل ذلك من قبل، يقول أحمد وبعد عودتنا إلى ديارنا سالمين، استمر قريبي يقوم الليل فترةً من الزمن، والسبب في ذلك أنه اعتاد على هذا الأمر سبعة أيام – مدة الرحلة – ثم صارت عادةً له بعد ذلك إلى أن انقطع مع تباعد الزمن، وفتور النفس ، فتأمل كيف كان الأثر، مع مشقةِ العمل !!

ملاحظة : الهدف قد يكون : غرس سلوك حميد، أو نزع سلوك سيء، أو تعزيز عادةٍ حميدة ..

---

١٢٩) أدركتُ هذا ! ما أجملَ وقوفهم بين يدي الله في جُنح السَّحر .. يرحمهم الله خبأتهم الأيام .

ذهب الذين إذا مررت بدارهم فاحت نسائم عطرهم تتبعثر

قوم على حب الإله ترعرعوا وعلى حطام الدار هم يتكبروا

يبكي مصلاهم على دمعاتهم في كل حين هم به يستغفروا

ربـــاه فاجمعنـــا بهم في جنـــة وأنر بذكراهم طريقا يعبرُ

٥. البرامج ، وهي متنُ الرحلة .. بقوّتها تقوى الرحلة و بضعفها تضعف ، فالتنويع في الطرح مطلوب ، و الموازنةُ بين الجدّ و الراحةِ أمرٌ مرغوب .

أخي الحبيب .. في نظري أنه إذا اختل أحد هذه العناصر الخمسة ، فمن الصعب أن تصل إلى نتيجة مُرضية ، الإشكال الحاصل أن هذه الرحلات تحولت في كثير من المحاضن إلى محطة تسليةٍ فحسب، لا تجد فيها هدفاً واضحاً يريد مشرفو المحضن تحقيقه، فقط .. ترفيه، ودرس، ومسابقة !

أسأل الله للجميع السداد وحسن العمل..

اللوحة الخامسة و الثلاثون

كيف تقوم برحلةٍ ناجحة ..؟

تكلمنا فيما سبق عن العناصر التي يجب أن تتوفر في الرحلةِ كي يُكتبَ لها النجاح ، و لم نتطرق للمجالِ العمليّ إلا على شكلِ إشارات مقتضبة لا تشفي غليل منهوم !

و مِن هُنا .. سأكتبُ دليلاً إجرائياً لكلّ مشرفِ محضنٍ يريد أن يكافئ طلابه برحلةٍ عديمة النظير ! سوف أتكلم من الألف إلى الياء ، و أجاهد قدر المستطاع أن أستوعبَ هذا الموضوع الكبير المتشعّث ، وسوف يكون الكلام على اعتبار أن الرحلة ختامية في نهاية العام ، و التي تستمر – غالبا – عند كثيرٍ من المحاضن و الحلق مدة ٧ – ١٢ يوما ، و غالباً ما تكون وجهتها إلى المرتفعات الأبهاوية !

هذا .. و الكلام في هذه اللوحة سيكون موزّعاً على مراحل :

- المرحلة الأولى : ما قبل الرحلة .
- المرحلة الثانية : أثناء الرحلة .
- المرحلة الثالثة : ما بعد الرحلة .

فعلى بركة الله سيروا !

- **المرحلة الأولى** : ما قبل الرحلة .

١. لتكن بداية التفكير في الرحلة – مجرد تفكير – مع نهاية الفصل الأول[١٣٠] و بداية انبلاج الفصل الثاني[١٣١]، و لتتناقش عنها مع إخوانك المشرفين و أحبابك الطلاب بشكلٍ عفويّ لتجسّ النبض و تفقه الميول ، و دوّن كل اقتراحٍ تراه مناسباً و جديراً بالاهتمام .

---

١٣٠) هذا الاقتراح بناءً على أني اعتدتُ أن تكون الرحلة مع آخر يوم في اختبارات الفصل الدراسي الثاني فتنبّه

١٣١) هي المكافأة الكبرى لطلابك .. ألا يستحقون يا صاح ؟ فلا تستكثر !

٢. ليبدأ التحضير الفعلي لهذه الرحلة قبل وقت انطلاقتها بشهرين ، و ذلك من خلال تحديد الوجهة ، و ترشيح الأمير ، و توزيع المهمات بين المشرفين (ثقافي – اجتماعي – رياضي) و أسعف كل مشرف لجنة بالتكاليف المنوطة به .

- تحديد الوجهة : بإمكانك أن تحسمَ هذه النقطة من خلال المشرفين و ترشيحاتهم ، كما أنه بالإمكان أن تترك الخيار للطلاب يرشحّون ! و كلا الأمرين له إيجابياته و سلبياته ، و أفضل الأمر أن تتوسط ! و الوسط هنا : أن تتفق مع المشرفين على ثلاث خيارات[١٣٢] أو أقل أو أكثر ثم تجعل الطلاب يرشحون ، و يكون تصويتهم هو الفيْصل .. و هذه تجدي كثيراً عند اختلاف المشرفين في اختيار الوجهة ، خصوصاً أن الرحلة هي للطلاب في المقام الأول ، و يبقى الرأي الأول و الأخير للمشرفين في تحديد الوجهة .
- ترشيح الأمير : لا تتهور في اختيار مشرفٍ ضعيف الخبرة فيفسد عليك أجواء الرحلة ، ثم تكتشفُ فيما بعد أنك قضيت الرحلة في ترقيع أخطائه و اجتهاداته ، و في اعتقادي أن مسألة أمير الرحلة يجب ألا تخضع للتصويت ، بل يحسمُ أمرها مسؤول الحلقة إما بتولّيها أو ترشيح من يتولاها من ذوي الأمانة و القوة !
- توزيع المهمات[١٣٣] : ستحتاج إلى أربعة لجان : ١.اللجنة الثقافية ٢.اللجنة الرياضية ٣.اللجنة الترفيهية ٤.اللجنة الاجتماعية ، و تذكّر أن مشرف اللجنة الاجتماعية سوف يضنيه التعب ؛ لأن مثل هذه الرحلات تكثر الحاجة فيها للمشرف الاجتماعي ، فأمدّه بمشرفٍ آخر يمدّ له يد العون و المساعدة ، و يكون له نعم الصاحب و المؤنس ، و لا تجنِ عليه بتركه وحيداً في اللجنة فهذا بلاءٌ عظيم .

---

١٣٢) تذكّر أن طلابك قد يملّون من تكرار الرحلة إلى المكان نفسه !

١٣٣) سأتكلم عن اللجان لكن دون توسّع ، و من له أدنى تجربة في الحلق القرآنية و المناشط الشبابية يدرك مهام كل لجنة ، و أنبّه على أن تقسيم اللجان بهذه الطريقة ليس وحياً منزلاً .. إنما قسمت بهذه الطريقة لأن العمل عليه عندنا ، و تبقى أفكار كل منشط و ظروفه فيصلاً في التقسيم و طريقة توزيع المهمات .

٣. احرص على أن يشاركك في الرحلةِ مشرفٌ من خارج المجموعة ، فإن وجوده سيجعل للرحلة نمطاً خاصا ، و طابعاً فريدا ، و ليكن اختيارك له من خلال معايير معيّنة تكفل لمن معك – من المشرفين و الطلاب - الراحة التامة تجاه حضوره و مشاركته ! و اجعله يشارك في بناء الرحلة – قبل السفر - من خلال تكليفه ببعض المهمات حتى يعيش أجواء الحلقة فلا يجد غضاضة أو حرجاً في التفاعل مع برامج الرحلة إذا وصلتم للوجهة المنشودة .

٤. ارسم خطّةً مبدئية مفصّلة عن خطّ سير الرحلة ، متضمنةً البرامج و مواعيدها و مدتها ، و الزيارات و أوقاتها و وجهتها ، و ليكن العبء موزعاً على اللجان ، فلا تضع على إحدى اللجان حملاً ثقيلا إلا أن تدعّم اللجنة بشخص آخر !

٥. خطوط عريضة لمهام اللجان[١٣٤] :

- اللجنة الثقافية : المواضيع الثقافية (علمية – فكرية – إيمانية) ، تنسيق الاستضافات و الزيارات ، كلمات ما بعد الصلاة ، الأذان و الصلاة ، إحضار مكتبة مصغرة ، إحضار شنطة مصاحف .
- اللجنة الترفيهية : إعداد المسابقات الأسرية و الفردية (الورقية) ، إحضار مجموعة من ألعاب الذكاء[١٣٥]، العناية بإقامة الفعاليات الترفيهية في "الباص"[١٣٦].
- اللجنة الرياضية : إحضار كامل مستلزمات البرامج الرياضية ، العناية بانضباط سير الطلاب في الرحلة (رصد حضور الطلاب في البرامج – تحضير الطلاب حال ركوبهم "الباص"[١٣٧] – ضبط مواقيت النوم و الاستيقاظ) ، معاقبة المخالفين .

---

١٣٤) كما هو العنوان .. دون توسّع !

١٣٥) مفيدة جدا و عملية في أوقات الفراغ / الانتظار ، و مناسبة في تعويض برنامج لم تتيسر إقامته .

١٣٦) فالطريق إلى البلد المنشود طويل و يحتاج إلى ما يخفف وطأته على الطلاب من البرامج الترويحية ، و قل مثل هذا في التنقل داخل البلد المقصود .

١٣٧) خصوصاً في طريق السفر.. نسيان أحد الطلاب في محطة و نحوها من المصائب و الدواهي ! و قد حصل ..

- اللجنة الاجتماعية : التموين و التغذية في الوجبات الثلاث و ما يلحق بها ، تجهيز عدة المطبخ و الطبخ كاملة[١٣٨] ، الاهتمام بنظافة السكن و المتنزهات بعد الانصراف .

٦. كلّف أحدهم – كائناً من كان – باستئجار وسيلة النقل ، و لا تشغل نفسك بذلك ، إنما فرّغ نفسك لمضمون الرحلة و متابعة سير العمل ، و لتكن لكم معايير في اختيار وسيلة النقل ، و هذه المعايير كالتالي :

- سلامة الحافلة : ابتعد عن الموديلات القديمة ما أمكن ، فلا مجال للمغامرة هنا ، هذه رحلةٌ من خمسة أيام أو أكثر و معك عدد كبير من الطلاب ! تعطّل الحافلة يعني بالضرورة أنك وقعت في كارثة !! زيادة في التكلفة المادية مع حافلة نظيفة و راحة بال خيرٌ لك من تكاليف نفسية و معنوية تدفعها لاحقا ![١٣٩]
- جودة المركب : و ذلك من حيث راحة المراتب و برودة التكييف و جمال الرائحة ، و اختلال إحدى هذه العناصر سيجعل أجواء الرحلة وبيئة .
- سموّ السائق : إياك و السائق الملول الغضوب .. مثل هذه الرحلات تحتاج إلى سائقٍ واسع البال رحيب الصدر ، و هذا طابع الرحلات الجماعية ذات الأعداد الكبيرة ، حيث يكثر فيها التذمّر و يكثر العتاب ! فاختر سائقاً يكون لكم نعم المعين ! و إذا أكرمته سيكون خادمك المطيع ![١٤٠]

٧. تحيّن فرصةً مناسبة أنت و من معك من المشرفين و انطلقوا إلى الوجهة المنشودة قبل موعد الرحلة بمدة كافية و ذلك ليتسنى لكم استئجار السكن و تنسيق الزيارات و الاستضافات بناءً على الخطة المرسومة للرحلة ، و كلما كانت

---

١٣٨) توجد أوراق على شبكة النت تجمع كل هذه الاحتياجات ، فعلى مشرف اللجنة أن يستفيد منها .

١٣٩) في إحدى السنوات في رحلة أبها لم يكن "الباص" كما يجب ! من رحمة الله بنا أنه لم يتعطل إلا في طريق العودة .. في الحوطة تحديدا .

١٤٠) أكرمه بالمال و بالمعاملة ؛ لأنه أخوك المسلم الضعيف قبل كل شيء .

هذه الفرصة باكرة كانت الأمور أيسر و أسهل[١٤١] ، و كلما تأخرت .. ارتبك الوضع و احتبست الأنفاس و توترت الأعصاب و التاث جوّ المشرفين ! و ليكن للسكن[١٤٢] معايير لا تقبل التنازل عنها ، وهي :

- سكون المنطقة : لا تستأجر سكناً في منطقةٍ مزعجة ، فالإزعاج يُضعِفُ البرنامج و ربما يلغيه !! و قد يحرمكم الراحة في النوم !
- جودة السكن : و ذلك من حيث التكييف و وجود الغرف الكافية بالإضافة إلى دورات المياه و المطبخ ، و لا يكن السكن صغيراً فتتقلّص الراحة ، و لا كبيراً فينفلت النظام ، و كمال السكن وجود ملعبٍ و مسبح .
- قرب الخدمات : بشتى أشكالها و صورها ، و تغلب الحاجة إلى : محل التموين الغذائي (السوبرماركت) و المطعم و مغسلة الملابس و مستلزمات الرحلات .

٨. اطبع أوراق طلب موافقة وليّ الأمر على مشاركة الابن في الرحلة مصحوبةً بدعايةٍ لا مبالغة فيها[١٤٣] ، و ليكن توزيعها قبل الرحلة بثلاثة أو أربعة أسابيع ، و اطلب من طلابك أن يُحضروا الأوراق في وقتٍ معيّن حتى يتسنى لك حصْرُ العدد[١٤٤] ، و اجمع رسومَ الاشتراك[١٤٥] منهم ، و احرص على وزنها وزناً دقيقاً يتناسب مع تكاليف الرحلة .[١٤٦]

---

١٤١) بالنسبة لنا .. تكون قبل الرحلة بشهرين أو تزيد

١٤٢) الحجز عن طريق الهاتف دون معرفة سابقة بالسكن لا يكفي ، فقد وقعنا في مآزق مرات عديدة ! و إذا وجد من أهل المنطقة المنشودة من يكفيك .. فحسبك به .

١٤٣) المبالغة في الدعاية تكون نتائجها عكسية في كثيرٍ من الأحيان ، خصوصاً إذا انتهت الرحلة و لم ترتقِ لمستوى الدعاية !

١٤٤) و هذا مهم جداً في حساب تكاليف الرحلة .

١٤٥) ينعتونها بالقطّة ! قال فؤاد الشلهوب في كتابه الآداب : (يستحب التناهد في السفر، والنهد : أن يخرج كل واحد من الرفقة شيئاً من النفقة يدفعونه إلى رجل ينفق عليهم منه ويأكلون جميعاً . قيل للإمام أحمد : أيما أحب إليك يعتزل الرجل في الطعام أو يرافق ؟ قال: يرافق، هذا أرفق يتعاونون، وإذا كنت وحدك لم =

٩. ضمّن أوراق طلب الموافقة رقمَ هاتفك الخلويّ أو رقمَ أيّ مشرفٍ بحيث يمكن لذوي الطلاب التواصلَ معك في حال تعطُّلّ هاتف الطالبِ أو فقْدِه ، و ليكن هذا الهاتف مفتوحاً طيلة مدّة الرحلة ، و لا تضعه على الصامت أو ترمِ به جانباً ! و بالإمكان الاستغناء عنه في ساعات النوم .

١٠. احرص على أن يكون وقت الرحلة مناسبًا للجميع[١٤٧] .. و إذا كان تأخيرها أسبوعًا و نحوه سيجعل الحضور أفضل[١٤٨] فبادر بالتأخير إذا لم يتضرر البرنامج العام للحلقة .

١١. من أظهر علامات النجاح المبدئي للرحلة حضور الجميع ، فكثرة العدد مع جودة العيّنات حياةٌ للرحلة ! لا تفرّط في أحد من طلابك .. احرص على حضورهم و مشاركتهم ، و مَن كان له ظرفٌ فساهم معه في تجاوزه ، و إذا رغب منك أن تشفع له عند والده في الحضور – إن كان ممانعًا – فافعل بالطريقة التي تراها مناسبة ![١٤٩] و لا تتحرج من أن يشارككم طلابٌ من خارج الحلقة في هذه الرحلة ، فأنت في مقام دعوة .. حتى و إن لم يكن للطالب رغبةٌ في الانضمام إليكم مستقبلا ! فليست الرحلة مهرًا يؤديه الطالب ! و اعتنِ عنايةً شديدة في انتقاء الجدد ، و لا تحمل معك مَن سيكون عالةً عليك .. و لا ينضم إليكم إلا المُزكّى من ثقة سواء كان طالبًا أو مشرفًا أو شخصًا من خارج المجموعة .

يمكنك الطبخ ولا غيره، ولا بأس بالنهد، قد تناهد الصالحون. كان الحسن إذا سافر ألقى معهم، ويزيد أيضاً بقدر ما يلقي، يعني في السر) .

١٤٦) في الغالب أنها لا تكفي ، حينها .. إياك أن تتساهل و توسّع الذمة فتأخذ من التبرعات ! أولاً : ترفعّاً . ثانياً : هذه رحلة للترويح فلا تسوّغ لنفسك ما لا يستساغ ! دع التبرعات لما هي له !!

١٤٧) خصوصًا أنه في السنوات الأخيرة ظهر لنا الاختبار التحصيلي لطلاب الصف الثالث الثانوي ، وهم ممن لا يُستغنَى عنه ، فتأخير الرحلة من أجلهم مُحتّم !

١٤٨) أفضل من ناحية العدد و من ناحية الاستعداد النفسي .

١٤٩) بعض العينات لا تحب المشاركة في هذه الرحلات ، أحيانًا قد يكون السبب غير معلوم و لا مفهوم .. حاول معه مرة و مرتين و لا تُكثِر ! أحسبُ أن الإلحاح منفّر .

١٢.قبل الرحلة بيوم أو يومين ، و بعد حصر العدد النهائي .. اجمع من الطلاب أمتعتهم و جَهَازهم ، و اطلب من مشرفي اللجان أن يحضر كل واحد منهم ما يتعلق بلجنته من المتاع ، و لتجمع كل هذه الأشياء في مكان واحد ليتم لك جمعها في الحافلة – يوم الانطلاقة - في أسرع وقت ممكن ، و إذا تيسّر لك أن تضعها في الحافلة قبل سفركم بيوم فقد فعلتَ أمراً عظيما .

١٣.احتط لنفسك و اطلب من الجميع أن يحضر هوّيته الخاصة به[١٥٠] ، فإن لم تتوفر فالبطاقة العائلية ، أحياناً .. تتعطل الأمور بسبب أشياء تافهة كان بالإمكان تجاوزها لو أننا احتطنا .

١٤.خذ معك خطابًا رسميًا ممهورًا بختم الجامع على ورق رسميّ ، يتضمن ما يلي : اسم الحلقات – التاريخ – الوجهة – مدة الرحلة – أسماء المشاركين : المشرفون ثم الطلاب – توقيع المشرف العام على الجامع مع الختم الخاص بالحلقات وضع هذا الخطاب في ملف "فولدر" يُشعر بقيمته[١٥١] .

١٥.أحضر معك آلة تصوير "فيديو" .

١٦.عِد السائق – إن كنتَ ستفعل – بإكرامية ماديّةٍ منك في نهاية الرحلة[١٥٢] - خلافَ أجرته - و هذا يجعله يقوم بعمله وهو في غاية الغبطة و الارتياح ، و تجعل روحه أكثر انفساحاً تجاهكم ، و هذا ينعكس على الرحلة بإيجابية كبيرة .

- **المرحلة الثانية** : أثناء الرحلة .

١. إن تيسر لكم السفر يوم الخميس أول النهار فهو السنّة ، و إلا فاختر وقت الانطلاقة بحيث تصل إلى المكان ليلاً – على موعد النوم – و بكّر ساعتين

---

١٥٠) بطاقة الأحوال .

١٥١) بعض الشكليات تريحك كثيرًا ، هذه مجربة .. نقاط التفتيش تضرب لك أعظم تحية بمجرد إظهارها .

١٥٢) إكرام السائق مُجَرّب و أثره ملموس ، و مالٌ يُدفع في سبيل الراحة ليس بهدر ! ٣٠٠ – ٥٠٠ ريال من أجل راحتكم تهون .

احتياطاً .. و هذا إذا كان المكان بعيداً ؛ لأن الجميع سيكون مرهقاً من عناء السفر و لا مجال لإقامة برنامج ! فبمجرد الوصول يتم إنزال الأمتعة إلى السكن ثم وجبة العشاء ثم النوم ، لتبدأ يومك التالي بجدّ و نشاط . أما إذا كانت الوجهة قريبة فأنت و شأنك .

٢. وجود سيارة صغيرة مع "الباص" سيخدمكم كثيرا ، خصوصاً أنك ستحتاج إليها في التنقلات السريعة و الخفيفة كثيرا ، و هذا يتعسر بالباص .. و أنت بالخيار .. إما أن تُحضر السيارة معك من حيث انطلقتم أو بإمكانك استئجارها من البلد المقصود ، و كلا الأمرين له سلبياته و إيجابياته ، و ليس المجال هنا مجال مفاضلة و ترجيح .

٣. قسّم الشباب – قبل انطلاقتكم و بمدة كافية - إلى ثلاث مجموعات / أسر ، ليتسنى لك توزيع أعباء الرحلة على الجميع ، و لتضع في حسبانك ما يلي :

- حُسن اختيار القادة (عملي – محبوب – حكيم) .
- تكافؤ قدرات أفراد المجموعات في شتى المجالات و الأنشطة ما أمكن .
- العمل على إيجاد جو تواؤمي بين أفراد كل مجموعة ، لا تجمع بين اثنين متباغضين ، و أولى مَن تراعي نفسيّته قائد المجموعة .
- التواصل الدوري و المباشر مع قائد المجموعة و العمل على تجاوز العقبات و الصعوبات .

٤. بحسب قُرب الجهة المقصودة و بُعدها يكون عدد مرات توقّف المجموعة في محطات الوقود ، لا تزد فتتأخر و لا تنقص فتتأثر ! يبدو لي أن الوقوف مرةً واحدة كل ٢٥٠ – ٣٠٠ كم شيءٌ معقول .

ستتوقف لأداء صلاتي الظهر و العصر فاجعل الغداء و التزود من الوقود معها مرةً واحدة ، و قل مثل ذلك في صلاتي المغرب و العشاء !

٥. في طريق السفر تحديداً .. تحقق – بعد نزولكم في محطة أو مطعم أو لأجل دورة المياه أو غير ذلك - من وجود الطلاب بعد الركوب في "الباص" ، و لا تتحرك إلا و قد تأكدتَ من ذلك . نسيان أحد الطلاب يكلّف الكثير[١٥٣] .. فقليلٌ من الاحتياط مع شيءٍ من التأخر خيرٌ من العجلة مع باهظ التكاليف[١٥٤] ! و هناك طرقٌ كثيرة تكفل لك التحقق من وجودهم كاملين مع السرعةِ دونما تأخر ، و أفضلها أن توكّل قائد كلّ مجموعة بالتحقق من وجود جميع أفراد مجموعته ، فيكون تواصلك مع القائد مباشرة .

٦. حسب الخطة .. لتكن برامج كل يوم متنوعة ما بين جدّ و ترفيه ؛ كي لا يتسرب الملل إلى النفوس ، و خذ قاعدةً ذهبية : التدرّج في طرح البرامج حسب قوّتها مطلوب ، و اجعل أقوى البرامج في آخر الأيام ، لا تستنفد رصيدك القويّ في الأيام الأولى .. هذه عجلةٌ و مراهقةٌ تربوية ! فإن اللحظات الأخيرة هي التي تخلد في الأذهان ، فاجعل ختامك أشبَه شيءٍ بالجنون !

٧. كمسافر .. أنت مخيّر بين القصر لوحده أو القصر و الجمع معاً ! و الحال يُخبر أن الاكتفاء بالقصر يجعل جدول الرحلة أكثر ترتيباً و وضوحاً – باستثناء الطريق – و قد تضطر إلى الجمع مع القصر أثناء الرحلة فلا تتحرج ! و أخيرًا .. أنت أدرى بظروف الرحلة و ملابساتها[١٥٥] .

---

١٥٣) من المضحكات المبكيات أنهم نسوا أحد الطلاب على طريق سفر ولم يكن هاتفه الجوال معه ! فتأمل المصيبة ! و تعظم المصيبة حين تعلم أنه طالبٌ في المرحلة المتوسطة !!

١٥٤) و هنا تتجلى فائدة السيارة الصغيرة حين تكون مرافقةً لكم من مكان انطلاقتكم ، إذ تعود السيارة وحدها للطالب المنسيّ دون أن يعود الباص كله .

١٥٥) يقول عبدالله : " كانت لنا تجربة رائعة مع لجنة جديدة أسميناها بـ (لجنة المصلى) جاءت فكرتها لما رأينا أن اهتمامنا بالصلاة في رحلاتنا ليس بالشكل المطلوب، ومن أسباب ذلك عدم تهيئة المصلى .. ولكي نبيّن للشباب أهمية الصلاة عمليًا استحدثت هذه اللجنة وهي على اسمها ..حيث تجهز لنا مكان الصلاة .. فبدلا من أن نقوم ونصلي على نفس فرشتنا التي أكلنا وتسامرنا عليها .. صارت هذه اللجنة تهيئ لنا مكانا خاصا بمدّاتٍ(فرشات) خاصة ونظيفة للصلاة .. مع تجهيز المصاحف والحوامل أمام الصفوف ومعها بعض كتب التفسير .. ومتابعة الأذان والإقامة وإعلان وقت ما بين الأذان والإقامة ولا ننتظر أحدا بعدها إلا أمير الرحلة .. فنكون مثلا في مسابقة نضحك ونلعب .. فإذا أذن المؤذن فإذ بالمدات مفروشة والمصاحف موضوعة فمباشرة يقوم الشباب ويتوضؤون ويتجهون للمصلى .. فلا تسل عن الأثر الذي لمسناه بعد هذه اللجنة . =

٨. معرفتك بالمنطقة و إحاطتك بطرقها و أحيائها و متنزهاتها و شعابها يختصر عليك الكثير من الزمن بدلاً من ضياع الوقت في اجتهادات و توصيف ارتجالي ! و هنا تظهر أهمية الذهاب للمنطقة قبل الرحلة بمدة ليتسنى لك استيعابها قدر الحاجة ، و معرفة الأماكن المستهدفة بالنزهة أو الزيارة انطلاقاً من السكن ، و هنا .. استفد من الأجهزة الملاحية و وظّفها توظيفاً جيداً لتسعدَ و تغنم .

٩. مشرفو المحاضن في الرحلات على مذهبين : ١.المذهب الأول يطالب بعدم النوم بعد الفجر ، و استثمار هذا الوقت في التنزّه و إقامة البرامج ! ٢.المذهب الثاني يطالب بالراحة و النوم بعد الفجر ليبقى الجميع سائر اليوم في نشاطٍ و تفاعل ! جربتُ كلا الرأيين و أجدني أميل إلى الثاني ، لأن الرأي الأول ينتج منه – من خلال ممارسة – أن الأغلبية يُصَابون بالتعب والإرهاق مع آخر العصر ، و يستمر الإرهاق إلى وقت النوم و هذا يُضعف البرامج المسائية ، وهي برامج بكميّةٍ لا بأس بها !!

فإن قيل : يُعوَّضون بقيلولة في الضحى أو بعد الظهر ..! فالجواب أن المسألة لا تنضبط فالبعض يفسد على البعض الآخر ! و مع ذلك .. إن تمّ ذلك فهو حسن ، و قد تحقق المقصود ، و الهدفُ واحد .

١٠.مع تغيّر المكان و الطعام .. يُصاب البعض ببعض العوارض الصحيّة ، ما بين عارضٍ شديد و خفيف ، احرص أن يكون الغذاء صحيًا ما أمكن ، و وجود الفواكه و الخضار يخفف من المشكلة بشكلٍ كبير .

١١.أحيانًا قد يحصل تأخر في الوجبات ، و ربما بعض الطلاب لا تنفتح شهيّته لبعض الوجبات ، و ربما بعضهم لا تكفيه ثلاث وجبات في اليوم فيصاب بالحرج .. فالأولى أن تقوم – أيها المشرف – بتوفير بعض الأغذية الصحيّة

وأعمالها باختصار: تجهير المدّات "السجّاد" وتكون نظيفة للصلاة - تجهيز المصاحف وكتب التفسير والحوامل - متابعة الأذان والإقامة والإمامة- متابعة كلمات ما بعد الصلاة - متابعة حفظ المتن إن كان وقت تسميعه بعد الصلاة" .

الخفيفة على مدار الساعة (تمر – فواكه – كيك ... إلخ) تسدّ حاجة الطالب و لا تشبعه ! و لا مانع – أثناء تنقلكم بالباص – من الوقوف عند محلات التموين و السّماح للطلاب بالتبضع منها فهم يبتهجون لهذا كثيرا .

١٢.إذا عزمتم على التنزّه في مكان معيّن فأرسل السيارة الصغيرة في وقتٍ باكر لحجز المكان المناسب[١٥٦] ، الباص سيتأخر لتحميل الأمتعة المخصصة للنزهة ناهيك عن سيره البطيء مقارنةً بالسيارة ، فلا تتهاون في ذلك ! وصولك للمكان باكراً يعني مزيداً من الخيارات و الفُرص !

١٣.وثّق بآلة التصوير[١٥٧] ما تراه مناسبًا من الأحداث و البرامج ، و ابتعد عن تصوير مَن لا يرضى و ما يُستهجن[١٥٨] !

١٤.كلما شعرتَ بوجود الفوضى و التسيّب من قبل أفراد الرحلة الجأ إلى اللجنة الرياضية و اطلب من مسؤول اللجنة أن ينادي بالجمع الرياضي[١٥٩]و من تأخر فلا يلومنّ إلا نفسه ، و العقاب موعده ! ثم ألقِ تعليماتك و تنبيهاتك على أسماعهم ثم ائذن بالانصراف إلى حيث أردتَ أن ينصرفوا .

١٥.تكلمنا عن العقوبات بشيء من التفصيل في لوحةٍ مضتْ فلتراجعها ، و يعنيني هنا .. أن تستثمر هذه العقوبات فيما يخدمُ الرحلة ! مثلاً : إذا عزمت على إيقاع عقابٍ على أفراد وقعوا في بعض المخالفات فليكن عقابهم تنظيف المطبخ أو الاستراحة أو غسيل الأواني أو نقل الأمتعة إلى الباص أو تنظيفه أو ما شابه ذلك ! وظّف العقوبةَ في صالح الرحلة ففي ذلك تخفيفٌ للعبء على المجموعات و الأفراد !

---

١٥٦) يرحمهم الله .. كانوا يذهبون لحجز المكان ليلاً و يبيتون هناك ! اللهم لا تحرمهم أجر ما بذلوا .

١٥٧) ولو أوكلت المهمة لمن له باعٌ في ذلك من الطلاب فهو أفضل .

١٥٨) البعض لا يرغب في تصويره فلا تعكّر عليه .. و بعض اللقطات اقتناصها منقصة ! تصوير أحدهم في الباص وهو نائم مثلًا..

١٥٩) لمن لا يعرف الجمع الرياضي .. اسأل أيّ طالبٍ في حلقةٍ تربوية يأتك بالخبر اليقين .

١٦.لتعلم – و مثلك يعلم – أن نظافة السكن بكافة ملحقاته بالإضافة إلى نظافة الباص تُشعران الجميع بالارتياح ! فلتحرص على ذلك طيلة مدة الرحلة .

١٧.في كلّ ليلة .. إذا خلد الجميع للنوم .. اجمع مشرفي الرحلة و أقم اجتماعاً مصغّرا مختصرا ، الهدف منه .. الاطلاع على سير الرحلة غداً و معرفة النواقص لتتميمها ، مع ملاحظة السلبيات و الأخطاء السابقة و التأكيد على ضرورة تجاوزها مستقبلا .

١٨.بعض العبادات و السلوكيات القويمة لا يتسنى لك غرسها في الطالب كما يتسنى لك ذلك في هذه الرحلات الطويلة ، فلا تهملها .. و من ذلك : أذكار الصباح و المساء – الوتر – خدمة الأفراد – ...

١٩.يا داعية .. السائق السائق ! لا تترفع عليه و لا تزدره و لا تهمله و امنحه فرصةً ليكون شريككم في الرحلة لا قائد مركبة فحسب ! فليشارككم طعامكم و شرابكم و فعالياتكم و مناشطكم .. و إذا كان كبيرَ السنّ فعامله كأبيك و لا تحمّله ما لا يطيق ! و تذكّر أن الدعوة لا تقف عند حدود طلابك ، فلتلبس ثوب الدعوة مع الجميع ، و اعلم – أيضاً - أن طلابك يرمقون من طرفٍ خفيّ .. يُعجَبون فيقتدون أو يمتعضون فيضطربون .. أنت أنت من يختار !! و إذا تبيّن لك أن في خلطته ضررا فادفع ضرره بالتي هي أحسن .. بالحكمة و الموعظة الحسنة .

- **المرحلة الثالثة** : ما بعد الرحلة[١٦٠] .

١. وزّع استبياناً تستطيع من خلاله أن تأخذ انطباعاً عاماً عن الرحلة ، و لتستفد منه في الإعداد لرحلاتكم القادمة[١٦١] ، و لا تتبرّم من كثرة النقد و الاعتراض .. فللكمال ضريبة .

---

١٦٠) مع نهاية الرحلة و الاستعداد للرحيل

٢. قبل المضيّ إلى دياركم .. اجلسوا جلسةً ختامية .. و ليتكلم كلٌ بما يناسب (شكر – اعتذار – توجيه ... إلخ) و ليغفر كلٌ لصاحبه .

٣. اترك المكان كما كان أو خيراً مما كان قدر الإمكان ! وزّع العمل بين المجموعات .. مجموعة مخصصة لتنظيف المطبخ و دورات المياه و أخرى لغرف السكن و الثالثة لترتيب الأمتعة في الباص .. و هكذا

٤. إذا استوى الجميع على الباص و تأهبتم للرحيل و لم يبق أحدٌ في السكن .. اطلب أحد المشرفين و ادخلوا السكن للمرةِ الأخيرة و فتشوا غرفَه و ملحقاته و أجيلوا أبصاركم .. فربما نسيَ أحدٌ شيئا[١٦٢] .

٥. إذا وصلتم دياركم – بسلامة الله – فحبّذا لو سلّمتم الباص لصاحبه نظيفاً كما أخذتموه أول مرة ، قد تكونون مرهقين مُتعبين .. لا أقل – حينئذٍ – من دفع تكاليف تنظيفه للسائق[١٦٣] .

٦. ارفعَ عقيرتك[١٦٤] و حذّر الجميع من نسيان أيّ شيء من متعلقاتهم في الباص ، و أبلغهم أن كلّ منسيّ لن يعود إلى صاحبه ، فإذا ارفضَّ الجمع و تمزّقت الملامح فاصعد الباص و تفحّصه أخيراً .. فما وجدتَ فيه من الثمين المنسيّ فاحتفظ به و ابحث عن صاحبه ، و ما لم يكن ثمينا فإلى أقرب جهةٍ خيريةٍ تستفيد منه .

٧. ما وثّقته بآلة التصوير .. انتقِ منه ما يناسب ، و اصنع منه عرضًا مرئيًا لأهم و أفضل أحداث الرحلة ، و اعرضه على الطلاب في الوقت المناسب .. و زوّد كلّ واحد بنسخة .

أتمنى لكم رحلةً سعيدة ..!

---

١٦١) يحبّذ أن يُخبَر الجميع منذ بداية الرحلة بوجود استبيان في نهايتها ؛ كي يترصد الجميع للملاحظات منذ البداية بدلاً من مطاردتها في الحنايا و الزوايا فيما بعد .

١٦٢) فقدتُ في أبها آلةَ تصويرٍ رقميّة باهظةَ الثمن بسبب التفريط في هذا ! و من الله العوض .

١٦٣) فإن قلتَ : هذا داخلٌ ضمن قيمة الأجرة . قلتُ لك : صدقت .. لكنّ الإحسان من شيَم الكرام .

١٦٤) صوتك .

اللوحةُ السادسة و الثلاثون

فنّيات في الرحلات

لا شكّ أن الاسترواح و الاستجمام مطلبٌ يحتاجه كل منشطٍ جادّ من أجل تجديد روحِ أفراده ، و تحريك هممهم ، و طرد الملل و السآمة من نفوسهم ، غير أن الرحلات نفسها قد تُصابُ بشيءٍ من الرتابة يجعلها في نظرِ البعضِ شيئاً مملاً ، و غايةُ ما سأذكره هنا .. شيءٌ من الأفكار بعضها مجرّبٌ و بعضها غيرُ مجرّب ، أسعى من خلالها لتغيير نمط الرحلات و جعلها شيئاً مختلفاً ولو بشكلٍ جزئي ، فخذ ما شئت و دع ما شئت ، فالأمر أولاً و آخراً إليك ..

و بالمناسبة : هذه الأفكار قد ينفع بعضها لرحلات آخر الأسبوع ، و بعضها الآخر لرحلات المبيت ، و بعضها الثالث لرحلات المبيت الطويلة (الختامية) ، فاختر ما شئت لما شئت .

الفنيّة الأولى : احرص على تغيير المكان كل أسبوع ، و بالقدر الذي تستطيع ، و لا تكرر الذهاب للمكان نفسه في فترات متقاربة ، فالتكرار يؤدي إلى الملل ، اجعل في كل أسبوع استراحةً تختلف عن التي قبلها ، و كل أربعة أسابيع رحلة يومٍ كامل[١٦٥] ، و اجعل في الفصل الدراسي الواحد نزهتان برّيتان ، بهذا التنويع ستطرد جزءاً كبيراً من الملل .

الفنّية الثانية : إن كنت تعتمد نظام مرور الطلاب في حلقتك ، فغيّر تشكيلة الطلاب في السيارات تغييراً جذريا ، و ليكن هذا في رحلةٍ واحدةٍ خلال الفصل أو في رحلتين أو ثلاث ، بحسب ما ترى .

الفنّيّة الثالثة : اجعل الطلاب يقومون بمهمة المرور في إحدى الرحلات بدلاً عن المشرفين ، انتقِ أربعةً أو خمسةً من الطلاب وفق معايير معينة ، و وزّع عليهم جدول مرور الطلاب ، و ليكن حال المشرفين كحال الطلاب في الانتظار على عتبات البيوت ، عُد إلى الأيام الخوالي لعلك تتذكر أهل الفضل فتتمتم لهم بالدعوات .

---

١٦٥) لا يلزم بالضرورة أن تكون من الفجر ! كلنا نعرف أن يوم الخميس هو يوم راحةٍ للطالب من عناء أسبوعٍ دراسي .. و مثله المشرف ، و الغالب أنهما يقضيان نهارهما في النوم .. و في مثل هذه الحالات يكون حضور الرحلة من الفجر أمراً لا يُطاق ! فلتكن بداية الرحلة من وقتِ الضحى ، و قد جربنا هذا فوجدناه أليَق .. و الأمر إليك .

الفنيّة الرابعة : احرص على استضافة إحدى الحلقات في منطقتك ، و ليشارك جميع طلابك في إعداد برنامجٍ لهم ، يؤسفني أنني لا أرى مثل هذه اللقاءات على مستوى الحلقات القريبة مني ، من المفترض أن يكون هناك لقاءٌ واحدٌ على الأقل في الفصل الدراسي ، و هذا فيه تغيير للروتين ، و طردٌ للرتابة ، و يعين طلابك على مدّ أفقهم في العلاقات ، و يحصل أيضاً بهذا اللقاء تبادلٌ للخبرات ، و هذا شيءٌ رائعٌ بحدّ ذاته بدلاً من الانكفاء و الانزواء .

الفنيّة الخامسة : أشرِك معكم وجوهاً جديدةً في الرحلة .. سواءً كانت هذه الوجوه من المشرفين القدامى أو مِن الطلاب المنقطعين .. أو حتى من الطلاب الجدد ! كل شيءٍ جديد في محضنك – ولو لم يدُم طويلا – سيترك أثَرَه في نفوس الطلاب و المشرفين .. الجديد أمرٌ غير معتاد ، و الأمر غير المعتاد يُحرّك الحواس و يظلّ محفوراً في الذاكرة .

الفنيّة السادسة : اجعل طريقة الوصول لمكان الرحلة (استراحة – متنزه - ...) مبتكرة ! حدد مكان الرحلة ثم وزّع الشفرات على قادة السيارات .. و مَن يتجاوز العقبات و يصل أولاً يُكافئ هو و من معه[١٦٦] .

الفنيّة السابعة : غيّر نوع البرنامج .. إن اعتدتم على كرة القدم في البرنامج الرياضي فاجعلوها كرة طائرة أو ألعاب خفيفة أو نحوها[١٦٧] ! و إن اعتدتم على إلقاء أحد المشرفين في البرنامج الثقافي فاجعلوها استضافةً لشخصيّةٍ معروفة أو موضوعاً يلقيه أحد الطلاب أو مسابقةً ثقافية أو عرضاً مرئيا لمادة مفيدة أو أي فكرة تناسب[١٦٨] ، و بالنسبة للاجتماعي .. فإياك أن تهمله فهو ميدان خصبٌ للتجديد و طرد الرتابة .

---

١٦٦) فعلوا ذلك يوماً .. فلا تسل عن شوارع المدينة كيف أمست ! شفرات عند الجامعة و أخرى عند البنك و ثالثة في التموينات ! كان شيئاً جديدا و ظريفاً و عجيبا ! و تذكر أن الأمر يعتمد على مدى ملاءمة ذلك لظروف حلقتك !

١٦٧) و إن شئت ألغِ الرياضي و استعض عنه ببرنامج آخر لا يقل قوةً عنه .

١٦٨) الثقافي بالذات يحتاج إلى تجديد و تطوير .. و لا تكتف بالمواضيع الإيمانية و التربوية و السلوكية .. تطلّع إلى الموضوعات العلمية البحتة التي تنفع المتلقي ، و كذلك فعّل السلاسل المفيدة .. على سبيل المثال : كانت هناك سلسلة بعنوان : (لقاء مع ناجح) و كانت دورية كل ٣ – ٤ أسابيع ، و هي على مسماها .. يُستضاف = كل ناجح في مجاله و يُستفاد منه في معرفة المجال و كيف تم له النجاح (إعلامي – طبيب – داعية ..) لاقت تفاعلاً و قبولاً منقطع النظير .. البرنامج الثقافي أرض خصبة لو بذرنا و غرسنا فيه كما يجب لجنينا الثمار .

الفنيّة الثامنة : لمَ تُصرّ على أن تكون الرحلة في يوم الأربعاء كلّ مرة ..؟ جرّب يوم الخميس ولو بشكلٍ محدود ، و اشطح يومًا و اجعلها يوم الجمعة ! التغيير مطلوب !

الفنيّة التاسعة : حافظ على استمرار الجوّ التنافسي في البرامج التنافسية ، فمثلًا في مباريات كرة القدم اجعل مستويات الفِرق متقاربة حتى لا يتسرب الملل إلى النفوس .. أن يفوز فريقٌ على آخر بفارق هدف يعني أن الحماسَ كان مشتعلًا طيلة فترة اللعب ، و أن يفوز فريقٌ على آخر بفارق أربعةِ أهداف يعني أن أحد الفريقين أو كليهما أصيب بالفتور و الملل ! وقل مثل هذا في المسابقات الثقافية و غيرها[١٦٩] .

١٦٩) مع مراعاة ألا يؤدي هذا التنافس إلى التشاحن و التباغض .

اللوحة السابعة و الثلاثون

السحر الذي نريد ..!

هوليوود - أجلكم الله – بمشعوذيها، وكهنتها، وشياطينها، وكلابها من الإنس والجن ، استطاعت أن تزرع في أذهان الكثير تلك المثالية – المزعومة – التي يعيشها الشعب الأمريكي، كما استطاعت أن تقنع الكثير بأن الحضارة المادية الأمريكية هي المثال الحي الحاضر على الحضارة الراقية المتقدمة، فانخدعت الأمم بذلك، وسارت الدول في إثر الدول يقتفون أثر هذه الحضارة المزيّفة، التي زيّنها لهم الساحر الأكبر (هوليوود)، وأصبح الكثيرُ أمريكيَّ الهوى، يودُّ أن لو كان أمريكيّ المنشأ والموطن ، غير أن الواقع يخبرنا أن الانحلال الأخلاقي وتفسُّخ القيَم وانعدام الحياة الروحية و ترهّل الوضع الاجتماعي قد بلغ أوجه في تلك البقاع المنتنة، بالإضافة إلى استشراء الحياة المادية التي تقوم على المبدأ المتهافت الجائر (الغاية تبرر الوسيلة) ..

إن الإعلامَ برجاله وآلاته لأداةُ سحرٍ، من أحسنَ توظيفها فسيصلُ إلى ما يريد، ومن أهملها وجعلها من بُنيّاتِ الطريق وسقْط المتاع فقد أخطأ التصوّر وأساء الفهم.

وكلُّ جميلٍ في هذا الكون، لا بد لنا – دعاة الخير– أن نلتفت إليه، ونُلفتَ أنظار الناس إليه، وأن نستخدمَ كل وسيلةٍ مشروعة في سبيل تحقيق ذلك.

ولا جمالَ في الكون يعدلُ جمال القرآن وأهله، الذين طيّبوا أفواههم بكلامِ الله، وزيّنوا أفعالهم باقتفاء أثره، وملازمة هديه، والمضيَّ طوْع أمره، إننا بحاجةٍ إلى سحرٍ يُجلّي لنا هؤلاء، بحاجةٍ إلى سحر قيسٍ في ليلاه، وسحر جميلٍ في بثينته.

صدقوني .. لو ملك قيسٌ ما تملكهُ (هوليوود) من الآلات والصناعات والتقنيات والكفاءات، لجعلنا نرى (ليلى) أسطورةً لا تُضاهى، وملاكاً لا يُبارى، فأين نحن من هذه الصنعة ..؟

أين حلقاتنا ومناشطنا ومحاضننا الخيرية والدعوية من الإعلامِ وسحره؟ سواءً على المستوى الصغير القريب أو الكبير البعيد!

حدثني عبدالله - وهو شابٌ صغير في الصف الثاني المتوسط - قال: كان أبي يمتعضُ من مشاركتي في حلقةٍ بعيدةٍ عن البيت، لكنه لم يكن يريد أن يكسر رغبتي تلك، وبالكاد كان يوافقُ على الرحلة في نهايةِ الأسبوع، لأنه لا يعرفُ حقيقةَ البرنامج الذي يُقام، ورغم أني كنتُ أخبره بسيْر البرنامج وخطته إلا أنه ليس من رأى كمن سمع، أما رحلات المبيت والأسفار، فمن الندرة أن يوافق ، وإن وافق فهو الفتح المبين .. إلخ. ثم قال لي: أتذكر يوم أن سافرتم إلى الطائف وتخلفتُ عنكم بسبب رفض والدي ..؟ قلتُ : نعم أذكر ذلك ولا أنساه. قال : أتذكر بعد تلك الرحلة بمدّة يوم أن ناولتني نسخةً من عرضٍ مرئي لأحداث الرحلة وقد أمرتني أن أزوّد به أبي وأمي ؟ قلت له: أذكر ذلك جيداً . قال: فإنني أطلعتُ والدي ووالدتي عليه وسُرُّوا به أيما سرور، ومنذ ذلك اليوم ووالدي لا يردّ لي طلباً، يوافق على الرحلةِ دونما استفصال أو سؤال، بل همس في أذني يوماً فقال: (يا بنيّ ! استمسك بهم، ولو أدركتُهُم في شبابي لما تجاوزتهم).

أعرفُ أباه جيداً، لا يُرى على مظهره سيما الالتزام والاستقامة، بحق تركت كلماته في نفسي أثراً عميقا، فشهادته بعيدةٌ عن العاطفةِ ولا بد، إذ لو كان أبوه ممن ظاهره الاستقامة لقلتُ : تعاطفَ مع من هم على شاكلته.

يقول عبدالله : كان أبي يظن أن في الأمر شدةً وجموداً، وأن المسألة تقوم على الأمر والنهي والغلظة والجفاء، لم يكن يظن أن للترفيه في الحلقةِ مكاناً، فلما رأى ما رأى من المسابقات والألعاب الرياضية والترفيهية، بالإضافةِ إلى البساطةِ وعدم التكلفِ في المسكن والمأكل والملبس، وكذا التعامل الراقي من قبل الإخوة المشرفين مع الأحبة الطلاب، تغيّرتِ النظرة عنده تماماً، فصارَ من أشد المؤيدين لبقائي في الحلقة ومشاركتي لأفرادها في الرحلات والزيارات، بل وعدني بهديةٍ ثمينة متى ما حفظتُ كلام الله، وأردفَتْها أمي بهديّةٍ لا تقلُّ نفاسةً عنها.

عرضٌ مرئي، لا تتجاوز مدته العشر دقائق .. إخراجه ضعيفٌ ركيكٌ، يحل مشكلةً دامت فترة من الزمن، جربنا عدداً من الحلول مع والد عبدالله فلم نصل إلى ما نريد، حتى قررنا أن نستخدم هذا السحر، فصارَ الصرفُ بعد ذلك عطفا ..

أحبتي، مُهجةَ فؤادي، نبضَ شرياني، آلَ المحاضن والحلقات .. اسحروا الشباب، اسحروا آباءهم، اسحروا أمهاتهم، اسحروا أقاربهم ، اسحروا كلَّ من تستطيعون سحره، ألستم تريدون صلاح الأمة ..؟ ألستم تريدون صلاح شبابها ..؟ ألستم ترددون بين الفينة والأخرى بأنكم دعاة وعلى طريق الدعوة سائرون ..؟ فلمَ الإحجام عن هذه الآلةِ الساحرة ..؟ انشروا مناشطكم وأقوالكم وأفعالكم وتضحياتكم ليعلم الناس من أنتم، ولن يقدح ذلك في إخلاصكم متى ما كان الباعثُ سليم المنبت.

أحبتي، أقترحُ عليكم ما يلي:

١. الحرص على توثيق مناشطكم وإبرازها بين الفينة والأخرى، إبرازها عند أهالي الطلاب وأقاربهم، مع مراعاة انتقاء المقاطع المناسبة، مع التأكيد على الطلاب بضرورة اطّلاع الأهل عليها.
٢. نشرة بسيطة يصدرها الطلاب كل أسبوع أو كل شهر - بحسب القدرة - يُبيّن من خلالها ما قُدِّم وما سيُقّدَّم، مع الحرص على إخراجها بقالبٍ جذاب، وتطويرها حيناً بعد حين، لأن العمل الذي لا يُطوَّر يموت !
٣. إقامةُ برنامج ولو مرةً واحدةً في السنة إما لآباء الطلاب، أو لإخوانهم، أو حتى للأشبال الصغار من إخوانهم وأقاربهم، أما المضمون فكلٌّ بحسبه، وسيعطي هذا البرنامج مؤشراً جيداً عن الحلقةِ وأنشطتها.

اللوحة الثامنة و الثلاثون

تدوين التجارب

يطرقني سؤال ..!

يا ترى .. كم هو مجموع من التحقوا بالمحاضن التربوية "الحلقات" و تدرّجوا في مراحلها ثم تخرجوا في نهاية الأمر .. و أخيرا تصدّوا للعمل في الميدان التربويّ ؟

أعلمُ أن العدد كبير .. لكن الذي لا أعلمه .. أين إنتاج هؤلاء ؟ أين مدادهم ؟ أينَ أفكارهم ؟

أحبابي .. كل شيءٍ لا يحفظه الورق تبدّده الأيام !

لا تقل : بعضهم لا يُحسِن الكتابة .

هذه حجّة شوهاء .. الأمر كلّه أحاديث سامِر .. لا يستوجب فصاحةً و لا بلاغةً و لا تراكيب مذهلة و معان عميقة !

المتأمل في الأطروحات التي تتناول هذه المحاضن بشكلٍ مباشر يجدها ضعيفةً قرطيطة لا تتناسبُ مع عمر هذه المحاضن و لا مع عدد خرّيجيها .. فأين الخلل ..؟

ليس الخلل في كون المحاضن لا تستحق ! بل تستحق و زيادة .

و ليس الخلل في نقص التجارب وضعفها .. بل المرء يمرّ في هذه المحاضن على أحداثٍ و مواقف و تجارب لا يجدها في غيرها ..

و ليس الخلل في كون هذه المحاضن لا تعطي المرء ما يستحق التدوين .. فهذا كلامٌ ساقط مردود !

إنما الخلل .. كل الخلل في الإرادة ! يعمل أحدهم في الميدان التربوي السنةَ و السنتين و الثلاث و الأربع والخمس .. وأكثر.. ثم يزعم أنه لا يجدُ ما يستحق التدوين ! وا حرّ قلبي ! و اللّهِ لو عاش مع البهائم طيلة هذه المدّة لوجد ما يستحق الكتابة و التدوين .. فكيف به مع البشر ؟

و لا يلزم من التدوين أن يذكرَ المرء رأيه في القضايا التربوية – مع أهميّته مسبّبا – فقد يتحرّج البعض من ذلك ، فهناك ما يمكن تدوينه دون الحاجة إلى إبداء الرأي ، فقط يحتاج الأمر إلى عزيمةٍ و إرادة .. و قبل ذلك استشعارٌ لأهميّة الأمر !

و إذا وافقتني – أيّها الأنيس – على أهميّة التدوين .. فأعنّي على نفسك بإرادةٍ وقّادة ، و عزيمةٍ ناهضة ، و أنا بدوْري سأعينك بذكر بعض مجالات التدوين في هذه المحاضن ، ولو استقبلتُ من أمري ما استدبرت لأتيت عليها كلها ، و هي :

١. البرامج و الأفكار الجديدة : اكتب كل ما قام به محضنك من البرامج و الأفكار الجديدة مع التوصيف و ذكر السلبيات و الإيجابيات و الأخطاء التي تخللت البرنامج . و الكتابة في هذا المجال يستطيعها كلّ المشرفين فلا تحتاج لخبرة و لا لسابق تجربة ، و أنصح المشرفين الجدد بها ! لن يقلّ عدد الأفكار و البرامج المدونة عن ٢٠ برنامجًا و فكرة خلال أربع سنين ، ولو التزم بها أربعة مشرفين في أربع حلقات مختلفة .. كان المجموع ٨٠ برنامجًا و فكرة ! أيُستهَانُ بهذا ..؟ ثم تأمل الأجور حين تنشرها !
٢. المشكلات التي يمرّ بها المحضن : أعني كلّ ما يمرّ على المحضن من المشكلات ، سواء شرعية أو تربوية أو مالية أو إدارية أو غير ذلك .. اكتب المشكلة ، و اكتب الأسباب التي أدّت إلى المشكلة ، ثم اذكر الحلول التي سلكتموها لتجاوز المشكلة ، قد لا تعي .. أن كثيرًا من المشكلات مكرورة يمكن تجاوزها لو علمنا كيف نتعامل معها ! و لكن .. و لأنه لا سؤال و لا تدوين .. يطول الوقت في الصراع مع المشكلة ، و تُهدَر طاقةٌ كان بالإمكان توظيفها في أمور أخرى ..
٣. سدّ الثغرات و رتق الفُرَج : و هذه تحتاج لباعٍ طويل و تجربةٍ كافية ، فبعد أن يعيش المشرف / المربّي عمرًا لا بأس به في هذه المحاضن تتجلى له بعض جوانب النقص و القصور ، و هذا النقص و القصور يأخذ صورةً عامة ..

بحيث لا يتعلق بأفراد معينين ، فيقوم صاحبنا بالكتابة - بعد التفتيش و البحث - عن أسباب القصور و علاجه ، و يتناول – أيضًا – السلبيات التي يراها في المحاضن مع التوجيه حيالها ، و لا مانع من أن يتناول الإيجابيات من باب التشجيع و المؤازرة .

٤. الخواطر التربوية : و هي كُليمات تعبّر عما في مكنون النفس تجاه شيءٍ ما يتعلق بالتربية .. يحرّكها موقفٌ أو ذكرى أو استشراف مستقبل ! و هذه الخواطر سهلةٌ ميسورة لكنها لا تتنزّل إلا على صاحبِ همٍّ و قائد إصلاح .. فلتكن .

و قد يجد المرء مجالاتٍ أخرى يميل إلى الكتابةِ فيها كالمذكّرات الشخصية – مثلًا – فليفعل .. فهي – ولابدّ - تحتوي على تجارب يمكن أن يُستفَاد منها !

و أخيرًا .. يجدر بي أن أنبّه إلى أن ما يُكتَب في الساحة التربوية كثيرٌ منه لا يمسّ الواقع ، و كثيرٌ منه كلام عامٌ لا تتحقق معه كثير فائدة في مسائل الأعيان ! و قد وقفتُ على كتابات لأناسٍ عاشوا في عمق المحاضن التربوية .. رغم اختصارها إلا أنها تغني غناءً كبيرا ، و ما ذاك إلا لأنها خرجت ممن شاركوا في الحدث و عركتهم التجربة ، فتجدُ فيها ما يشجي الخليّ و يروي غُلّة الصادي !

و ليس بعد هذا إلا أن نبادر و نزيح عن أنفسنا غشاوة الكسل و أن نتذكر أن لنا إخوةً يقفون في مفترق الطرق حائرين .. فكن منارةً تهدي و فنارًا يضيء !

اللوحة التاسعة و الثلاثون

اترك أثرًا قبل الرحيل

كم ستعيش معهم ؟ سنة ..؟ سنتين ..؟ ثلاث ..!؟ لا تدري !؟

لا تختصر حياتك معهم في سنواتٍ لا تتجاوز أصابع اليد الواحدة !! عِش معهم حياةً طويلة .. لا ينقطع فيها عملك ، و لا تتوقف حسناتك !

دخلتُ مسجدًا في "الرياض" فـ شدّتني حاملات المصاحف حين نظرتُ إليها ، عليها آثار الشيخوخة و الكِبَر .. قد ملأتها السنونُ شيبًا ، و أترعتها الأيامُ هَرَما ! فلما حدّقتُ فيها .. وجدت : (إهداء : المركز الصيفي بثانوية المعتمد بن عباد – ١٤٠٩ هـ) أي شيء هذا المتناهي في القِدَم !؟ إنه صنيعةُ الإخلاص ! إنه الأثر بعد الرحيل !

هذا النشاط الذي تعمل فيه يريد منكَ أثرًا يبقى بعدَكَ و لا يزول ، أثرًا يبقى فيدوم معه الأجر و لا ينقطع ، و هذه فرصةٌ لا يهملها صاحبُ همّ و همّة .

لنا ثمان سنين و نحن نُقيم برنامجًا ابتدأه "سُهيل" ، انقطع "سُهيل" من أول سنة بعد إقامة البرنامج و لم ينقطع البرنامج .. و هذا غرسٌ مباركٌ قلَّ مَن يوفّقُ إليه !

انظر فكرةً جديدةً و فعّالةً و مؤثرة فاغرسها في المحضن قبل أن ترحل .. علّها أن تستمر فيبقي اللّه عملك ، أو انظر فكرةً يمكنك تطبيقها انطلاقًا من المحضن يكون أثرها خارج المحضن فيبقى لك أجرها !

بادرِ الفرصة واحذر فوتَها فَبُلُوغُ الْعِزِّ في نَيْلِ الْفُرَصْ

و بقدر أثرك في محضنك .. يكون أثركَ في الأمة ..

فالهمّةَ الهمّة !

اللوحة الموفية أربعين

و ماذا بعد الشباب ؟

اللّهُ – عز و جل – قرر لنا حقيقةً في غير ما موضعٍ من القرآن الكريم ، إذ أخبرنا في الآيات المحكمات ، أن كلَّ شيءٍ مهما طال أمده ، فإنه لن يستمر ، بل سيأتي اليوم الذي تغور فيه عينه ، و يجفُّ نبعه ، و يبدو كأحلامٍ مرّت سريعةً ، كالبرق الخاطف في الدجية المعتمة ..!

و ما حياتك – أخي المشرف – مع الحلقات و المكتبات إلا جزءٌ من الحقيقةِ التي قررها اللّه ، و جعلها سُنّةً من سنن الحياة التي لا تتغير و لا تتبدل " فلن تجد لسنة اللّه تبديلا و لن تجد لسنة اللّه تحويلا "[١٧٠] ، فمهما تعاقبت سنيُّ عمرك مع هذه الكوكبة الطيبة ، فإنه لا مفرّ من اليوم الذي ستذرفُ فيه الدمع حُزناً على فِراقِ رفاق الدرب و خلان الطريق ، و الواقع يخبرنا أن أصعب اللحظات على النفس ، و أشدها كيًّا للفؤاد .. هي تلك اللحظات التي تعانقُ فيها أجساد الأحبّة و أرواحهم راحلاً و مودّعا ..

و لستُ هنا بصدد تصوير المواقف و استدرار الدموع و تهييج المشاعر ، فالموقفُ أكبرُ من قلمٍ كليل مُدنَفٍ سقيم ، و الدموع أسخن مما قد يُظنّ ، و المشاعر تتلمظُ فوق الوطيس .. و لا أدري .. أتصبر فتنتصر ..؟ أم تجزعُ فيُفضَحُ كلُّ شيء ..؟

أيُّها الحِبّ .. إنني اليوم أهمسُ في أذنيك ، و أقرعُ قلبك ، و أنفضُ غُبار الغفلة من عينيك ، فأصخْ يا صاح ، و استمع يا حبيب ، فإن الأمر يعنيك بحقّ ، و إياك أن تثني عطفك ، فإن صاحباً لك قد اكتوى ..

و قبل أن ألج المخاضة ، و أخوضَ اللُجّةَ ، فإنني أؤكد أنني إنما أوجّهُ هذا الحديث ، و أبعثُ هذه الرسالة ، لمن جعل حياته مع الحلقات و المناشط الشبابية و الشباب الصالح حياةً تُشبهُ حياة الأنبياء ، حياةً ذات رسالةٍ و مبدأ ، يعيش معهم ليوجّه ، و يسافر معهم ليبني ، و يخالطهم ليرفع من همومهم و هممهم و اهتماماتهم ، يطبّبُ جراح طلابه ، و يمسحُ دمْع مريديه ، ينام طلابه على الأرائك .. و لا يرضى لنفسه إلا

---

١٧٠) سورة فاطر : ٤٣

الأرض فراشاً و مرقدا ، و هو يستشعر دعاء النبي ﷺ " اللهم من ولي من أمر أمتي شيئا فشق عليهم فاشقق عليه ومن ولي من أمر أمتي شيئا فرفق بهم فارفق به "[١٧١].

أما من جعل عمله مع هذه المحاضن وظيفةً يؤديها ليُسكِت غيره ، و همًّا ثقيلًا يسعى للتملّص منه ، فليعلم أن الشكر موصولٌ إليه ، و ليعلم مرّةً أخرى .. أن هذا الحديث لن يُفيدهُ بشيء – كما أحسب – لأنه يرى في اليوم الذي يترك فيه هذه المحاضن .. يومَ فرحٍ أكبر ، و يوم عيدٍ بهيج ! فأنّى لهُ أن ينهضَ بأمَّةٍ هدّتها الجراح !؟

و بعد ..

إنّ البُعْد عن هذه الصحبة الطيبة – لمن اعتادها – لموحشةٌ غايةَ الوحشة ، وليس الأمرُ بالأمرِ الهيّن ، فكيف لمن اعتاد برنامجاً نشأ عليه منذ المرحلة الثانوية - على أقل تقدير - ثم مضى فيه يوم أن ولج المرحلة الجامعية .. أقول : كيف له أن يبتعد عنه بهذه السهولة دون أن يشعر بشيءٍ من الوحشةِ و الغربة ..؟ لذا فإنني أدعوك – أيُّها الحِبّ – أن تتهيأ لمثل هذا ، و أن تتفطن إلى الفراغ الكبير الذي ستعيشه بعد أن تفارق صحبك !

فراغٌ في الوقت ، و فراغٌ في الهمّة و العزيمة ، و أخشى عليك من فراغ الروح و ضياع الديانة ، و النفس إن لم تشغلها بالطاعةِ شغلتك بالمعصية .

و لا أظن أنّ عاقلاً خاضَ تجربةً دعويةً استمرت لسنين طوال .. لا أظن أنه لا يستطيع معرفة ميوله و رغباته ، فمتى ما أدركتَ ميولك و رغباتك في مجالات الخير ، فأشغل نفسك بها ، و إياك أن تتوهم أن خدمةَ هذا الدين العظيم تتوقف على مشارف وظيفةٍ يملؤها الروتين و الرتابة و قد لا يتحقق فيها الإخلاص الخالص !

إن العمل التطوعي رغم ما يكتنفه من الصعوبة و ما يعتوره من الشدائد ، و رغم ضعف الحافز عليه ، و خفوت الداعي إليه ، إلا أنه سببٌ من أعظم أسباب توفيق اللّه

---

١٧١) رواه مسلم في كتاب الأمارة ، باب : فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر ، برقم : (٣٤١٣) .

للعبد ، و كم من عبدٍ أصابته شدّةٌ و بلاء ، فكان اللّه له لِما كان له من سوابق الخير و مقامات المعروف ، فعن أنس – رضي اللّه عنه – قال : قال رسول ﷺ : "صنائع المعروف تقي مصارع السوء والآفات و الهلكات "[١٧٢].

لذا ..

أدعوك بعد أن تترك ما كنت فيه ، أن تتجه إلى المجالات التطوعية الخيرية التي تتناسب مع شخصيتك و نفسيتك ، و أن تترقى في سلم المجالات الخيرية ، حتى تتسنم مكاناً عالياً تخدم به أمتك ، و لا خير في نفسٍ ترضى بالموتِ دون أن تتركَ أثرا !

و لْتشعر أن الأمة تحتاجُ إلى جهدٍ مضاعفٍ حتى تصعد في مدارج الكمال ، و الواقع يخبرنا – و للأسف – أن الأنانية باتت حَكَماً على أهواء كثيرٍ من أفراد الأمة ، يرفضُ أحدهم أن يعمل أيّ عملٍ إلا بمقابل ! في حين أن العمل الخيري و التطوعي كان في يومٍ من الأيامِ من أبرز سمات و صفات هذه الأمة ، و لو أدرك القوم أنه مفتاحٌ عظيم من مفاتيح الخير و الرزق و تنزّل البركات لما فرطوا فيه ، لكنها الحياة الجديدة ، التي تعبد المادة و تقدسها و تجعلها مألوهاً لها !

أيُّها الحِبّ ..

ابتعادك عن هذه المحاضن لا يعني نهاية المشوار ، و لا خاتمة المطاف ، و لا هو آخر الطريق ، بل هم بوابةُ الإحسان إلى العالم الكبير ، الذي يئنُّ تحت سياط الظلم ، و يرزحُ في أغلال التخلّف و الفقر ! فانطلقْ بعزمٍ نافذ لتنقذ هذا العالم !

١٧٢) رواه الحاكم في المستدرك عن أنس ، وصححه الألباني في صحيح الجامع .

ختاماً ..

بدأتُ بكتابةِ هذه الورقات- على وجه التقريب –في يوم الخميس ١٠ /١٠ / ١٤٢٩ هـ و ها أنا اليوم أكتبُ اللحظات الأخيرة من هذه الورقات ، و كم كنت أتمنى أن يطول الحديث ! و أن يتجدد الطرح ، لمَ لا ..؟ و أنا أُرصِّعُ هنا بهيَّ الذكريات ، و بهيج الأحداث و المواقف ، فلا أكادُ أقرأ لوحةً إلا و تجرُّ معها زِمام الماضي ، تنطِقُ بشيءٍ من الحُزنِ الذي لا تملك له سوى أن تبقى مكتوف اليدين ، مُطرقَ الهامة ، تبحث عن شاخصٍ قريب تتكئُ عليه .. يمنعك من الانهيار و السقوط !

كتبتُ كلَّ ما مضى .. و أنا على يقينٍ أنه كلامُ بشر ، يحتمل الازورار و الخطل ! لكن حسبي أنه حديثٌ أدين الله بصوابه ، و ذلك يوم أن كنتُ أملكُ زورقاً يجولُ في اليمّ .. يصرعُ الموجَ تارةً ، و يصرعه الموجُ تارةً أخرى ! فلما بلغَ الساحل .. كتب الحقيقة و دوّن الحدث ! و ربما أخطأ مرةً و أصاب مرات ..!

رباه .. أنت أعلم بالسرائر و ما تكتنفه الضمائر ، و ما تخون الأعين و ما تخفي الصدور .. اجعل هذا العمل خالصاً لوجهك ، تستر به عيبي ، تغفر به ذنبي ، ترفع به مقامي ، تدخلني به رحمتك ، أنت – سبحانك – تقدر و لا أقدر ، و تعلم و لا أعلم ! فتفضّل عليّ يا رحيم ، و أكرمني يا كريم ..

و صل اللهم و سلم على سيدي محمد ، و على آله و أصحابه و أتباعه إلى يوم نلقاك !

"سُبْحَانَكَ اللَّهُمّ وَبِحَمْدِكَ ، أَشْهَدُ أَنْ لا إِلهَ إِلَّا أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ "

الثلث الأخير من ليلة السبت ١٤ / ١٠ / ١٤٣٣ هـ

هَا نَحْنُ اليَوْمَ نَمْضِي كَالأَصِيلْ ..

نَرْمُقُكُمْ مِنْ طَرْفٍ خَفِيّ ..

خَاشِعِينَ مِنْ سَطْوَةِ الرَّحِيلْ ..

دَمْعٌ وَاكِفْ ..

وَ حُزْنٌ كَالِحٌ طَوِيلْ ..

وَ حُبُوبُ سُنْبُلَةٍ تَمُوتُ .. حَتْمًا .. سَتَمْلأُ الوَادِي سَنَابِل